

مجلة ربع سنوية – العدد الرابع والثلاثون – يوليو ٢٠١٨

عدد خاص

الإسكندرية

زيارة جديدة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية



الفهرس





SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
مُصْطَفى الفقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خالد عزب

سكرتير التحرير
سوزان عابد

المراجعة والتصحيح اللغوي
محمد حسن

مدير التصميم الفني
هاني صابر

التصميم والإخراج الفني
خالد مصطفى

الإسكندرية، يوليو ٢٠١٨


HOTEL CECIL



الإسكندرية.. زيارة جديدة

منذ أن توليت مسئولية مكتبة الإسكندرية، وأنا أتساءل: لماذا لم تتطور مدينة الإسكندرية؟ وما هو دور مكتبة الإسكندرية لبعث روح جديدة تدب في شرايين هذه المدينة العتيقة؟ بحثت مع زملائي في المكتبة عن إجابات، فوجدت أن هناك شيئًا ما لم ندركه، وهو ضرورة أن تعود الروح مرة أخرى لمدينة الإسكندرية، ليصدر عن ذلك هذا العدد من مجلة ذاكرة مصر، والذي سعينا إلى تنفيذه منذ عام ليكون مخصصًا لهذه المدينة العريقة. مع الإشارة إلى أننا كذلك سوف نصدر قريبًا «ذاكرة الإسكندرية الفوتوغرافية» باللغة الإنجليزية، ثم كتاب «وصف مدينة الإسكندرية» وهو مجموعة من اللوحات النادرة التي تصور مدينة الإسكندرية بعيون أوروبية في العصر العثماني. كما أننا نسعى من خلال مركز «دراسات الإسكندرية وحضارة البحر المتوسط» إلى إجراء دراسات حول المدينة، لا تهتم بماضيها العريق فحسب بل بحاضرها ومستقبلها كذلك؛ وذلك لوضع تصورات وحلول نقدمها لمحافظة الإسكندرية، في محاولة منا للمشاركة في تطوير المدينة وبعثها من جديد.

وفي هذا العدد الخاص من مجلة ذاكرة مصر «الإسكندرية.. زيارة جديدة»، سنتجول معًا في أحياء مدينة الإسكندرية وشوارعها ومبانيها وبيوتها التراثية ومتاحفها وتاريخها ورجالها، مما يمثل محطات التألق والصمود فيها؛ وذلك من خلال أقلام واعية وذات رؤية لأجيال مختلفة من أبناء مدينة الإسكندرية أو من هؤلاء العاشقين لها. اصطحبنا – على سبيل المثال – الأثري العتيق أحمد عبد الفتاح سيرًا على الأقدام داخل أقدم شوارع المدينة وهو شارع «كانوب»، فأوقفنا على معالم العمران فيه خلال العصرين البطلمي والروماني. وقدم لنا شباب الباحثين رؤى مختلفة ومحطات متنوعة للمدينة على مدار تاريخها الزاخر بالأحداث الجديرة بالقراءة والنقاش.

وقد انعكست روح المدينة متعددة الثقافات على موضوعات العدد؛ فنجد إسهامات الأوروبيين في إثراء المدينة وتشكيل صورتها البصرية، لا سيما على مستويي عمارتها وعمرانها المتمثلين في أعمال المعماريَّيْن الإيطاليَّيْن أنطونيو لاشاك، وفيليبو بك الذي كان له دور في تعمير وإحياء شارع رشيد (شارع فؤاد حاليًا) والذي يعد أقدم شوارع المدينة، مما أسهم في اتساع العمران إلى جهة الشرق بعد أفول نجم المدينة عقب أحداث ضربها عام ١٨٨٢م. وينفرد العدد بنشر «ماكيت» لتمثال محمد علي باشا بتوقيع النحات الفرنسي ألفريد جاكمار، الذي قام بنحت التمثال بالحجم الطبيعي فيما بعد، وهو التمثال الموجود حاليًا بميدان المنشية (ميدان القناصل سابقًا)، ليظل شاهدًا على روح المدينة التي نسعى لإحيائها واستلهامها من جديد.

الدكتور مصطفى الفقي

مدير مكتبة الإسكندرية

معالم العمران بالإسكندرية خلال العصرين البطلمي والروماني

حول شارع كانوب القديم

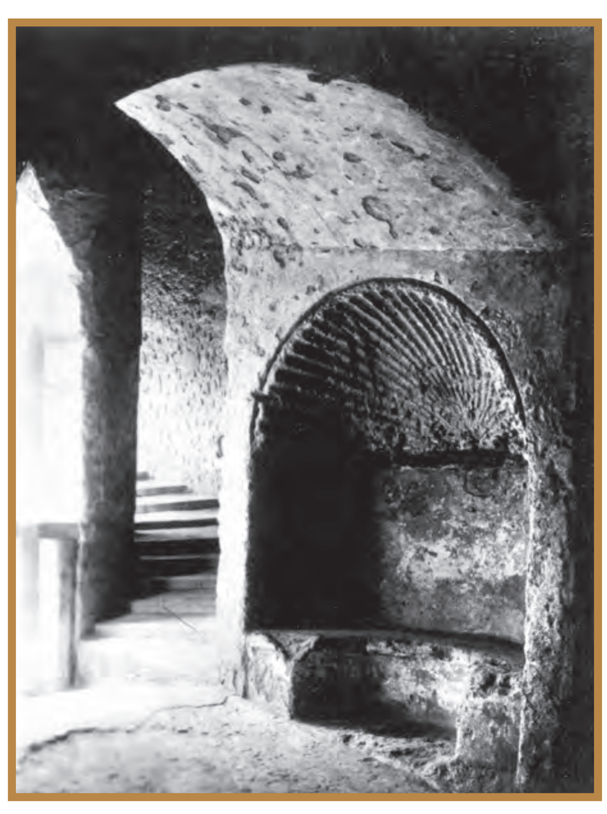
أحمد عبد الفتاح

يرجع تاريخ مدينة الإسكندرية لعصر راقودة، فالمدينة تسبق عصر الإسكندر الأكبر بقرون طوال، ويتصل تاريخها القديم على أقل تقدير بعصر الدولة الوسطى، وذلك على ضوء ما عثر عليه من آثار بموقع حصن التوفيقية بأبي قير، وما كُشف عنه بكلٍّ من معبد السيرابيوم (بكرموز)، وميناء راقودة القديم «الغارق»، والذي تحتاج ملامحه المعمارية إلى الدراسة للوقوف على غزوات شعوب البحر الواردة بالمصورات المحفورة على مسطحات الصرح الأول لمعبد مدينة هابو، وكذلك جدرانه، وكذلك للوقوف على مدى عظم حضارة راقودة البحرية خلال هذا العصر، وآثار حصن ومعبد رعمسيس الثاني، والتي عثر عليها بموقع حصن التوفيقية بأبي قير، وهو أقرب موقع لراقودة يحتوي على الأرجح على حصن ومعبد قديم لرمسيس الثاني من الشرق. ونظرًا لأن راقودة ما زالت مطمورة في أعماق منطقتي كرموز وكوم الشقافة؛ حيث توجد أكثر معالم المدينة الحديثة كثافة سكانية وبالتالي معمارية، فإن الأمر رهن حركة معول الحفار. ولذا فسوف أضرب صفحًا عن التعرض إلى آثار ما قبل عصر الإسكندر المقدوني والبطالمة والرومان، وسوف أوجز ملاحظات طبوغرافية عن الشارع الرئيسي القديم «شارع كانوب» خلال العصرين البطلمي والروماني، وأهم المعالم المحيطة بالشارع، وذلك على وجه التقريب طبقًا للنطاق الطبوغرافي للمدينة القديمة وجبانتيها خلال هذين العصرين.



فالمدينة القديمة يشغل موقعها حاليًّا معظم حي وسط والجمرك، وجانب من حي غرب (الجانب الشرقي من الحي). وقد نشأت جبانة المدينة في العصر البطلمي إلى الشرق منها، وتعرف باسم الجبانة الشرقية، ويشغل موقعها حاليًّا جانب من حي وسط (الجانب الشرقي) وحي شرق. وقد تخلل الفضاء المترامي للشرق من المدينة كذلك ضاحية إليوزيس Eleusis القديمة، وهي ضاحية الأسرار المقدسة للإلهة الإغريقية ديميتر Demeter؛ إلهة الزراعة والخصوبة والحصاد، وتشغل هذه الضاحية الآن جزءًا كبيرًا من حديقتي الحيوان (النزهة) وحدائق قصر أنطونيادس تقريبًا. ثم ضاحية نيكروبوليس Necropolis إلى الشمال الشرقي منها على البحر (ضاحية النصر)، والتي أنشأها الإمبراطور الروماني أغسطس (٣٠ق.م-١٤م) الذي بدأ الاحتلال الروماني لمصر، والتي يشغل جانبًا منها الآن كلٌّ من منطقتي مصطفى كامل، ورشدي شمالاً ومرتفعات أبي النواتير (كفر عبده) جنوبًا، وذلك طبقًا لما كشف عنه العمل الأثري على مدار سنوات بهذه المواقع، وقد تخللت هذه الضاحية الجبانة الرومانية خلال العصر الروماني.

وقد أورد إسترابون المؤرخ والجغرافي الذي زار المدينة حوالي عام ٢٤ق.م ذِكر الجبانة الواقعة للغرب من المدينة، ولكنه لم يشر إلى الجبانة الشرقية، فوصف موقع الجبانة الغربية وأطلق عليها اسم نيكروبوليس Necropolis. والجانب الرئيسي الذي تحدث عنه إسترابون يشغل موقعه حاليًّا حي غرب، كما يشغل حي الجمرك جانبًا من هذه الجبانة، غير أنه يلاحظ أن إسترابون عندما تحدث عن الجبانة الغربية وصفها بأنها ضاحية، وهو ما يشير إلى مدى طبيعية هذه الجبانة من حيث المساحة والفخامة، فضلاً عن أنه قد ذكر أن بها كثيرًا من الحدائق والمقابر ومعامل تحنيط جثث الموتى، وقد عثر على الكثير من روائع هذه الجبانة. ويلاحظ أن الجبانة الغربية هي الجبانة القديمة لراقودة، وقد عثر كذلك على تمثال لكاهن معبد السيرابيرم في العصر البطلمي، يشير لقبه إلى مهمة الإشراف على جبانة راقودة، وهذا يعني أن نواة هذه الجبانة ترجع لعصر الفراعنة، ويؤكد ذلك إشارة إسترابون لوجود معامل التحنيط بها، وهو ما أحالها إلى إحدى العجائب التي أذهلت العقل البشري الإغريقي والروماني، وهي تتفوق في خصيصة مزاولة فن التحنيط على جمال ورونق كلٍّ من جبانات جنوة بإيطاليا؛ حيث تفنى الأجساد وتذوب تحت شواهد الفن الرخامية ومعالم الصقل الدنيوي والإبهار التي تعلوها.



كتاكومب كوم الشقافة؛ الطابق الأول من المقبرة، ويمثل هذا الأثر امتداد جبانة الإسكندرية الغربية خلال العصر الروماني، ويتبدى في مدخل المقبرة سحر الماضي البعيد.



كاهن معبد السيرابيوم؛ العصر البطلمي.



وقد ترك لنا إسترابون في إيجاز في الفقرتين الثامنة والعاشرة من الجزء السابع عشر من مجلده «الجغرافيا» وصفًا لمعالم المدينة المدهشة التي كانت قائمة في زمنه، ومن أهمها طرق المدينة التي وصفها بأنها كلها صالحة لإعطاء صهوة الخيل واستخدام المركبات، ومما أشار إليه طريقان وصفهما بأنهما عريضان جدًا، وتمتدان أكثر من بليثرون اتساعًا (البليثرون = ٣٠,٨٨ مترًا)، ويقطع أحدهما الآخر في زوايا قائمة.

ولاحظ أن الشارع الرئيسي من هذين الشارعين هو الشارع الطولي من المدينة والمعروف بشارع كانوب Via Canopica، وهو محور الحياة العامة بالمدينة؛ حيث قد أُسس على نسق لم تعرفه أثينا وروما في أسلوب تسهيل مرور المارة والعربات في آنٍ واحد كما قامت حوله مرافق المدينة العامة الرئيسية بدءًا من مجاري صرف المياه.

وفي عهد الخديوي إسماعيل، وبتكليف منه؛ قام المهندس محمود الفلكي بإجراء مسح أثري بالمدينة، ووضع كتابًا يتضمن نتائج عمله، وخريطة أثرية للمدينة القديمة، وقد ذكر فيه أنه كشف عن أحد عشر شارعًا رئيسيًّا بمدينة الإسكندرية تتخلل المدينة من جانب لآخر، وسبعة شوارع تتخلل المدينة طوليًّا، والشارع الرئيسي من الشوارع الطولية هو الشارع الكانوبي. وذكر أن كتل تبليط هذا الشارع هي إما من الأحجار السوداء أو المائلة للون الرمادي، ويبلغ سمكها حوالي عشرين سنتيمترًا، وتتراوح ما بين ثلاثين إلى خمسين سنتيمترًا طولاً وعرضًا.

ويتقاطع مع كانوب شارع عرضي آخر يتجه من الحي الملكي وحتى بحيرة مريوط، ولن نتطرق هنا للحديث عن موقع الحي الملكي كونه معروفًا بالفعل، وإنما نركز على خريطة محمود الفلكي؛ وذلك للجدل الدائر بين علماء الآثار حول تاريخ ومسارات الشوارع التي حددها الفلكي في خريطته.

وبالنسبة لشارع كانوب وحدوده (جمال عبد الناصر حاليًّا)، فإنه يمكن القول نظريًّا، وعلى ضوء ما أسفرت عنه الاكتشافات الأثرية خلال العقود الماضية، وكذلك ما أسفر عنه تفكيك بوابة رشيد القديمة، والقطع الأثرية التي عثر عليها كعناصر بناء لهذه البوابة، وأبراج سور الإسكندرية الإسلامي وما تضمه من أحجار وأعمدة بطلمية ورومانية، وصهريج ابن النبيه الأثري الواقع بحديقة نوبار باشا، والدراسات الخاصة بذلك؛ يمكن القول إن بداية شارع كانوب خلال العصر البطلمي توجد إلى الشرق بعدة عشرات من الأمتار من الحافة الشرقية لحدائق الشلالات، وذلك لاعتبارات طبوغرافية أثرية تتصل بمسار أسوار عصور المدينة المختلفة، بدءًا من العصر البطلمي، وحتى العصر العربي، وينتهي شارع كانوب عند شارع إبراهيم الأول.

ويمكن عرض ذلك على النحو التالي: كُشف جنوب بوابة رشيد القديمة عن تاج عمود نادر وبالغ الجمال من البازلت الأسود المصقول يتصدره وجه الإلهة حتحور ويرجع للعصر البطلمي، وإذا لم يكن منقولاً لهذا المكان فإنه سوف يمثل بقايا مقصورة أو معبد بطلمي يتميز برشاقة هندسية، وكان يوجد ربما في الطرف القبلي الأقصى من حدائق الحي الملكي.



تاج على هيئة رأس الإلهة حتحور؛ العصر البطلمي.

وقد ذكر إسترابون – في وصفه للمدينة – الجميزيوم Gymnasium، وأنه أبدع النصب والمعابد التي تعج بها المدينة، وأنه يحتوي على أروقة يربو طولها على طول الإستاد (الذي يساوي ١٨٥,٣ مترًا) وبالتالي لا بد وأنه كان يوجد بالشارع الرئيسي حيث الحياة العامة بالمدينة، ويعتقد أنه كان يوجد بالطرف الشرقي من الشارع. كما وصف إسترابون تل البانيوم، وهو معبد خاص بالإله «بان»؛ إله الرعاة الإغريقي، وهو على ربوة من صنع الإنسان مخروطي الشكل كشجرة البلوط، والصعود إليه بطريق متعرج. ومن المرجح أنه كان يوجد عند أعلى جزء من تل كوم الدكة الحالي، وهو الجزء الذي يعلو أبنية شركة المياه، ومبنى المحافظة القديمة، فهو أقدم من الجانب الآخر من تل كوم الدكة الذي أقامه نابليون في العصر الحديث، والذي كُشف في قاعه عن المنطقة الأثرية الحالية، كما أنه يمثل أعلى نقطة في التل، والتي هي موضع معبد الإله «بان» طبقًا لإسترابون. ويرجح أن معبد المعبود الروماني القديم ساتورن Saturn؛ إله الزراعة ثم إله الزمن بعد ذلك، يوجد أسفل مبنى المحافظة القديم، أي مقابل معبد البانيوم أعلى هضبة كوم الدكة.

وفي عام ١٩٦١م، وأثناء حفر أساسات مبنى برج الثغر المطل على طريق الحرية/ شارع الزعيم جمال عبد الناصر (شارع كانوب سابقًا)؛ ظهرت بقايا مبنى بطلمي على عمق يزيد عن سبعة أمتار من مستوى سطح الشارع. وقد ظهرت بعض القطع الأثرية الهامة في بعض الشوارع المتاخمة لطريق الحرية، ومن بينها شارع جربل Gerbel، وذلك عندما تم حفر أساس أحد المنازل، وأثناء حفر الموقع لعمل الأساسات عُثر على تمثال لأحد رجال البلاط البطلمي. كما عثر في أساس منزل بشارع مارك أنطوان Mark Antoine على قاعدة تمثال كان بطليموس الثالث (٢٤٦–٢٢١ق.م) قد أمر بنحته تكريمًا لطبيبه الخاص.

كما عُثر أسفل مدارس منشا Menasce (المدارس القومية حاليًّا) والقريبة من مسار شارع كانوب على العمود الشاهق المنحوت من الجرانيت الأحمر، والمقام حاليًّا بميدان كلية الطب والمعروف بعمود الخرطوم، وهو يرجع للعصر البطلمي، وربما كان هذا العمود جزءًا من مبنى عام تميز بفخامته وأناقته، شُيد في العصر البطلمي في نطاق شارع كانوب.



عمود الخرطوم.

ومن المعروف أن المدينة خلال العصر الروماني قد امتدت للغرب، غير أن ذلك لا يحول دون وجود أبنية فريدة على امتداد الشارع غربًا ترجع أصلاً للعصر البطلمي؛ ففي منطقة كوم الدكة الحافلة بمعالم الحياة الدنيوية خلال العصر الروماني والتي تطل على مسار شارع كانوب (طريق الحرية)؛ عثر بالطبقات الأعمق من الموقع على بقايا ترجع للعصر البطلمي، وهي تضم أضخم حمامات عثر عليها بمصر بمعظم مكوناتها الهندسية، وكذلك مجموعة من «الفيلات» الأنيقة التي ترجع للقرن الثاني الميلادي، والتي هُدمت وتحولت لمنازل سكنية (أتيليهات للفنانين والحرفيين)في فترة متأخرة، وكذلك يوجد للغرب منها مباشرة مسرح نادر، شيدت مدرجاته من قطع رخامية مجلوبة من آسيا الصغرى، وتوجد على المقاعد أرقامها، ومخربشات الجمهور. وقد تعرضت أبنيته للتعديل خلال العصور اللاحقة، ويوازي هذا المسرح (الأوديتوريوم Auditorium) شارع طويل تحفه الأعمدة الجرانيتية من الغرب، وقد بقي عدد لا بأس به منها، ويتجه نحو الشمال.

وفي الجانب الشمالي من المسرح، كُشف عن مفاجأة لا مثيل لها في مصر بل في حوض البحر الأبيض؛ وهي مجموعة متتالية من قاعات الدرس Auditoria للاجتماع والدرس ترجع للعصر الروماني. وهي تشي ببقايا جامعة الإسكندرية القديمة في هذا المكان، بل إن الفكر اتجه نتيجة لتزويد بعضها بما يشبه الحوض المائي إلى أنها كانت تنقسم لقاعات تدريس الإنسانيات؛ من فلسفة، وأدب، وتاريخ، وعقائد، وقاعات أخرى مزودة كذلك بالحوض المائي لدراسة العلوم كالطب والصيدلة والرياضيات، كما يتجه الفكر إلى أنه ربما كانت هذه هي الجامعة التي كان يدرس بها كلٌّ من ثيون Theon وابنته الفيلسوفة الجميلة هيباتيا Hypatia التي فتك بها غوغاء المدينة في هذا العصر. وهو أمر يستدعي تركيز الدراسات وعقد المؤتمرات بصدد هذه الأعجوبة السكندرية التي كشفت عنها البعثة البولندية، فإنه وإن لم يبقِ مناخ المدينة الباهرة إلى الآن على بردية واحدة من تراثها الفعلي الزاخر من نتاج مفكري وعلماء متحفها، وعلمائها، فلقد عجزت عوامل الفناء عن القضاء على الوعاء المادي الزاخر لهذا الفكر، وهو بقايا اثنتين وعشرين قاعة محاضرات شيدت من الأحجار وتضم مدرجات لجلوس الطلاب، تتوسطها منصة الأستاذ. ويوضح العثور على هذه القاعات



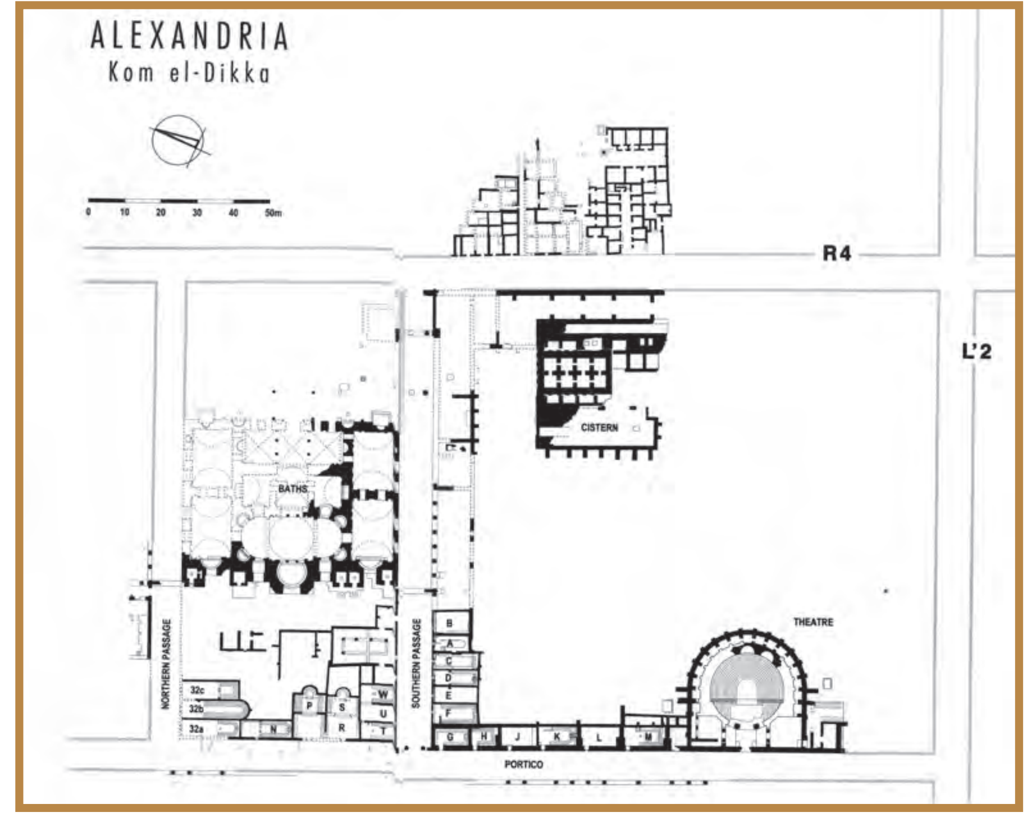
المسرح الروماني؛ الأوديتوريوم.



فسيفساء أرضية؛ فيلا الطيور.







مسقط أفقي للمسرح الروماني.

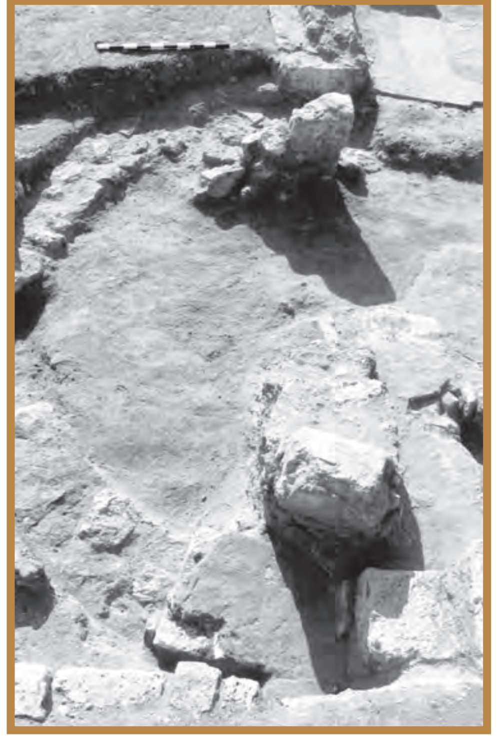


منظر تفصيلي لقاعة محاضرة.











صور لقاعات المحاضرات.

مفتاح الحياة العقلية والثقافية والعلمية التي حظيت بها المدينة، والتي ما زلنا نجهد في اقتفاء أثرها عبر الأجيال.

وتؤكد بقايا المجموعات الأثرية المعمارية الحافلة وقاعات الدرس - على نحو الخصوص - على استمرارية شارع كانوب البطلمي الأصل ليظل هو الشارع الرئيسي الحيوي خلال العصر الروماني أيضًا. وذلك لمدى ما تمثله من اتصال بالحياة العامة الرفيعة المستوى بالمدينة.

ويرجح أن موقع مبنى المحكمة الذي أشار إليه إسترابون، يكون بالقرب من دار الأوبرا الحالية (مسرح سيد درويش بطريق الحرية) على الطرف الآخر من الشارع. فقد عثر في موقع المبنى وأثناء حفر أساساته على أكمل تمثال عثر عليه في مصر لإمبراطور روماني؛ وهو الإمبراطور الفيلسوف ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (١٦١-١٨٠م).

كما عثر في الجانب الشمالي من منحدر تل كوم الدكة على تمثال هام لهراقل Hercules؛ البطل الأسطوري الإغريقي، منحوت من الرخام الأبيض ويرجع للعصر البطلمي، وربما كان يمثل بقايا معبد هام في هذا الموضع أو ضريحًا يطل على شارع كانوب.

كذلك عثر على ودائع أساس معبد كلٍّ من الإلهة إيزيس، والإله سيرابيس، وهو المعبد الذي أقامه الملك بطليموس الرابع (٢٢١-٢٠٥ق.م)، وذلك في موقع كلٍّ من بورصة طوسون وقصر الإبداع، ووكالة كوك (المبنى الذي يتوسط شارعي صلاح سالم وشارع الخديوي توفيق). وإلى الجنوب من مسجد العطارين وعلى امتداد مسار الشارع الرئيسي للمدينة (شارع كانوب)؛ كُشف عن مجموعة قائمة متفرقة من بقايا مباني متماثلة كانت تطل على الشارع، وقد سجلتها الوثائق الأوروبية، كما وجد تمثال من البورفير الأحمر، هو على الأرجح للإمبراطور الروماني دقلديانوس Diocletian (٢٨٤-٣٠٥م)، ويشير لذلك كلٌّ من مادة التمثال وهيئته جالسًا في هيبة دنيوية صارمة وردائه وحركة الجسد أسفله، وأنه لا بد أن هذا التمثال كان يعرض داخل أحد المعابد الرومانية الرسمية التي أقيمت بالمدينة على مسار الشارع في عصر امتدادها للغرب على الأرجح.



تمثال الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس.



تمثال يعتقد أنه للإمبراطور الروماني دقلديانوس.





كليوباترا

طموحها السياسي شوه صورتها

الدكتور خالد عزب

أثارت تماثيل كليوباترا السابعة؛ آخر ملكات البطالمة في مصر، تساؤلات حول مدى جمال هذه الملكة التي طالما نُسجت حولها الأساطير، كونها نجحت في إيقاع الكثيرين في هواها، حتى صارت محور الصراع في الإمبراطورية الرومانية. فقد بدت كليوباترا في تماثيلها قصيرة وبدينة نسبيًّا، وذات ملامح غير متناسقة، وهذا يعود إلى الاضطراب الذي ساد الفن المصري في تلك المرحلة بين التقاليد الإغريقية والتقاليد الفرعونية، وقد ظهر هذا الاضطراب في قطع فنية كثيرة. ولعل الكثير من القطع التي اكتشفت ضمن الآثار الغارقة على شاطئ الإسكندرية في السنوات الأخيرة، تكشف ملامح متناسقة لكليوباترا وجمالاً نسبيًّا، وهذا يعود إلى أن هذه القطع صُنعت بعناية لتوضع في القصر الملكي والمعبد الكبير في الإسكندرية.

لم تكن كليوباترا رائعة الجمال، ولكنها كانت جميلة وذات دهاء سياسي، وهو ما أهَّلها لأن تصبح ذات طموح يهدف إلى السيطرة والتحكم، فعندما تولت كليوباترا حكم مصر عام ٥١ق.م، واندلع لهيب الحروب الأهلية في روما؛ مدت يد المساعدة إلى بومبي الأكبر في صراعه مع قيصر، لكن بومبي هُزم وفر إلى الإسكندرية حيث قتله رجال البلاط ليبرهنوا لقيصر - الذي تبعه إلى هناك - أن مصر قطعت علاقتها مع أعدائه، وبذلك لم يبقَ داعٍ لغزو مصر.

وبعد حرب قصيرة عنيفة تعرف بحرب الإسكندرية، أوقعت كليوباترا قيصر في هواها وتزوجته في مصر وأنجبت منه طفلاً، وغادر قيصر أرض الكنانة إلى روما طالبًا من كليوباترا إرجاء إعلان زواجهما في روما حتى تتوطد له الأمور، وسرعان ما لحقت به كليوباترا على أمل أن تصبح إمبراطورة روما، لكن آمالها لم

تلبث أن انهارت عندما استثارت مطامع قيصر غضب الجمهوريين الرومان، فقبضوا عليه في عام ٤٤ق.م.

وقد بادرت كليوباترا بالهرب إلى مملكتها، وأخذت ترقب انتصار أصدقاء قيصر، أنطونيوس وأوكتافيوس، قبل خريف عام ٤٢ق.م. وأثناء ذلك، ذهب أنطونيوس إلى الشرق ليتولى أمره، وأرسل في استدعاء كليوباترا لتوبيخها، وما كاد يقابلها في طرطوس حتى أحرزت نصرًا حاسمًا على قلبه، وعندما عادت إلى الإسكندرية سارع إلى اللحاق بها وقضى في صحبتها شتاء عام ٤١ق.م، مستمتعًا بتلك الحياة الفريدة التي خلَّد الكتاب والشعراء ذكراها في النفوس وفي الآداب. ولكن سرعان ما أجبرته الأحداث في روما على العودة إليها ليتزوج من أخت أوكتافيوس. ولما عاد إلى سورية عام ٣٧ق.م كان الشوق قد استبد به، فاستدعى كليوباترا واعترف بها كزوجة له واعترف بولديه التوأمين منها. وقد تسببت تصرفات كليوباترا وأنطونيوس في استعراض الجند، محتفلين بنصر روما على أرمينيا في مدينة الإسكندرية بدلاً من روما وتلقيب كليوباترا بملكة الملكات؛ في نشوب حرب بين أكتافيوس وأنطونيوس وملكته، وانتهى الأمر بهزيمة أنطونيوس وانتحاره قبل دخول أوكتافيوس الإسكندرية، فلجأت كليوباترا إلى الحيلة؛ حيث هربت إلى مقبرتها، وطلبت من المنتصر أن يعتلي أبناؤها العرش بدلاً منها، ولكن أوكتافيوس أخرجها وكنوزها من المقبرة، وحينما تيقنت أنه سيضعها في مقدم موكب انتصاره في روما لإذلالها، وليعلن تبعية مصر للإمبراطورية الرومانية؛ انتحرت لتقضي على أمله هذا. يومئذٍ قرر السناتور الروماني اعتبار سقوط الإسكندرية في قبضة الرومان عيدًا وطنيًّا وبداية للتقويم الملي في مصر.

ولا أدل على مقدار كراهية الرومان لكليوباترا وخوفهم منها من روح الشماتة والسخافة التي تتكشف في ما كتبه فحول عصر أوكتافيوس للإشادة بانتصار هذا الإمبراطور وهزيمة كليوباترا. ولما كانت روما تسيطر على العالم آنذاك، فقد تبارى الشعراء المعاصرون بتلطيخ سمعة كليوباترا ورميها بكل نقيصة يمكن أن يصورها الخيال المغرض من دون أن يجرؤ أحد من أنصارها على الدفاع عنها.

وظلت كتابات خصومها مصدرًا لتاريخها حتى اليوم. ولا سيما الصورة التي صُورت فيها واستهوت الشعراء وكتاب القصة. لكن عندما أخذ عدد من الباحثين المعارضين بتمحيص أقوال القدماء ومقارنتها، تبين لهم أن هذه الصورة مزيفة، وأن كليوباترا كانت ملكة طموحة أبية أكثر من غيرها من نساء الإسكندرية وروما، وأمًّا وفية، وأنها لم تكن أكثر من غيرها تبذلاً واستهتارًا، بل لعلها كانت أكثر من غيرها من سيدات الطبقة الراقية وقارًا واحتشامًا. وقد عُرضت تماثيل لكليوباترا في معرض بالمتحف البريطاني منذ سنوات، تخرج عن إطار عصر هزيمة كليوباترا. فتشويه شكل العدو من خلال التماثيل القبيحة أمر كان شائعًا في العصور القديمة، فما بالنا بملكة أذلت الرومان وحيرتهم، وحين هزموها حرصوا على تشويه صورتها، وتعد هذه التماثيل واحدة من الصور الدعائية القديمة!

وشخصية كليوباترا تذكرنا في التاريخ المصري القديم بشخصية حتشبسوت؛ تلك المرأة القوية التي تولت حكم مصر في عصر الدولة الحديثة الفرعونية، وتركت آثارًا معمارية أبرزها معبدها الشهير في الأقصر، وحتشبسوت الخامسة في ترتيب الملكات اللواتي حكمن مصر الفرعونية، وهن مريت نيت، خنتكاوس، نيت أقرت، سبك نفرت، تاوسرت، وتميز حكمهن عن الفراعنة الرجال بالاستقرار. لذا لم يكن غريبًا، آنذاك، أن تتولى كليوباترا حكم مصر الذي عرف الكثير من الشخصيات النسائية ذات الطبيعة المتسلطة حتى العصر الإسلامي، حين اشتهرت شجرة الدر التي كان لها دور بارز في نقل الحكم من الأيوبيين إلى المماليك، وفي حياكة المؤامرات لكي يستقر لها عرش مصر، وانتهى الأمر بقتلها.

وهناك نقطة مهمة تتمثل في اختلاف مقاييس الجمال من عصر لآخر. فقدماء المصريين الفراعنة كانوا يعتبرون السيدة جميلة إذا كانت ذات بشرة خمرية، وأنف معقوف قليلاً، وذقن مستدير، الأمر الذي ينم عن صلابة. وفي مصر العصر المملوكي والعصر العثماني، كانت المرأة تعد جميلة إذا كانت بيضاء البشرة، وناعمة الملمس، وذات وجه مستدير يشبه القمر في استدارته، ومفرطة في البدانة، وذات صدر كبير ممتلئ، وأرداف عريضة، لذلك أقبلت النساء على العناية بسمنتهن وبدانتهن ليجذبن الرجال.

يبقى أن كل معرض لا يتناول كل الوجوه والاعتبارات، وهي كثيرة ومتفاوتة في التفسير والإدراك؛ لا بد من أن يعتبر فقيرًا ومجتزأ، كما يبقى أن صورة كليوباترا في ذاكرة التاريخ أقوى من كل المعارض وكل التماثيل.







كليوباترا السابعة.



أنطونيوس.





كليوباترا السابعة.

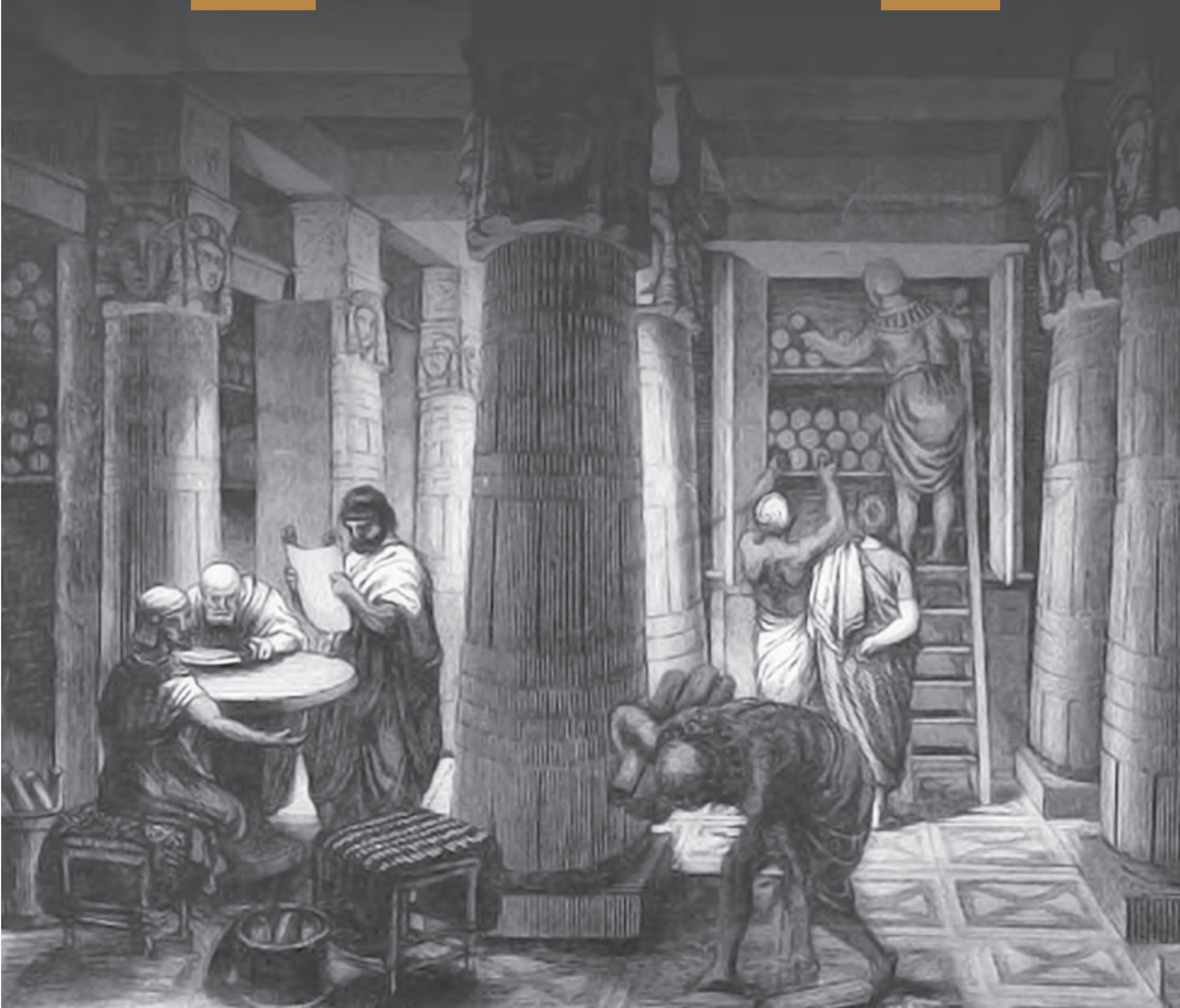




عملة نقدية مصور عليها كليوباترا السابعة ومارك أنطونيوس.

مكتبة الإسكندرية القديمة

الدكتور أشرف أحمد فراج



الإرهاصات الأولى

مات الإسكندر الأكبر أثناء حملته الحضارية على الشرق بعد أن أسس مدنًا عدة على الطراز اليوناني وأعطاها اسمه، وتنازع قواده العسكريون لاقتسام إمبراطوريته من بعده، وكانت مصر – درة هذه الإمبراطورية – من نصيب أبرز وأنبه قواده «بطليموس الأول» الملُقب بالمنقذ «سوتير»، والذي كان مؤمنًا بالمشروع الحضاري الذي جاء به ومن أجله الإسكندر الأكبر إلى الشرق. فالإسكندر الأكبر الذي تتلمذ على يد المعلم الأول «أرسطوطاليس»، كان يهدف لمزج حضارات الغرب بحضارات الشرق، لخلق حضارة تجمع بين دفتيها جل الثقافات الشرقية والثقافات الغربية في ماعونٍ واحد خصب. ولقد آمن نفرٌ قليلون من قواد الإسكندر الأكبر بجدوى هذا المشروع، وكان على رأس من آمنوا بهذا المشروع الحضاري الفريد «بطليموس الأول»؛ أبرز قواده العسكريين، وأوسعهم خبرة وحنكة واستشرافًا ثاقبًا للمستقبل. فعندما آل إليه حكم مصر أراد أن تشهد عاصمتها «الإسكندرية» تنفيذ هذا المشروع الحضاري الضخم؛ لأنه كان على يقينٍ تام بأن تنفيذ مثل هذا المشروع الحضاري الذي يمزج حضارات الشرق بحضارات الغرب من شأنه أن يكسبه سمعةً عالمية، ويثبت أقدامه في مملكته الجديدة، ويدعم شرعيته – التي لم تكن قد استقرت بعد بشكلٍ نهائي – وذلك لكونه حاكمًا جديدًا لأرضٍ غريبة، وشعبٍ يجمع إلى جانب المصريين واليونانيين أجناسًا أخرى متعددة، جاءت من كل حدب وصوب من أقصى وأدنى أصقاع المعمورة لتستقر في الإسكندرية.

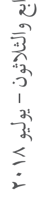
وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإسكندرية كانت إبان القرن الثالث قبل الميلاد مدينة عالمية شديدة الجذب، وقبلةً يؤمها كل طالب سعة رزقٍ أو رغد عيشٍ من كافة أنحاء المعمورة، حتى بلغ تنوع الأجناس التي جاءت واستقرت بالإسكندرية حدًّا أصبح فيه السكندريون والزائرون يتحدثون اثنتين وخمسين لغةً ولهجةً مختلفة، لدرجة أن السائر في شوارع الإسكندرية القديمة كانت تتنامى لمسامعه أصوات كل هذه اللغات واللهجات؛ فهذا يتحدث باليونانية وثانٍ بالفارسية وثالث بالعبرية ورابع باللاتينية وخامس بالمصرية وسادسٍ بالحبشية وسابع بالأتيكّية وثامنٍ بالدورية وغيره بالأيونية وآخرٍ بالأيولية ولغاتٌ ولهجات أخرى كثيرة؛ فقد غدت الإسكندرية مركزًا دوليًّا للتجارة العالمية آنذاك. ومن أجل ذلك، كان كبار التجار القادمين للإسكندرية يصطحبون معهم عددًا من المترجمين الذين يجيدون عدة لغات؛ وذلك لضمان التفاهم عند عقد وإبرام صفقاتهم وأعمالهم التجارية التي كانت تتم في الإسكندرية مع تجارٍ من أجناسٍ مختلفة يتكلمون لغاتٍ عدة.

وبعد أن نجح بطليموس أو سوتير في جعل الإسكندرية؛ عاصمة ملكه الجديد، أكبر مركزٍ دولي للمال والأعمال في العالم المأهول آنذاك؛ بدأ يخطط لجعل الإسكندرية عاصمة للثقافة العالمية، وقِبلة لكل مشاهير الكتّاب والأدباء والعلماء والفنانين الذين راح يستقطبهم من كل بقاع الأرض ويغريهم بالغالي والنفيس؛ حتى يتركوا أوطانهم ويأتوا ليستقروا بالإسكندرية. وقد نجحت خطته وجاء كل هؤلاء البارزين في كل علمٍ وأدبٍ وفن، واستوطنوا الإسكندرية، واستطاب لهم العيش بعد أن وفر لهم سوتير بيئةً جاذبة فيها كل سبل الراحة، وأمدهم بكل ما تشتهيه الأنفس من إقامة مريحة لهم ولذويهم، وأمدهم بكل ما يحتاجونه من أموالٍ وأدواتٍ وأجهزةٍ وتجهيزات، وأمّن لأولادهم التعليم ورغد العيش؛ حتى يتفرغوا تفرغًا كاملاً للإبداع والابتكار والاختراع.

وكان من أشهر من استقدمهم سوتير لمدينة الإسكندرية؛ السياسي والأديب الفيلسوف ديمتريوس الفاليري، الذي أتى به من أثينا بعد أن أغراه بأن يتخذ من الإسكندرية مستقرًّا ومقامًا؛ حيث كانت الإرهاصات تشير إلى أنها ستغدو عمّا قريب عاصمة للعالم القديم. ولم يكن خافيًا على الفاليري أنه بازدهار العلم والفكر والمعرفة في الإسكندرية، فإن نتيجة ذلك الحتمية هي ازدهار باهر على كافة الأصعدة العلمية والاقتصادية والسياسية؛ إذ ستصبح الإسكندرية قبلة الأنظار للطامحين من العلماء والأدباء والفلاسفة والفنانين ورجال المال والأعمال. وربما كان ذلك دافعًا جعل الفاليري يقترح على الملك البطلمي سوتير إنشاء مكتبة «ببليوتكّا إلكسندرينا»، ومجمع للبحوث العلمية والأدبية (الموسيون) تابع للمكتبة في الإسكندرية، وراقت الفكرة للملك البطلمي سوتير، وعلى الفور وبدون تردد شرع في وضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ لإيمانه العميق بجدوى وأهمية الأمر، الذي يتسق والمشروع الحضاري الذي جاء به الإسكندر الأكبر إلى الشرق، وكان هو نفسه من أشد المؤمنين بهذا المشروع الذي يجمع حضارات الشرق والغرب في حضارةٍ واحدة، الأمر الذي رأى فيه تحقيقًا لحلمه بجعل مملكته أعظم ممالك العالم القديم قاطبة.

وسواء تم إنشاء المكتبة – والموسيون بعد ذلك – في عهد سوتير أو أن الإنشاء والتشغيل الفعليين قد تما في عهد خلفه بطليموس فلادلفوس – كما يرى فريقٌ من الباحثين؛ فقد اتفقت كافة المصادر على أن فكرة إنشائهما تعزى إلى ديمتريوس الفاليري، وأن تاريخ تأسيسهما يرجع للعقد الأول من القرن الثالث قبل الميلاد.





نشأة مكتبة الإسكندرية القديمة

في حقيقة الأمر، وقبل نشأة مكتبة الإسكندرية القديمة، لم تكن العصور القديمة تجهل فكرة المكتبات جهلاً تامًّا، بل كان هناك العديد من المكتبات الخاصة مثل مكتبة «كليارخوس» الذي كان حاكم هيراكليا الواقعة على بحر مرمرة، وكذلك مكتبة «أرسطوطاليس» الشهيرة التي كانت في الليكيون وآلت من بعده إلى خليفته ثيوفراستوس، ولكن كل هذه المكتبات الخاصة لم تحقق ما حققته مكتبة الإسكندرية القديمة من الانتشار والتأثير، كما أن هذه المكتبات الخاصة لم تكن لها قيمة ومكانة وإمكانيات مكتبة الإسكندرية القديمة التي كانت بصدق أعظم وأقيم وأضخم مكتبة عرفها التاريخ. وكان أول أمين لها هو صاحب فكرة إنشائها وهو ديمتريوس الفاليري. وقد جمعت مكتبة الإسكندرية القديمة أمهات الكتب من شتى أصقاع الأرض؛ حيث أغدق البطالمة على المكتبة أموالاً طائلة لشراء واقتناء أنفس الكتب والوثائق، مما أغرى تجار الكتب في العالم للحضور إلى الإسكندرية لبيع أندر الكتب وأعز الوثائق للبطالمة. وكذلك اجتهد الفاليري في نقل مكتبة أرسطوطاليس من الليكيون إلى مكتبة الإسكندرية. كذلك فقد كان البطالمة حريصين على اقتناء نفائس الكتب بكل السبل، حتى إنهم كانوا يفتشون جميع السفن التي ترسو في ميناء الاسكندرية، وفي حالة العثور على كتب أو وثائق ذات قيمة على متنها، كانت تتم مصادرتها، ويتم نسخها في الإسكندرية، وتُعطى هذه المنسوخات إلى أصحابها، بينما تُنقل الكتب واللفائف الأصلية لتودع بمكتبة الإسكندرية، وفي مقابل ذلك، يتم تعويض أصحاب الكتب الأصلية بسخاءٍ نظير تنازلهم عن كتبهم الأصلية وقبول منسوخاتها فحسب.

ولقد استمر ملوك البطالمة على هذا المنوال، حتى إن بطليوس يورجتيس قد طلب من الأثينيين أن يرسلوا للإسكندرية أصول الأعمال المسرحية لكُتَّاب التراجيدية اليونانية القدماء (أيسخيلوس وسوفوكليس ويروبيدس) لنسخها ثم رد الأصول لأثينا مرة أخرى، وأعطاهم في مقابل ذلك ضماناً ماليًّا كبيرًا عبارة عن خمسة عشر تالنت من الفضة، ليضمن لهم استرداد أصول التراجيديات بعد نسخها. ولكن بعد أن تمت عملية النسخ على ورقٍ فاخرٍ من أجود أنواع ورق البردي، أرسل الملك إلى أثينا النسخ الجديدة المنقولة عن الأصول القديمة، واحتفظ باللفائف الأصلية للأعمال المسرحية المكتوبة بيد أصحابها من كتاب التراجيديا اليونانية القدامى، وخسر بذلك – عن طيب خاطر – الضمان المالي الضخم الذي كان قد أودعه لدى الأثينيين. وفضلاً عن ذلك، فقد كان البطالمة يفتشون عن الكتب والوثائق الأصلية في أسواق الكتب المنتشرة في العالم آنذاك، لا سيما في أسواق مدينة أثينا وأسواق جزيرة رودس، وكانوا يدفعون بسخاءٍ منقطع النظير في سبيل اقتناء هذه الأصول وإيداعها داخل مكتبة الإسكندرية القديمة.

ومن جهة أخرى، فقد احتكر الملوك البطالمة صناعة ورق البردي، ومنعوا بل حرّموا وجرّموا تصديره لخارج البلاد، ليحرموا منافسيهم لا سيما ملوك برجامون من إمكانية صناعة الكتب. وكانت الكتب والوثائق لا تُنقل مباشرةً لمكتبة الإسكندرية، وإنما تودع أولاً في مخازن خاصة حيث يتم فرزها وتصنيفها أبجديًّا وفقًا لاسم المؤلف والموضوع في أول وأكبر عملية فهرسة عرفها تاريخ المكتبات في التاريخ. وفضلاً عن ذلك، فقد عكف العلماء والأدباء والمفكرون واللغويون والفلاسفة المقيمون داخل الموسيون التابع للمكتبة، عكف هؤلاء – كلٌّ في تخصصه – على تنقيح الكتب وإضافة شروح وتعليقات قيمة دقيقة على أمهات الكتب قبل إيداعها أرفف المكتبة القديمة. وبالإضافة لذلك كله، فقد نشطت حركة الترجمة بالإسكندرية، مثل الترجمة السبعينية



رسم تخيلي للمكتبة والموسيون.

للتوراة من العبرية القديمة إلى اليونانية الهلينستية أو بالأحرى اليونانية السكندرية، كذلك دَوَّن المؤرخ المصري مانيثون تاريخ مصر الفرعونية باللغة اليونانية، وذلك بعد أن قام بترجمة سجلات ملوك مصر الفراعنة عن اللغة المصرية القديمة. كذلك قام مترجمو الإسكندرية من ذوي الأصول الفارسية والذين يجيدون يونانية العصر السكندري – أي اللغة اليونانية السكندرية التي يطلق عيها غالبية اللغويين اسم اليونانية الهلينستية – إلى جانب إجادتهم للغة الفارسية القديمة، قاموا بترجمة نصوص الأدب الفارسي المودعة بالمكتبة إلى اللغة اليونانية السكندرية. كذلك فقد حوت مكتبة الإسكندرية القديمة على النصوص الأصلية للأدب اللاتيني، فضلاً عن الترجمات التي جرت لهذه النصوص من اللاتينية إلى اليونانية السكندرية. وهكذا اتسعت مكتبة الإسكندرية القديمة وازدحمت جنباتها وأرففها بأكثر من نصف مليون كتاب، حتى ضاقت المكتبة الأصلية الواقعة في الحي الملكي على شاطئ المتوسط واكتظت بالكتب والوثائق، في الوقت الذي استمر فيه البطالمة يجمعون ويقتنون كل نفيس وغالٍ من الكتب والوثائق الأصلية، الأمر الذي اضطرهم لإنشاء ملحقٍ للمكتبة القديمة، أي مكتبة أخرى ملحقة ومكملة للمكتبة الأصلية، وذلك في عصر الملك بطليموس الثالث. وقد أُنشئت هذه المكتبة الأخرى في حي راكوتيس (حي كرموز الآن) داخل معبد السرابيوم.

دور مكتبة الإسكندرية القديمة في انتشار اللغة اليونانية السكندرية (الهلينستية)

كان لنشأة مكتبة الإسكندرية القديمة والموسيون التابع لها الفضل الأكبر في تنشيط حركة الترجمة في الإسكندرية؛ حيث نشطت حركة الترجمة من اللغة المصرية القديمة ومن الفارسية والعبرية واللاتينية وغيرها من اللغات إلى اللغة اليونانية السكندرية (الهلينستية). كذلك فقد شجعت المكتبة والموسيون التابع لها على قيام ثورة علمية وفكرية ومعرفية جديدة في مجال البحث العلمي، وما تبعه من اكتشافات واختراعات وظهور علوم جديدة على يد من استقطبتهم المكتبة من العلماء والأدباء والمبدعين في شتى صنوف العلوم والمعارف، وعن طريق ما أفرده الملوك البطالمة من إمكانيات هائلة لا مثيل لها، وُضعت كلها تحت تصرف هؤلاء العلماء والمفكرين والمبدعين؛ حتى يقدموا مؤلفات مبتكرة تحتوي على كل جديد في شتى صنوف المعارف والعلوم والآداب، ليزودوا بها جنبات المكتبة القديمة فتكتسب مزيدًا من السمعة فوق سمعتها، وقيمةً فوق قيمتها، وتعلو قامتها أكثر وأكثر بين الأمم والشعوب بما تحويه، ليس فقط من نفائس الكتب القديمة وأمهاتها، بل بما تحويه وتحتكره من مؤلفات حديثة – آنذاك – للمكتشفات العلمية والابتكارات والمخترعات التي تمت في الإسكندرية نتيجة الطفرة البحثية والمعرفية غير المسبوقة. فقد كان العصر السكندري عصر تقدمٍ وازدهارٍ وابتكارٍ واختراعٍ في شتى ميادين العلوم؛ في الطبِ والفلكِ والفيزياءِ والكيمياءِ والهندسة والرياضيات وعلم الحيوان والنبات والفلسفة واللغات والآداب والفنون.

وكان لزامًا على لغة هذا العصر أن تواكب هذا الجديد، وتعبر عنه عن طريق ابتكار ألفاظٍ ومفرداتٍ جديدة، وصك مصطلحات حديثة تعبر عن كل جديدٍ مكتشف. ففي مجال الطب، بدأ وضع قواعد وأصول علم التشريح، وظهرت مصطلحات طبية جديدة لم تعرفها اللغة اليونانية الكلاسيكية؛ ونذكر من تلك المصطلحات الطبية الحديثة آنذاك – على سبيل المثال لا الحصر – مصطلحين جديدين تمامًا لم تعرفهما اللغة اليونانية الكلاسيكية، وهما σύστολη وδιαστολή الدالان بالترتيب على حركة انقباض وانبساط عضلة القلب. وفي مجال الهندسة، صُكت مصطلحات كثيرة جديدة؛ منها κονικα الدال على الشكل



مدينة الإسكندرية؛ عن «وصف مصر».

المخروطي، ومصطلح πορίσματα الدال على الشكل المنشور. هذا بالإضافة إلى ظهور مصطلحات جديدة تعبر عن الأدوات والآلات التي تم اختراعها في العصر السكندري، ومثال ذلك مصطلح κοχλία الذي يشير إلى آلة الطنبور التي اخترعها العالم أرخميديس. هذا فضلاً عن عشرات الآلاف من المفردات الجديدة التي ولدت ولادةً طبيعية في المجتمع السكندري بلغاته ولهجاته الهجين، والتي كان لزامًا على لغة هذا العصر أن تعبر عنها، فدخلت على يونانية العصر السكندري روافد لغوية من لغات ولهجاتٍ شتى، اخترقت جلد ولحم وعظام اللغة اليونانية السكندرية، وتغلغلت داخل النسيج اللغوي لليونانية التي استوعبتها وأذابتها وهضمتها حتى غدت جزءًا عضويًّا من نسيج اللغة اليونانية التي شاعت في العصر السكندري، ولقد نتج عن هذا الاختراق متعدد اللغات واللهجات لجسد اللغة اليونانية حدوث تعديلات ضخمة في الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية بل والدلالية أيضًا داخل جسم اللغة اليونانية، مما جعل اللغة اليونانية السكندرية لغةً جديدة تختلف تركيبيًّا ونحويًّا وصرفيًّا ودلاليًّا عن اللغة اليونانية الكلاسيكية الوافدة من بلاد اليونان. ولقد غدت اللغة اليونانية السكندرية (الهلينستية) في ثوبها الجديد لغةً عالمية يدخل في تركيبها عناصر لغوية من عدة لغاتٍ ولهجاتٍ شتى، جعلت منها علامة فارقة مميزة للثورة العلمية والمعرفية في عصر مكتبة الإسكندرية القديمة.

وهكذا، كانت مكتبة الإسكندرية القديمة بعلمائها وبمجمعها العلمي (الموسيون) سببًا رئيسيًّا في ظهور لغةٍ عالمية جديدة، أصبحت مميزة للعصر الهلينستي كله، وعُرفت باللغة اليونانية السكندرية أو الهلينستية كما يطيب لبعض اللغويين تسميتها.

اندثار مكتبة الإسكندرية القديمة

إن دورة حياة مكتبة الإسكندرية القديمة شأنها شأن دورة حياة أي كائنٍ حي؛ يُولَد وينمو ويقوى، ثم يشيخ ويضعف ويخبو ويندثر وتنتهي دورة حياته، تلك سنة الله في خلقه، ولذا فهي سنة الحياة وناموسها، فلا ديمومة ولا أبدية لبشرٍ أو حجر، لا سرمدية لنباتٍ أو لحيوانٍ أو لكائنٍ من كان، فالدوام لله العلي المتعالي. هو ناموس يسري على كل شيءٍ في الكون الفسيح، فدوام الحال من المحال. وهكذا، بعد أن نشأت مكتبة الإسكندرية القديمة ونمت وتطورت وأنارت الدنيا بنور علمها، وجابت شهرتها الآفاق؛ حان ميعاد زوالها، ودقت ساعتها إيذانًا بالرحيل والانزواء والاختفاء والاندثار، حان موعد غروب شمسها حيث أكملت دورة حياتها، وأدت رسالتها، وبلغت أمانتها، وأضاءت الدنيا، وغمرت العالم بنور العلم والمعرفة؛ توهجت ثم خفتت وخبت واندثرت واختفت وكأنها لم تكن بالأمس ملء السمع والبصر. ولقد تعددت الأسباب والاندثارُ واحدٌ.

فقد اختلف الباحثون والمؤرخون والمحللون في أسباب اختفاء مكتبة الإسكندرية فجأةً من السجلات والكتب التاريخية وكأنها طائرة اختفت فجأة من على شاشات الرادار المتتبع لها. وعبثًا يحاول المجتهدون معرفة مصيرها وكيف اختفت، وكيف كانت لحظات السقوط والتدمير والاندثار. ولكن كل ما وصلنا من تحليلات لم يخرج عن حيّز الاجتهادات؛ الأمينة أحيانًا والمغرضة أحيانًا أخرى، وتعددت الأقاويل، وتضاربت التحليلات، وأُلقيت الاتهامات الجزافية دون سند حقيقي أو دليل قاطع؛ فمرة تُلصق تهمة تدمير المكتبة بالقائد العربي عمرو بن العاص عند دخول العرب مصر في عام ٤٦١م، ومرة ثانية تُلقى تهمة تدمير مكتبة الإسكندرية القديمة على بابا الإسكندرية أثانسيوس إبان العصر المسيحي، وأخرى يُتهم القائد العسكري الروماني يوليوس قيصر إبان حرب الإسكندرية في عام ٤٨ق.م. وفي الحقيقة، فإن جميع الباحثين – على اختلاف مشاربهم وتعدد مدارسهم – لم يقدموا لنا جوابًا شافيًا ولا رأيًا قاطعًا يجعلنا نشير بأصابع الاتهام لشخصٍ محدد أو لجهةٍ بعينها دون غيرها.

ولعل الثابت هو أن مكتبة الإسكندرية لم تتعرض لضربةٍ مفاجئة، ولم يتم تدميرها دفعةً واحدة، وإنما تعرضت للتدمير التدريجي عبر سنين عدة؛ حيث توالت عليها النكبات في فتراتٍ متعاقبة، بدايةً من عام ٤٨ق.م، نكبةٌ تلو أخرى حتى دُمرت واندثرت تمامًا في آخر الأمر. ولقد كانت أولى النكبات في عام ٤٨ق.م أثناء حرب الإسكندرية التي خاضها يوليوس قيصر ضد الملك البطلمي بطليموس الثالث عشر لاستعادة عرش مصر للملكة كليوباترا السابعة من أخيها الملك الطفل، الذي اغتصب عرش البلاد من أخته بمساعدة الأوصياء عليه. وأثناء احتدام القتال قام قيصر بحرق أكثر من مائة سفينة كانت راسية على شاطئ البحر أمام مكتبة الإسكندرية القديمة، وامتدت النيران إلى المكتبة فأحرقتها وأصابتها إصابة بليغة، ولكنها لم تقضِ عليها نهائيًّا، فالنيران يمكنها أن تأكل لفائف الكتب، ولكنها لا يمكنها تدمير مبنى المكتبة ذاته المصنوع من الحجارة، فالنيران تأكل الورق ولكنها لا تأكل الحجر. ولكن على ما يبدو فإن هذا الحريق – وإن لم يقضِ على مكتبة الإسكندرية القديمة تمامًا – فإنه كان أول مسمارٍ يُدق في نعش المكتبة القديمة، تبعته نكبات أخرى تعاقبت على المكتبة القديمة، كان أشدها وأعنفها في عام ٣٩١م عندما أمر الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول بتدمير المكتبة. ثم توالت الضربات الواحدة تلو الأخرى حتى خرَّت المكتبة القديمة مسلمة الروح بعد حياةٍ حافلة استمرت قرابة ثمانمائة عام.





حصون الإسكندرية في العصر الإسلامي

الدكتور محمد حسام الدين إسماعيل
ترجمة: خلود سعيد

(ترجمة من الإنجليزية لدراسة من «نشرة جمعية الآثار بالإسكندرية»، «دراسات سكندرية – في ذكرى داود عبده داود» رقم ٤٥، ١٩٩٣م).

تمتعت الإسكندرية بأهمية سياسية وعسكرية عظمى منذ تأسيسها على يد الإسكندر الأكبر، وأصبحت العاصمة البطلمية بعد وفاته. وفي العصر الروماني كانت عاصمة مصر، ثم بعد انتقال العاصمة إلى الفسطاط في مصر الإسلامية أصبحت ميناءً بحريًّا. وكانت الإسكندرية مسرحًا لهجمات البيزنطيين منذ بداية الفتح الإسلامي لمصر، ثم موقعًا للحملات والغارات الصليبية خلال العصرين المملوكي والأيوبي. وقد تبع هذا هدم المماليك لأسوار دمياط، وتضييق فرع نهر النيل هناك حتى إنه لم يعد يسمح بمرور السفن الكبيرة.

ومنذ هذه النقطة الزمنية في عصر المماليك، بدأت الإسكندرية في استعادة بعض أهميتها السياسية والعسكرية، بالإضافة إلى أهميتها التجارية التي عضدتها قناة الإسكندرية (ترعة المحمودية)؛ وهي ممر مائي يربط بين الإسكندرية ونهر النيل، ويحمل البضائع المستوردة والمُصدَّرة من وإلى المدينة. ومن ثمَّ، كانت نقطة التقاء الشرق والغرب حتى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. ودخلت بعدها الإسكندرية في حالة جديدة من الخمول، لكنه لم يصل إلى درجة التدهور. وقد ازدهرت مدينتا دمياط ورشيد كميناءين هامين على البحر المتوسط؛ وذلك نظرًا لقربهما لسواحل سوريا وكذلك إسطنبول؛ عاصمة الدولة العثمانية. وتضاءلت أهمية الإسكندرية لأسباب عديدة لا مجال لذكرها هنا، لكن أبرزها عدم ملاءمة ترعة المحمودية لأغراض التجارة والنقل المُوسّعة. وقد ظلت المدينة على هذا الحال حتى عهد محمد علي؛ مؤسس مصر الحديثة، في بداية القرن التاسع عشر ميلاديًّا؛ حيث أعاد للإسكندرية ثقلها السياسي والعسكري السابق. واستمر أبناؤه وأحفاده على نفس المنوال حتى أصبحت الإسكندرية العاصمة الثانية للبلاد.



وإذا ما تتبعنا تطور حصون الإسكندرية وأسوارها منذ دخول عمرو بن العاص مصر في القرن السابع الميلادي، نجد مبالغة المؤرخين في توصيفها. فبينما يعتقد البعض أن المدينة كانت تحيطها سبعة أسوار، يذهب آخرون إلى أن الإسكندرية في الحقيقة ثلاث مدن، لكلٍّ منها سور قائم بذاته، ويحيط بها جميعًا سور واحد كبير. وربما ترجع هذه الاختلافات إلى طول مدة حصار عمرو بن العاص للإسكندرية على مدار تسعة أشهر؛ حيث بدأ في ربيع الأول أو جمادى الآخرة عام ٢٠هـ/ ٦٤١م، وانتهى في بداية محرم من العام التالي/ ديسمبر ٦٤١م. لكن من المُؤكد أنه كان للمدينة سور مزدوج؛ حيث ذكر المقريزي أن البيزنطيين قد حصّنوا أنفسهم بداخله.

وبعد الفتح الإسلامي للإسكندرية، جاء البيزنطيون بحملة على المدينة في بداية عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م بمساعدة من تبقى منهم في المدينة، وهم بهذا خرقوا العهد الذي بموجبه سُلِّمت المدينة إلى عمرو بن العاص. فأرسل عثمان بن عفان؛ خليفة المسلمين، عمرو ثانيةً إلى الإسكندرية «فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو». وأدرك عمرو حينها أنه كان يجدر به هدم أسوار المدينة حين كانت له أول مرة، فأقسم «لئن أظهره الله عليهم ليهدمن سورها، حتى تكون كبيت الزانية يؤتى من كل مكان». وكان له ما أراد؛ حيث تمكّن من السيطرة على الإسكندرية وطرد البيزنطيين وهدم أسوارها. ومن كل ما تقدم بناءً على مؤرخي العصور الوسطى، نتبين مدى صلابة أسوار الإسكندرية حين دخول المسلمين المدينة في منتصف القرن السابع الميلادي.

ولا يذكر مؤرخو العصور الوسطى أسوار المدينة ثانيةً بعد الفتح الإسلامي لمصر إلا في عصر الفاطميين في خضم الاحتجاجات. ولا تذكر المصادر أي شيء عن إصلاح أسوار المدينة بعد تهدمها، لكن ليس هناك شك على إعادة بنائها، إما حول أجزاء المدينة المأهولة بالسكان ومؤسسات الدولة، أو كما كانت في عصر البيزنطيين وقت الفتح الإسلامي وما تلاه من هجرة الكثير من السكان. ولكن يُؤكِّد المؤرخون الحداثيون، اعتمادًا على علي باشا مبارك، على إعادة بناء الأسوار على يد أحمد بن طولون خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

ويذكر المؤرخون من عصر الفاطميين أسوار الإسكندرية، خاصةً مع الإشارة إلى عهد نزار بن المستنصر وخلافه مع الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م بعد وفاة الخليفة المستنصر وتولي ابنه المستعلي الحكم بدلاً من أخيه الأكبر نزار؛ حيث حصَّن نزار نفسه وراء أسوار المدينة لما يربو على عام. ويمكننا تتبع تأثير هذه الفترة على أسوار الإسكندرية من خلال الإصلاحات التي قام بها والي المدينة المؤتمن عام ٥١٧هـ/ ١١٢٣-١١٢٤م. ويُؤشِّر كل ما سبق على قوة أسوار الإسكندرية في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. كما يذكر المؤرخون بناء الوزير الفاطمي ضرغام بن عامر لبرج في باب البحر، والذي احترق لاحقًا في هجوم القبارصة عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م. كما يُؤكِّد حصار كلٍّ من الصليبيين والوزير الفاطمي شاور لصلاح الدين الأيوبي في أواخر الدولة الفاطمية على صلابة أسوار الإسكندرية؛ حيث حصَّن صلاح الدين نفسه بمصاحبة عمه أسد الدين شريكوه لأربعة أشهر في عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧-١١٦٨م، ولم ينجح الصليبيون في اختراق الأسوار طوال هذه المدة.

وخلال العهد الأيوبي، أولى صلاح الدين اهتمامًا كبيرًا بأسوار المدينة، وهو الاهتمام الذي أبداه منذ كان وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد؛ حيث زار المدينة عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠-١١٧١م، وأمر ببناء الأسوار والأبراج والبدنات، وتابع العمل بنفسه حتى انتهائه عام ٥٧٧هـ/ ١١٨١م. ونقل أسد الدين قراجا؛ والي الإسكندرية، ٤٠٠ عمود كانت حول عمود السواري إلى ساحل المدينة ليعزز تحصيناتها ويقطع الطريق على السفن الحربية التي ربما تحاول غزوها.

وقد تزايد الاهتمام بميناء الإسكندرية منذ بداية الدولة المملوكية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؛ حيث هدم المماليك أسوار مدينة دمياط، وأمر السلطان الظاهر بيبرس بردم فم فرع دمياط لنهر النيل حتى لا يسمح بمرور السفن الكبرى عقب حملة لويس التاسع في نهاية العصر الأيوبي. كما أولى بيبرس اهتمامًا كبيرًا بأسوار الإسكندرية وفنارها حتى أصبحت المدينة قادرة على صد الهجمات الصليبية.

ويمكننا أخذ فكرة عن حجم سور الإسكندرية من وصف المقريزي لما تهدم جراء زلزال ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م؛ حيث ذكر أنه «هدم ستًّا وأربعين بدنة وسبعة عشر برجًا» والتي أعيد بناؤها.

كما تأثر بالزلزال فنار الإسكندرية، الذي لعب دورًا كبيرًا في كشف سفن العدو عن بعد؛ وشرع السلطان الناصر محمد بن قلاوون في بناء فنار جديد على قمة لسان السلسلة. وأُرجِّح أنه نفس القلعة التي ظلت أنقاضها على طرف اللسان؛ حيث تظهر آثارها على خرائط القرن التاسع عشر وما قبله. كما شيّد الأمير صلاح الدين خليل بن عرام؛ نائب (والي) الإسكندرية؛ سورًا حولها قبل المعركة مع القبارصة عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م؛ حيث تذكر المصادر أن القبارصة قد اقتلعوا بوابة السور.

ومن الواضح أن الفنار لعب دورًا هامًّا في الدفاع عن المدينة أمام هجمات بقايا الصليبيين في قبرص ورودس، وكذلك في التحصين ضد الهجمات العثمانية المتوقعة منذ عهد السلطان قايتباي في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

وفي وثيقة باسم الأمير يشبك من مهدي (الدوادار الكبير) في عهد السلطان الملك الأشرف أبي النصر قايتباي بتاريخ ٩ ربيع الأول ٨٨٥هـ/ ١٩ مايو ١٤٨٠م، أُعتبرت قطعة أرض زراعية وقفًا للبرج الأصغر خارج الإسكندرية. وغطى الوقف تكاليف صيانة البرج الذي شيده السلطان قايتباي ومرتبات الجنود والحراس وبقية العاملين. وكانت مخصصات الوقف كما يلي:

- ١٠٠٠ درهم شهريًا لعشرين جنديًا مسلحين ومقيمين داخل البرج و«مستعدين للقتال والجهاد في سبيل الله»، وكان أحدهم مسئولاً عن الأسلحة وصيانتها.
- ٢٠٠٠ درهم لأربعة أشخاص (٥٠٠ لكلٍ منهم) مسئولين عن البارود والنافتا المستخدمَيْن في المدافع والمجانيق.
- عوائد ضريبة الخراج من خُمس أراضي كنيسة الغيط، وتُقدَّر بحوالي ٤٥٠٠٠ درهم سنويًا تُخصص لقائد الجنود وللمعدات، ويُدفع منها ٢٠٠٠ درهم شهريًا لأربعة حراس (٥٠٠ لكلٍ منهم)؛ اثنين بالخارج ومعهما الطبول، واثنين يقيمان بداخل البرج لإعلامهم عند مجيء العدو.
- ١٠٠٠ درهم شهريًا لحارسين مقيمين (٥٠٠ لكلٍ منهما).
- ١٠٠٠ درهم شهريًا لإمام يؤم صلاة الجماعة للمقيمين في البرج.
- ١٠٠٠ درهم شهريًا لمؤذن، لرفع نداء الصلاة.
- ١٠٠٠ درهم شهريًا لفراشين، للنظافة وفرش السجاد وإضاءة المصابيح... إلخ (٥٠٠ لكلٍ منهم).
- ٥٠٠ درهم شهريًا لبواب مقيم.
- ٥٠٠ درهم شهريًا لسقا مقيم.

وقد أدرج الأمير يشبك مختلف مناحي الصرف للجنود وباقي العاملين بوظائف مساعدة للحفاظ على العداد والمعدات، وتبع ذلك بإدراج كل حدود الصرف وفقًا لأسعار الوقود والخبز... إلخ، مما يُوضِّح كل المناصب بالقلعة وعدد الجنود بالتقريب في القلعة وموانئ أخرى. وتُبيِّن الوثيقة أيضًا أن الفنار الذي بناه السلطان الناصر بن محمد أصبح قلعة حصينة أمام الفنار القديم الذي أصبح بدوره قلعة السلطان قايتباي. كما تشير الوثيقة أيضًا إلى أن الأمير يشبك هو من أعاد النظام إلى القلعة ومعها قلعة قايتباي لإحكام دفاع الميناء الشرقي.

مضت الحقبة العثمانية في الإسكندرية بدون أحداثٍ تُذكر حتى مجيء الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر، حين اكتست المدينة القديمة (المدينة العربية) بالصمت؛ حيث تركها معظم سكانها إلى جزيرة فاروس خارج أسوار المدينة الأصلية. وأصبحت معظم الأسوار أنقاضًا، حتى إن جنود الحملة الفرنسية قد قلقوا على حال المدينة التي طالما سمعوا عنها. وقد جاء هذا التدهور بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي؛ حيث عكف السلاطين المماليك، وخاصةً السلطان برسباي على مصادرة البضائع في طريقها إلى أوروبا وفرض الضرائب على التُّجار. كما كان لقلة الاهتمام بترعة المحمودية بالغ الأثر على استقرار السكان في المدينة.



الحي التركي.





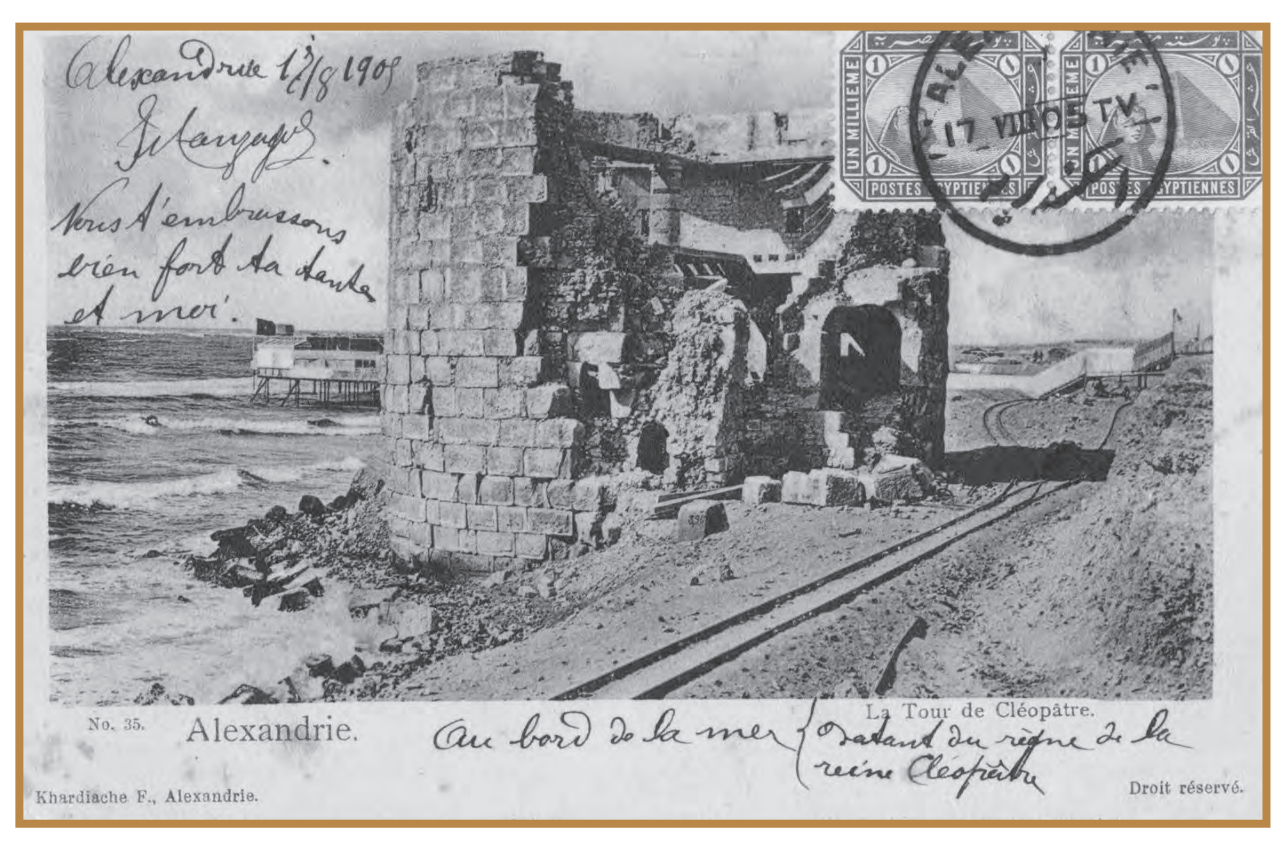
صورتان للحي التركي.



وقد تولت الحملة الفرنسية أعمال الإصلاحات والتحصين لأسوار الإسكندرية؛ وهو نفس ما قام به محمد علي في بداية القرن التاسع عشر عندما أعاد إعمار أسوار المدينة، وأصلح نظام التحصين على الساحل من منطقة العجمي إلى مدينة رشيد، حتى إن عدد القلاع حول الإسكندرية وصل إلى خمس وعشرين قلعة. وقد ظلت هذه الأسوار باقية حتى عام ١١٢٦هـ/ ١٨١١م عندما هدم محمد علي معظمها من أجل إنشاءات جديدة.

يتضح مما تقدم أن أسوار الإسكندرية شهدت مختلف العصور الإسلامية منذ فتح عمرو بن العاص مرتين حتى القرن التاسع عشر، مرورًا بفترات ازدهار وتدهور، واهتمام وإهمال. ويمكننا تصور تصميم هذه الأسوار من كتابات مؤرخي ورحالة العصور الوسطى وخرائطهم.

فقد امتد السور من الميناء الشرقي عند لسان السلسلة شرقًا حتى جزيرة فاروس غربًا (ميدان المنشية حاليًّا) حيث يقابل السور الشمالي، وجنوبًا من كوم الناضورة (غرب الشاطبي حاليًّا). وكما أشرنا تكوّن السور من سور خارجي وآخر داخلي يحيط بالمدينة. ويتبقى الآن بضعة أمتار فقط من السور الشرقي في حديقة الشلالات تشرح طبيعة هذا السور المزدوج. ومما يثير الحزن أننا فقدنا أحد عشر مترًا من هذا الجزء مؤخرًا، وأتمنى الحفاظ على ما تبقى منه شاهدًا على السور المزدوج للمدينة القديمة.




جزء من السور الشمالي؛ حصن/ برج الرومان.





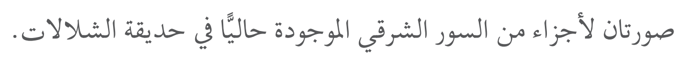
أجزاء من السور الشرقي الموجودة حاليًّا في حديقة الشلالات.

حديقة الشلالات وتظهر فيها أجزاء من سور مدينة الإسكندرية.

3 *ALEXANDRIA. — General view of the Gardens. — LL.*







صورتان لأجزاء من السور الشرقي الموجودة حاليًا في حديقة الشلالات.

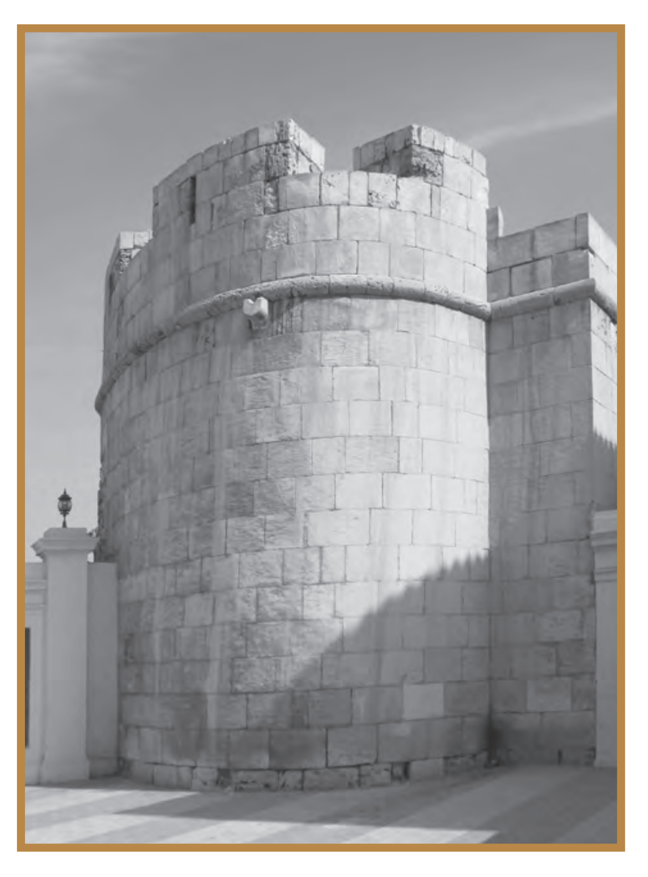


وقد ضمت الأسوار عدة بوابات فقدناها جميعًا، وهي:

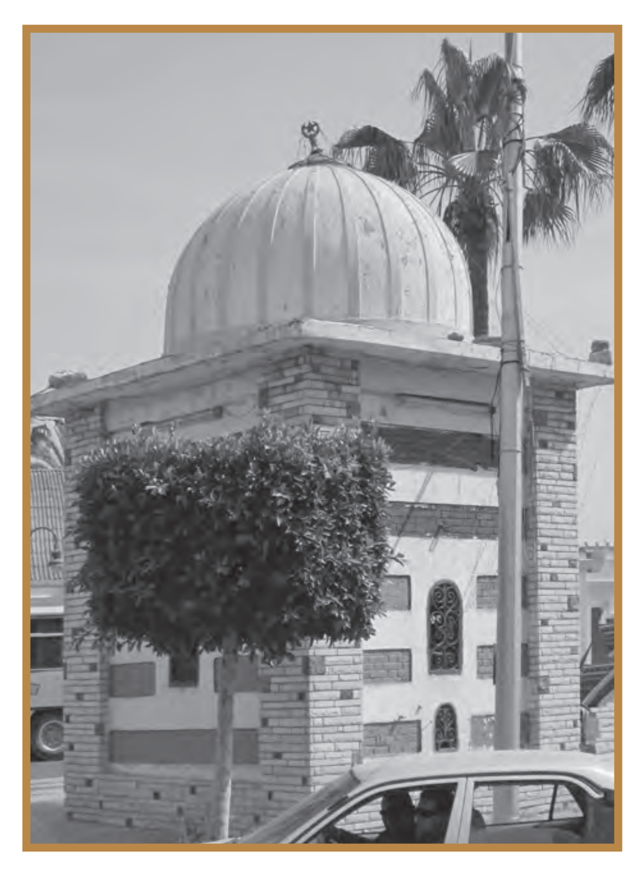
- باب البحر في السور الشمالي، الذي عُرِف أيضًا بباب أشتوم وباب السلسلة وباب الساحة، وكان يفتح على الميناء الشرقي. وقد وصفه النويري السكندري حين دخل الأشرف شعبان المدينة عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م بأن له ثلاث بوابات.
- الباب الأخضر في السور الشمالي غرب باب البحر، وكان برج ضرغام يقع غربه لحمايته.
- باب الديوان شرق باب البحر.
- باب القرافة وبه باب خوخة في السور الغربي بجوار الباب الأخضر، وهو الباب الذي دخل منه القبارصة إلى المدينة عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م.
- باب الزهري في السور الجنوبي، الذي سُمي على اسم الشيخ محمد الزهري (توفي في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي). ويبقى أحد أبراجه حتى اليوم بداخل سور إستاد الإسكندرية، وهو برج شبه دائري من الحجر الكلسي (الجيري) يشبه بوابات القاهرة. وتقع بقايا السور الجنوبي شرق البرج.
- باب سدرة في الطرف الغربي للسور الجنوبي، ويُعرف أيضًا بباب العمود وباب السواري وباب الشجرة – في إشارة إلى شجرة السدر التي كانت بجانبه – أو باب البُهار؛ حيث كانت قوافل التوابل القادمة من الجنوب تدخل المدينة من خلاله.
- باب الرشيد في السور الشرقي، ويُعرف أيضًا بباب القاهرة، وهو الباب الذي كان يدخل منه السلاطين المماليك. وكان به برجان شبه دائريين كما يظهر في أعمال الفنان لويس فرانسوا كاساس التي ترجع لعام ١٧٨٥م، وتهدم هذا الباب عام ١٨٨٥م. وما زالت بعض أجزاء السور الشرقي باقية إلى اليوم بأبراجها في حديقة الشلالات، ولكنها غير مرتبطة بالسور كما كانت سابقًا. وقد سبق وتولت لجنة الحفاظ على الآثار العربية ترميم هذه البقايا.



أجزاء من السور الجنوبي.



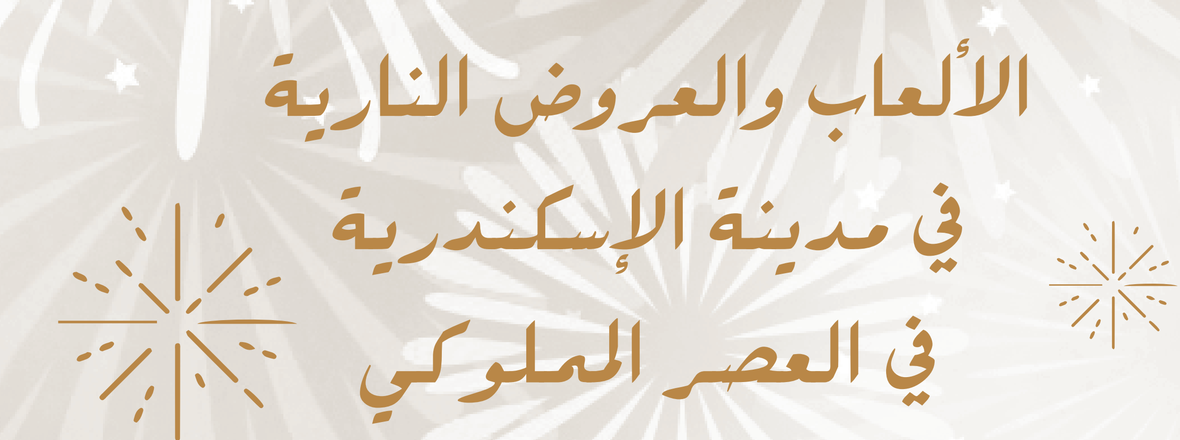
أجزاء من السور الشرقي وبقايا داخل أسوار إستاد الإسكندرية.





ضريح الشيخ محمد الزهري.

أجزاء من السور الجنوبي، وجزء من بوابة الزهر ي.

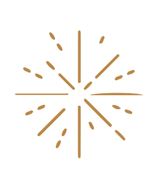


الألعاب والعروض النارية في مدينة الإسكندرية في العصر المملوكي

لمياء يعقوب السنوسي







الألعاب النارية تعبير يخطف الأبصار والأسماع بمجرد النطق به؛ وذلك لارتباطه في الأذهان بالعروض الرائعة التي تشهدها السماء أثناء الاحتفالات والمناسبات المختلفة. وتعد الألعاب النارية موضوعًا شيقًا؛ فقد تميز بكونه رابطًا بين الماضي والحاضر، فلا نزال نستمتع بتلك العروض الممتعة الخاصة بالألعاب النارية حتى يومنا هذا. وقد كان استخدام المماليك للألعاب النارية دائمًا ما يثير الدهشة ويدفع إلى التساؤل: هل عرف المماليك الألعاب النارية حقًّا؟! وقد كان هذا سببًا كافيًا ودافعًا قويًّا إلى البحث في تاريخ الألعاب النارية خلال العصر المملوكي وبخاصة في مدينة الإسكندرية.

وقد استخدم المماليك الألعاب النارية في البر والبحر على حدٍّ سواء. فقد استخدمت في الشوارع والميادين وعلى ضفاف النيل وشاطئ البحر والبرك وكذلك الجزر. ونظرًا لتميز العصر المملوكي بوجود العديد من أماكن التنزه، فقد حرص المماليك على الخروج إلى المتنزهات والمفترجات المختلفة للاستمتاع بعروض الألعاب النارية الرائعة. ومما يسترعي الانتباه أن المصادر التاريخية المملوكية قد تطرقت إلى تلك المبالغ الطائلة التي كانت تنفق في الاحتفالات عمومًا والألعاب النارية خصوصًا. هذا، وقد استنكر بعضُ المؤرخين ذلك البذخ وعده دليلاً قاطعًا على إسراف المماليك.

هذا، ولم يكن استخدام الألعاب النارية كأحد أهم مظاهر الاحتفال الغرض الوحيد منها. فقد كان لها دور بارز كضرب من ضروب الترفيه، وكذا كوسيلة من وسائل استعراض القوة خلال حكم المماليك كما سبق ونوهنا. وجدير بالذكر أن عروض الألعاب النارية لم تكن حكرًا على السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة، بل حرصت العامة على حضور تلك العروض في مختلف المناسبات.







شجرة النفط.

وبالرغم من ارتباط الألعاب النارية عادةً بالبهجة والسعادة فإن الأمر لم يخلُ من بعض الحوادث الأليمة التي تعكر الصفو. فقد ذكرت المصادر التاريخية المملوكية بعض الحوادث التي انتهت إما بالإصابة أو حتى الموت.

وبالحديث عن الألعاب النارية زمن سلاطين المماليك، فلا بد من التنويه إلى أن هذا المصطلح يتضمن أي استخدام للنار في الهزل خلال هذا العصر. وحقيقة القول، فقد تعددت أنواع الألعاب النارية في تلك الفترة فكان منها «إحراقة النفط»؛ ذلك التعبير الذى استخدم في العديد من المصادر التاريخية المملوكية للإشارة إلى العروض الرائعة الخاصة بالألعاب النارية. وجدير بالذكر أن كلمة نفط في هذا السياق تشير إلى البارود؛ ذلك المسحوق الذي لطالما ارتبط بالألعاب النارية. وقد عرف المماليك أنواعًا عديدةً من «عيارات النفط»، أو بعبارة أخرى وصفات البارود، تلك التي كانت تُحرق في «إحراقة النفط» لتنير الأجواء بأضواء مختلفة الأشكال والألوان، وتدوي بأصوات يملأ صداها الآفاق، فتحاكي بذلك الطبيعة في ضوء برقها وصوت رعدها.

هذا، وقد نظم المؤرخ ابن إياس في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» قصيدة في وصف إحراقة النفط، تعد من أجمل وأشمل ما قيل:

وَكَمْ رَأَيْنَا قُلَاعًا في دَخَائِرِهَا ... صَوَارِخُ بِضِيَاءٍ في الجَوِّ مَنْشُورِ

كَوَاكِبُ النِّفْطِ قَدْ حَاكَتْ لَنَا قَمَرًا ... بِضوءِ زَهْرٍ بَدَا في المَاءِ مَنْثُورِ

قُلُوبُ أَزْيَارِهِ صَارَتْ مُفَرْقَعَةً ... مِنْ وَهْجِ نِيرَانِهَا في زِيٍّ مَقْهُورِ

وَصَوْتُ بَارُودِهِ مِثْلُ الرُّعُودِ إِذَا ... مَاصَرَّخُوهُ يُحَاكِي نَفْخَةَ الصُّورِ

أما عن القائمين على الألعاب النارية فهم تلك الفئة المسئولة عن النفط، وقد عرفوا في المصادر التاريخية المملوكية بالزراقين أو النفاطين أو النفطية أو البارودية. وقد كانوا مسئولين عن صناعة النفط وعن عروض الألعاب النارية خلال الاحتفالات والمناسبات المتنوعة. أما عن الملابس الخاصة بتلك الفئة فكان ولا بد أن تكون واقيةً من النيران لتتناسب مع طبيعة عملهم. فلا شك أن عروض الألعاب النارية تتطلب ملابسَ معينةً مطليةً بطلاءٍ واقٍ من النار لحمايتهم من أخطار النيران. هذا، وقد أوردت المخطوطات الحربية المملوكية العديد من الوصفات لمثل هذا النوع من الأطلية. وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن تلك الأطلية كانت السر الذي استخدمه القائمون على الألعاب النارية في معظم حيلهم النارية.



القائمون على الألعاب النارية.

هذا، وقد تنوعت الأدوات المستخدمة خلال العروض المختلفة للألعاب النارية؛ حيث عدَّد المؤرخ ابن إياس في أحداث سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م بعض أدوات الألعاب النارية بقوله:

«ثم صنع السلطان في تلك الليلة إحراقة فكان مصروفها نحوًا من مئة وسبعين دينارًا مثل إحراقة نفط المحمل التي كانت تُصنع بالرملة قدام القلعة، فشقوا بالنفط من القاهرة وهو مزفوف وقدامه الطبول والزمور، فكان عدة قلاع النفط خمسين قلعةً، والمواذن ستين مئذنة، وأزيار عشرة، وجرر أربعين جرة، وصواريخ كبار ثلاثمائة، ومأويات ألفًا ومائتين، وشجرات عشرة، وتنانير عشرين، وقطع ألفين، وشعل أربعين، فلما وصلوا بالنفط إلى شاطئ البحر أنزله في خمسين مركبًا، وصفوا المراكب قبالة المقياس عند البهطلة، ورسم السلطان للأمراء المقدمين بأن يحضروا طبلخاناتهم في مراكب عند المقياس، ففعلوا ذلك، فكان حس الطبول والزمور مع الكوسات مثل صوت الرعد القاصف، فلما صلى السلطان صلاة العشاء جلس على سطح القصر الذي أنشأه على بسطة المقياس، والأمراء حوله، وأحرقوا قدامه النفط، وكان النيل في ثلاثة أصابع من عشرين ذراعًا، وكانت ليلة البدر، فكانت تلك الليلة، فدقت كوسات السلطان مع كوسات الأمراء المقدمين، وهم أربعة وعشرون مقدم ألف، فقاموا في صعيد واحد

صفه برج النفط والزهورات المختلفه

الالوان والطيارات والكر

برج النفط بوصفات البارود المختلفة.





عند إحراق النفط، فكانت تلك الليلة لم يُسمع بمثلها فيما تقدم، ولم يقع لأحد من الملوك قبله مثل هذه الواقعة... وخرجت البنت في خدرها حتى تنظر وقدة السلطان وحراقة النفط، فأقام السلطان في المقياس يوم الأربعاء ويوم الخميس إلى بعد العصر ثم طلع إلى القلعة».

الألعاب النارية بمدينة الإسكندرية

مدينة الإسكندرية أحد أهم الثغور المصرية في العصر المملوكي؛ وذلك لما لها من موقع استراتيجي على البحر المتوسط، لذلك فقد حظيت باهتمام سلاطين المماليك فعنوا بحراستها وتحصينها. وقد بينت المصادر التاريخية المملوكية ما كان للألعاب النارية من دور بارز كأحد أهم وسائل استعراض قوة السلطنة المملوكية داخليًّا وخارجيًّا. فقد أشار المؤرخ النويري السكندري إلى استخدامها بألوانها المختلفة أثناء حراسة ميناء الإسكندرية في عام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م؛ وذلك إظهارًا لقوة حامية الثغر المسئولة عن صد أية هجمات معادية بقوله:

«وذلك أن نائبَ السلطانِ بثغرِ الإسكندرية، وهو الأمير خليل صلاح الدين بن عرَّام، كَان غَائبًا عن الثغر المذكور بالحجاز الشريف بسبب الحج، وكان نائبًا عنه فيه بإشارة الأمير الأتابكي يلبغا الخاسكي أمير يسمى جنغرا. فلما دخل جنغرا المذكور الإسكندرية رأى طوائفها المتطوعة الحارسة لمينائها تبحر عليه بالجزيرة بقسيهم الجرخ الموترة، وأعلامهم الحرير المنشورة، مع ما بأيديهم من المزاريق والرماح، والدرق والصفاح، والزرد النضيد، ومصفحات الحديد، والنفط الطيار الصاعد منه لهب النار، وهم بملبوسهم المختلف الألوان كالزهر في البستان. فلما عاينهم جنغرا بكى وقال: هؤلاء أهل الجنة لرباطهم وجهادهم في سبيل الله، قد طاب والله العيش بقوة هذا الجيش. لو أتى إلى الإسكندرية جميع نصارى الرومانية ما قدروا على هذا الجيش الثقيل على الإسكندرية، بل يكسرون النصارى ويصيرونهم قتلى وأسارى. فأقام جنغرا بالإسكندرية من شوال سنة ست وستين وسبعمائة إلى المحرم ينظر لتلك الطوائف التي لكل طائفة منها ليلة في الأسبوع تبيت تحرس بساحل الميناء، وربما بات ليالٍ في الغرفة التي على باب مسجد تربة طغية، ويقدم قدامه فانوسين أكرتين مقابل باب المسجد المذكور. وتأتي طائفة الزراقين يطلقون النفط وهو ينظر من طيقان الغرفة المذكورة إلى الشرار الطيار، واللوالب التي تدور بألوان النار من الخضرة والصفرة والبياض والحمرة. فيحصل بذلك الانشراح من العشي إلى الصباح، ويبتهج أيضًا بنظره إلى كثرة الخلائق المنتشرة على الساحل من الرماة والعوام، وقد نُصب لهم سوق فيه من أصناف المأكول يشترون ويأكلون، ومن ماء الروايا والقِرَب التي تُحمل من البلد إليهم يشربون. فإذا أصبحوا انتظمت الطائفة التي باتت تحرس مدخل البلد في همة وجلد، وكثرة ومدد، فتجتمع لدخولهم الرجال والنسوان ينظرون لأقوام كزهر بستان من حسن الملابس وبياض تلك الطيالس، فتزغرت لهم النسوان إعلانًا عند مشاهدتهن لهم عيانًا، والأبواق حينئذٍ تصرخ، والكوسات تدق، والمزامر تزمر، والأعلام منشورة، والمباخِر بالطيب معمورة ودخانها يفوح فتنبسط لتلك الروائح الأرجة كل روح، والناس في فرح وسرور لرؤية ذلك الجيش المحبور، المهتز له الشوارع والدور».

وبالإضافة إلى كونها وسيلة لاستعراض القوة، استخدمت الألعاب النارية كأحد أهم مظاهر الترفيه خلال العصر المملوكي. فقد عُرِف عن المصريين روحُ المرح وميلهم إلى اللهو والترفيه في كل زمان ومكان؛ حيث وصفهم الرحالة ابن بطوطة بأنهم «ذوو طرب وسرور ولهو» في حين ذكر الرحالة بيلوتي الكريتي «أن ماء النيل من خصائصه أن يجعل الناس دائمًا مرحين فرحين بعيدين عن الهموم والأحزان». لذلك حرص سلاطين المماليك على الخروج للنزهة بمدينة الإسكندرية من أجل الترفيه والتسلية. ففي عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، توجه السلطان الأشرف الغوري إلى ثغر الإسكندرية التي زُينت زينة حافلة لقدومه. وقد أورد ابن إياس وصفًا تفصيليًّا لهذه الزيارة بقوله:

«وأما ما كان من ملخص أخباره عند توجهه إلى ثغر الإسكندرية... دخل السلطان ثغر رشيد فأقام به إلى يوم الأحد ثم أوكب من هناك ودخل إلى مدينة الإسكندرية... فدخل العسكر وهو لابس آلة الحرب باللبس الكامل... ثم دخلت الأمراء وهم بالشاش والقماش... فشق (السلطان) من المدينة في موكب حافل فنثر بعض تجار الفرنج البنادقة على رأسه بعض ذهب وفضة، فلما شق من المدينة زينت له زينة فشروية... ثم إن السلطان خرج من باب البحر الملح وجلس بالمخيم الشريف... فلما بات بالمخيم تلك الليلة وقدوا له موادن المدينة وعلقوا على شراريف السور كل واحدة قنديل، فلما أصبح السلطان ركب وضرب الكرة على ساحل البحر الملح هو والأمراء الذين كانوا صحبته، ثم توجه وزار الصالحين الذين هناك، ثم توجه إلى البرج الذي أنشأه الأشرف قايتباي فطلع في البرج هو والأمراء، وأرموا قدامه في ذلك اليوم بالمكاحل والمنجنيق، ثم توجه من هناك وكشف على الأبراج التي بثغر الإسكندرية وعرض ما فيها من السلاح والمكاحل... ثم في ليلة الأربعاء سابع عشرة أحرق السلطان في الوطاق إحراقة نفط حافلة على شاطئ البحر الملح. ثم في يوم الأربعاء سابع عشرة رحل السلطان عن ثغر الإسكندرية فكان مدة إقامته بها يومين وليلتين».

وخلاصة القول، فقد تمتعت الإسكندرية؛ عروس البحر المتوسط، بمكانة مرموقة خلال العصر المملوكي. فقد شهدت العديد من الاحتفالات التي كان لعروض الألعاب النارية المبهرة فيها دور بارز. ومما لا شك فيه أنه كان وما زال للألعاب النارية سحرًا خاصًّا لطالما ارتبط بها على مر العصور وحتى يومنا هذا.



قارورة نفط من الزجاج.



قارورة نفط من الفخار.



قطع النفط.



قطع النفط.





واقعة غزو الإسكندرية

أكتوبر ١٣٦٥م

هاني مهنى طه

وقعت مدينة الإسكندرية ضحية للأوضاع السياسية والعسكرية القائمة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري، وللأطماع الصليبية في الشرق من جهة وللخلافات القائمة بين أمراء الدولة المملوكية من جهة أخرى. فقد تعرضت المدينة لهجوم صليبي قبرصي استغرق ثلاثة أيام، أحدث بالمدينة تدميرًا كبيرًا، وأريقت دماء الضحايا على أبوابها، وتراكمت الجثث في شوارعها، وتوزّعت الأشلاء بين أزقتها.



ولقد بدأت تلك الأحداث بمجيء بطرس؛ ملك قبرص، على رأس قوات أوروبية لغزو الإسكندرية في أكتوبر ١٣٦٥م/ المحرم ٧٦٧هـ، تصاحبه سبعون قطعة بحرية وثلاثون ألف مقاتل من البندقية وجنوة ورودس وفرنسا وقبرص، جاء بطرس في السنة الثالثة من حكم السلطان الملك الأشرف زين الدين أبي المعالي شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون، والذي تولى أمور السلطنة سنة ٧٦٤هـ - ١٣٦٢م ولم يتعدَّ عمره عشر سنوات، وذلك بعد أن اتفق الأمراء وعلى رأسهم الأتابكي يلبغا العمري (أمير كبير) على خلع ابن عمه السلطان الملك المنصور محمد «للمماجنة ولأنه يفسق في حريم الناس ويخل في الصلوات ويجلس على كرسي الملك جُنبًا وأشياء غير ذلك» كما ذكر ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»، ولم يكن للأشرف شعبان من أمور السلطنة والملك إلا الاسم فقط، فقد كان يلبغا العمري هو المدبر والمتحكم في الأمور العامة للدولة.

وبينما كان السلطان الملك الأشرف شعبان في نزهة بسرياقوس، والأتابكي يلبغا العمري في نزهة بوادي العباسة إذا بأنباء الهجوم الصليبي تصلهما يوم ٢٣ من المحرم سنة ٧٦٧هـ، والغريب أن يلبغا لم يتحرك مباشرة عندما سمع بخبر الهجوم، بل تحرك ولكن إلى بيته بالقاهرة، وتبعه السلطان إلى القلعة في يوم ٢٤ من المحرم، فقد ظن يلبغا أن تلك الأخبار ما هي إلا مكيدة من الأمير طيبغا الطويل؛ أمير سلاح، وكانت الخلافات وعقارب الفتن قد دبت بينهما - كما ذكر ابن إياس في «بدائع الزهور» - وكان الأمير طيبغا طويلاً والأمير يلبغا قصيرًا، فكان العوام يقولون: «يا طويل خذ حذرك من القصير». لذلك أصبحت الإسكندرية ضحية للخلاف بين الطويل والقصير!

والغريب أيضًا أن أنباء قد وصلت إلى أهل الإسكندرية عن احتمال غزو صليبي، وذلك قبل الغزو بعدة أشهر، فكتب بذلك الأمير صلاح الدين خليل بن عرام؛ متولي الثغر، إلى السلطان والأمير يلبغا، فلم يكن منهما اهتمام بأمر الغزو كما ذكر المقريزي في «السلوك».

وجاء بطرس بقواته في الوقت الذي كان فيه ابن عرام مسافرًا للحج وأناب مكانه الأمير جنغرا، وقد ظن الجميع أن السفن التي ظهرت أمامهم هي سفن البنادقة الذين يأتون للتجارة في ذلك



هجوم القبارصة على مدينة الإسكندرية سنة ١٣٦٥م.

الحين، ولم يمضِ وقت طويل حتى اكتشف الجميع أن هناك غزوًا للمدينة، فتأهب الناس لقتالهم، وكان الثغر قد خلا من المجاهدين، وأفقر من الحرس وحماة الدين – كما ذكر الحسن ابن حبيب في «تذكرة النبيه» – فأغلقت الأبواب ووقفت الحراسة على الأسوار، وخرجت القوات لملاقاة الجيش الصليبي صبيحة يوم الخميس ٢١ من المحرم، فلم يتحرك أحد من الصليبيين، وعندما جاء عربان البحيرة إلى المنار، وانضم إليهم الأهالي؛ نزل إليهم الملك بطرس بقواته بعدما اكتشف عدم قدرة المدينة على القتال، فحمل عليهم حملة منكرة، وركب الفرنج أقفيتهم بالسيف، ونزل بقيتهم إلى البر فملكوه بغير مانع، وقدموا مراكبهم إلى الأسوار، فاستشهد خلق من المسلمين، كما ذكر المقريزي.

ويعتصر محمد بن القاسم النويري ألمًا وحزنًا على الإسكندرية؛ حيث شاهد بنفسه ما وقع بها من قتل وتدمير وتشريد، وأورد ذلك في كتابه «الإلمام» بقوله: «فما أسرع ما أخذ الثغر، وما أعجل ما انكوى قلوب أهله بالجمر، ظفرت به الفرنج في اليوم الذي نزلوا فيه من مراكبهم إلى البر، ولا أمسك بالحصار يومين بل أخذ من المسلمين في ساعتين، وكان خروج أهل الإسكندرية من الأبواب من أعجب العجائب؛ وذلك لازدحامهم وهلاك بعضهم، فخرج من الأبواب ألوف مؤلفة فامتلأت منهم الغيطان والبلدان ونهب بعضهم العربان».

أما الأمير جنغرا الذي عجز عن صد الهجوم الصليبي، فلم يجد ما يقوم به سوى أنه أخذ ما كان في بيت المال، وقاد معه خمسين تاجرًا من تجار الفرنج كانوا مسجونين عنده ومضى وعامة الناس إلى دمنهور. ودخل بطرس المدينة يوم الجمعة ٢٢ من المحرم سنة ٧٦٧هـ وشق المدينة راكبًا، فأكثر الفرنج من الأسر والقتل والسلب وأحرقوا المساجد والزوايا والحارات والأسواق والفنادق، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام، وفى يوم الأحد خرجوا بالأسرى والغنائم إلى مراكبهم ورحلوا إلى بلادهم ومعهم خمسة آلاف أسير. أما السلطان الذي رجع إلى القلعة خائفًا على نفسه وملكه فقد نادى في القاهرة للعسكر «بالنفير عامة وكل من تأخر حل دمه وماله» بعدما ثبت صحة الخبر، فخرج الناس والعسكر أفواجًا لنجدة الإسكندرية. ومع معاناة الإسكندرية من تأخر السلطان في إرسال النجدة إليها، كان النيل في موسم زيادته، فتعطل الطريق أمام الجيش، وعندما وصل السلطان بجيشه إلى «الطرانة» بالبحيرة، جاءته الأنباء برحيل الصليبيين عن الإسكندرية، فرجع إلى القاهرة وقرر ابن عرام نائبًا على الإسكندرية مرة أخرى، وأمر بدفن القتلى، وأمده يلبغا بالأموال لعمارة ما خرب منها، وقبض يلبغا على جميع من في مصر والشام من الفرنج والبطاركة، وألزمهم بدفع نصف أموالهم إلى السلطان لتخليص الأسرى من يد الفرنج، وقرر السلطان في شهر ربيع الأول سفر بطرك النصارى إلى قبرص للنظر في تخليص أسرى الإسكندرية، كما ذكر ابن إياس.



اغتيال بطرس؛ ملك قبرص، في يناير ١٣٦٩م.



ولم تمضِ شهور قليلة حتى قدمت بعض السفن الأوروبية المحملة بالبضائع للتجارة، إلى جانب الرسل الذين جاءوا مع السفن لتجديد الصلح والعمل مع السلطان لتخليص الأسرى من ملك قبرص، بعدما شعرت تلك الدول أن ملك قبرص سيورطها في حروبه مع الدولة المملوكية، مما سيؤثر على حركة التجارة بينها وبين المماليك، وقد طلبوا رهائن عندهم من أعيان تجار الإسكندرية؛ حتى ينزلوا من مراكبهم ويدخلوا المدينة ويبيعوا ما معهم من البضائع، فخشي نائب الإسكندرية أن تكون هذه مكيدة وحيلة منهم، فأرسل يعرف السلطان بذلك - كما ذكر ابن إياس - وأجيب على طلبهم بعد أن قرر السلطان إخراج جماعة من السجن - المعروف بخزانة شمايل - كان محكوم عليهم بالقتل، وتم إلباسهم أثوابًا فاخرة، وتوجهوا بهم إلى الإسكندرية، وأشيع بين الناس أنهم من رؤساء تجار الإسكندرية، فقام نائب الإسكندرية بإرسالهم إلى الفرنج، ونزلوا من سفنهم، وسافروا إلى القاهرة لمقابلة السلطان بالقلعة، فلم يجدوه، فذهبوا إليه في نزهته بالجيزة، ولما دخلوا إليه في مقر إقامته ظنوا أن الأتابكي يلبغا هو السلطان، ولما عرفوا السلطان قدموا إليه الهدايا، وقرأوا كتاب ملكهم، فكان مضمونه أن ملك الفرنج أرسل يقول إنه تحت طاعة السلطان ومساعده على متملك قبرص حتى يرد ما عنده من أسرى المسلمين الذين أخذوا من ثغر الإسكندرية، ثم طلب ملك الفرنج في رسالته من السلطان فتح كنيسة القيامة بالقدس، والتي كانت قد أغلقت منذ الهجوم القبرصي على الإسكندرية، فوافق السلطان على ذلك، وسأله أيضًا من الموافقة على نزول تجار الفرنج إلى الإسكندرية للتجارة.

وأورد المقريزي في الخامس من شوال سنة ٧٦٧هـ قدوم رسول الملك أرخان بن عثمان؛ ملك الروم، بأنه جهز مائتي سفينة بحرية للسلطان للوقوف معه لغزو ملك قبرص، فأجيب بالشكر والثناء.

وقد ذكر ابن إياس في شهر ذي الحجة سنة ٧٦٧هـ، وصول رسل ملك جنوة برسالة تعلن تبرؤه مما فعله ملك قبرص، وبصحبتهم ستون أسيرًا كان ملك قبرص قد أهداهم لملك جنوة، وكان ملك قبرص لما أسر أهل الإسكندرية وعاد إلى قبرص قسَّم ما غنمه منها بين ملوك أوروبا، فبعث إلى ملك جنوة بهؤلاء الأسرى، فأحسن إليهم ثم أرسلهم إلى مصر. وفي شهر جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ، قَدمت رسل ملك جنوة للسلطان لتمكين تجارهم من القدوم إلى الإسكندرية للتجارة كعادتهم، فأجابهم إلى ذلك.

وكان هذا الهجوم الذي تعرضت له الإسكندرية بمثابة تذكرة للسلطان وأمرائه للاهتمام بتجهيز القوات المملوكية، فأمر يلبغا بصنع السفن البحرية اللازمة لغزو الفرنج، حتى إنه بعث إلى بلاد الشام - كما ذكر ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» - بإخراج النجارين وكل من يمسك منشارًا بيده ولا يترك واحدًا منهم، إلى جبل شغلان بالقرب من أنطاكية، ويقطعون الأخشاب ويحملونها إلى مصر، وكان المشرف على تصنيع السفن الوزير فخر الدين ماجد بن قروينة - كما ذكر ابن إياس - واكتملت عمارة السفن البحرية في شهر ربيع الأول سنة ٧٦٨هـ وعدتها مائة قطعة، واستخدم لها الأتابكي يلبغا من الرجال ما يكفيها ما بين مغاربة وتراكمة وصعايدة، ورتب لهم رؤساء ونقباء، وأنفق عليهم الرواتب اللازمة، وجهزها بالعدد الحربية وآلات السلاح، ثم وزعها على الأمراء المعينين للغزو، وخرج السلطان والأمراء والناس لرؤية السفن عند خروجها.

وقد أورد ابن إياس في شهر رمضان سنة ٧٦٩هـ، قدوم الحاج محمد التازي المغربي؛ ريس البحارة، بعد أن هاجم الفرنج واستولى على سفينة من سفنهم، وقتل وأسر جماعة منهم، وقد استقبله الأمراء وعامة الناس فرحين بما فعله، وأخلع عليه السلطان أيضًا.

ولم يتوقف ملك قبرص عن غروره وتطلعاته في غزو السواحل العربية، فقد جاء إلى غزو طرابلس في مائة وثلاثين مركبًا ومعه ملك رودس والاسبتار في أول سنة ٧٦٩هـ، وكان نائب طرابلس غائبًا، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديدًا حتى اقتحم العدو المدينة ونهبوا أسواقها - كما ذكر المقريزي - فتحامل المسلمون عليهم واشتدوا في قتالهم حتى أخرجوهم بعدما قتلوا منهم نحو الألف، واستشهد من المسلمين نحو الأربعين رجلاً، فركبوا سفنهم ومروا بمدينة إياس في مائة قطعة، فسار إليهم الأمير منكلي بغا؛ نائب حلب، وقد فرّ أهل إياس منها فدخلها الفرنج، ولما قدم نائب حلب جلوا عنها.

وأورد ابن إياس في شهر جمادى الأولى سنة ٧٦٩هـ، دخول مائة وخمسين مركبًا إلى ميناء الإسكندرية، فقام أسنبغ؛ نائب الإسكندرية، بإعاقة حركة الفرنج حتى يتبين أمرهم، وأمر بتخشيب أيديهم وإرسالهم إلى السلطان بالقاهرة لينظر أمرهم بنفسه.

وفي ذي الحجة من سنة ٧٧٠هـ، قدم الخبر بنـزول أربع قطع بحرية على الإسكندرية من الفرنج، وأنهم رموا على المدينة بالمنجنيق، فخرج إليهم ثلاثة وعشرون أميرًا، فجاء الخبر أن المغاربة والتركمان نزلوا في المراكب، وقاتلوا الفرنج، وقتلوا منهم نحو المائة، وغنموا منهم مركبًا.

وفى أول صفر سنة ٧٧٢هـ، قَدمت رسل الفرنج لطلب الصلح بينهم وبين السلطان، وأحضروا على أيديهم صورة حلف من ملك الفرنج؛ أنه لا يغدر ولا يخون فيما حلف عنه - كما ذكر ابن إياس - فأكرمهم السلطان، وأذن لهم بالعودة إلى بلادهم، وأخذ من أعيانهم رهائن سجنهم بالقلعة حتى يظهر صدق ما

قالوه في حلفهم. وفى جمادى الأولى، عادت الرسل وبصحبتهم مائة أسير من أسرى الإسكندرية، وفى شهر جمادى الآخرة سنة ٧٧٢هـ، تم الصلح بين السلطان وملك الفرنج، وقرر فتح كنيسة القيامة بالقدس، وأرسل ملك الفرنج من كان عنده من بقية أسرى الإسكندرية.

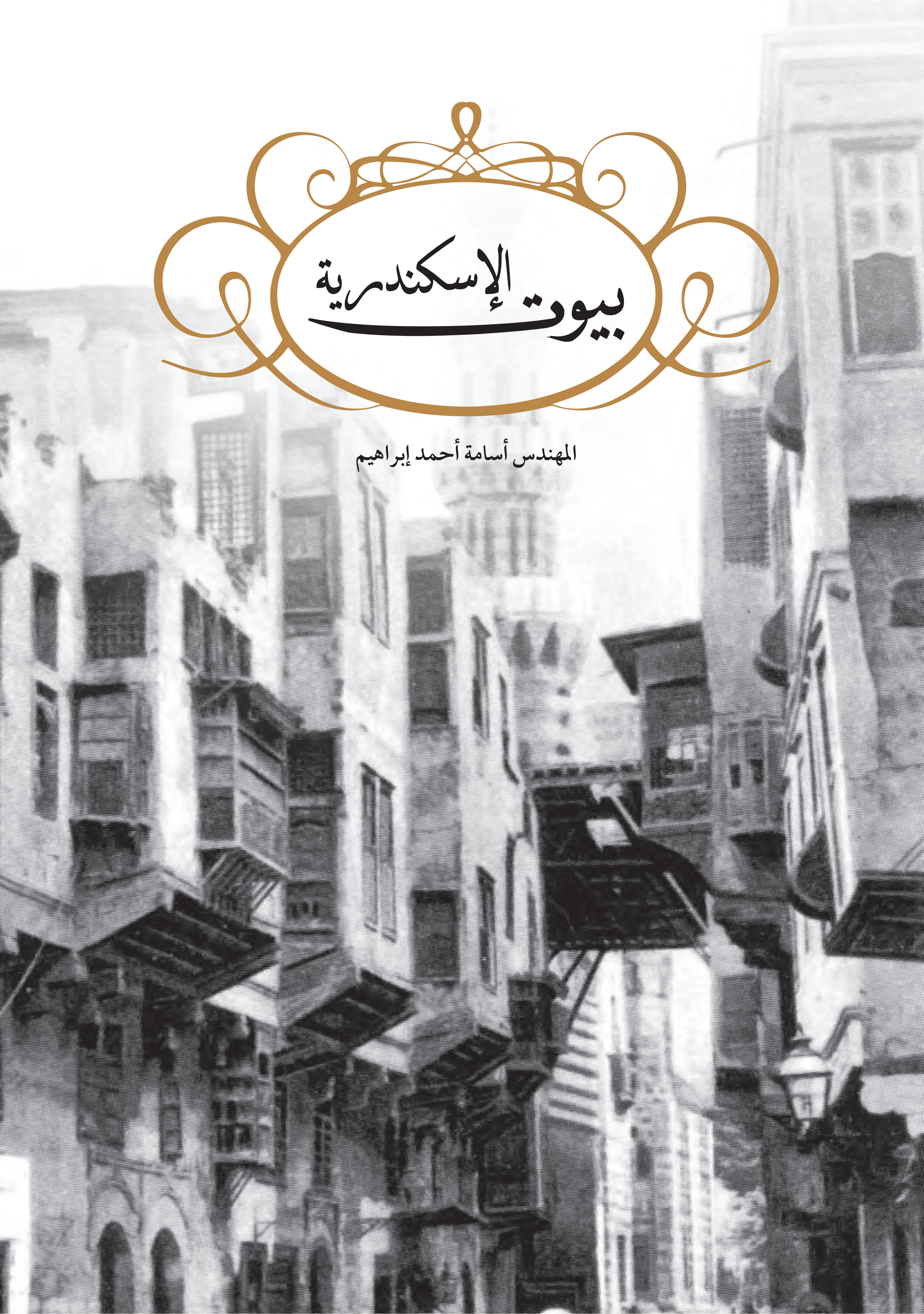
واستمرت المحاولات المملوكية للانتقام من الغزو القبرصي للإسكندرية، وقتل السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٧٨هـ وتعاقب على حكم مصر أكثر من عشرة سلاطين حتى تولى السلطان الملك الأشرف برسباي أمور السلطنة سنة ٨٢٥هـ. وبعد أربع سنوات من حكمه، وتحديدًا في يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ٨٢٩هـ؛ ورد الخبر على السلطان بأخذ قبرص وأسر ملكها جينوس بن جاك، فكاد يطير فرحًا، ورآه المؤرخ ابن تغري بردي وهو يبكي من شدة الفرح حتى بكى الناس لبكائه.

وقد وصف ابن تغري بردي الأجواء الاحتفالية بقدوم أسرى الفرنج وعلى رأسهم ملكهم، فقد نودي بالقاهرة ومصر بالزينة، وأمر السلطان بذهاب طائفة من المماليك السلطانية لحماية الثغور من أي هجوم محتمل من الفرنج لنجدة ملك قبرص، وقد بدأ دخول الغزاة إلى ساحل بولاق يوم عيد الفطر حتى اكتمل عددهم ومعهم الأسرى والغنائم وملك قبرص يوم الاثنين الثامن من شوال، وقد اجتمع الناس لرؤيتهم، ودخل ملك قبرص على بغل بقيد حديدي، وأنزلوه وهو يرسف في قيوده أمام السلطان الذي كان في انتظارهم، وأخذ ملك قبرص يقبل الأرض أمام السلطان مرات ويعفر على وجهه التراب. وفي اليوم التالي، طلب السلطان خمسمائة ألف دينار في فداء ملك قبرص أو قتله، فالتزم عنه قناصلة الفرنج في دفع الفداء، وقر له السلطان بدلتين من ملابسه وبعشرين رطل لحم في كل يوم وست دجاجات وخمسمائة درهم لحوائج الطعام مع دخول أي شخص يريده عليه، وتقرر الصلح بعد أيام على أن يدفع مائتي ألف دينار؛ مائة منها عاجلة، والمائة ألف الأخرى بعد عودته إلى بلاده، وأن يدفع كل سنة بعشرين ألف دينار جزية، وخرج جينوس بن جاك؛ ملك قبرص، بعد أن أخلع عليه السلطان خلعة السفر في يوم الخميس خامس جمادى الآخرة سنة ٨٣٠هـ.

وقد حقق الانتصار المملوكي على ملك قبرص، وإخضاع قبرص للسلطة المملوكية؛ شهرة مدوية في أوروبا، حتى إن ملك رودس قد خاف من تأثير الوجود المملوكي والقوة المملوكية القريبة منه على وضعه وملكه، فأرسل إلى السلطان برسباي يطلب الأمان وعدم الهجوم على بلاده من قِبل العساكر المملوكية، بعد أن وصلته الأخبار بالاستعدادات المملوكية للهجوم على رودس.



القوات الصليبية.



بيوت الإسكندرية

المهندس أسامة أحمد إبراهيم

تشمل منطقة الإسكندرية التاريخية مجموعات من المباني ذات القيمة التاريخية، ولها أيضًا قيمة تخطيطية ومعمارية خاصة ومميزة يرجع تاريخها إلى مجموعة من العصور المتتالية، تبدأ منذ أن أُنشئت الإسكندرية إلى أوائل القرن التاسع عشر عندما تم تسجيل هذه المنطقة (المدينة التركية) عن طريق الحملة الفرنسية على أنها المنطقة المأهولة الوحيدة بالإسكندرية. وهذه الفترة والفترة التي تليها هي التي خلفت لنا معظم المباني التاريخية والقيم المعمارية والتخطيطية التي تزخر بها هذه المنطقة. وسنعرض هنا وصفًا سريعًا للمنازل التاريخية بمنطقة الإسكندرية القديمة وطرق إنشائها، ثم التركيز على أحد البيوت ووصفه تفصيليًّا.

إن عملية وصف البيوت القديمة بالمدينة التي أطلق عليها «المدينة التركية» قد تكون عملية تكرارية؛ حيث إن كلَّ المنازل بالمنطقة لها طابع وسمات تقريبًا موحدة. وبصفة عامة، فإن البيت القديم بسيط من الخارج مغلق يطل ضلعه الصغير فقط على الشارع، وتتركز كلُّ الأنشطة فيه على الداخل في حالة وجود صحن؛ أما إذا لم يكن هناك صحن فتكون الفتحات الأساسية على الشارع. واستخدم الحجر الجيري في الأجزاء السفلى، أما الجزء العلوي فاستخدم فيه الطوب المحروق. أما أسقف البيت فقد استُخدم الخشب في تغطيتها، وغطيت بطبقة من الأسمنت أو الطين. والداخل يتكون من صحن مكشوف أو أكثر، وبه غالبًا بئر للحصول على المياه. وتتجمع حول الصحن مختلف الأجزاء السكنية فيفتح عليه الحجرات والمقعد والتختبوش والخدمات. وغالبًا ما يكون الدور الأول لرب البيت والاستقبالات اليومية ومزاولة الأعمال؛ أما الأدوار العليا فخاصة بالحريم.

وقد وُجد بالمنطقة بعض المنازل التي تقترب من استخدام ملقف الهواء في صورة شخشيخة أو بئر هواء (منور صغير) إما فوق السلم كما في منزل وقف عاشور بحارة زاوية الست نعيمة، وإما في ركن من أركان الصالة كما في منزل الكيالي. وقد وجدت بعض الفتحات العلوية في غرف المقعد التي يعتقد أنها كانت للسماح للهواء الساخن بالخروج ليحل محله الهواء الرطب البارد. ولما كانت التهوية في الحجرات - حيث لا يمكن تركيب ملاقف الهواء - تتطلب عمل فتحات كبيرة، سمحت هذه الفتحات بدخول كميات كبيرة من الضوء والحرارة في نفس الوقت. ولتخفيف حدة الضوء واستبعاد الحرارة المنعكسة لجأ معماريو هذه العصور (العصور الوسطى وما بعدها) إلى ملء الفتحات الكبيرة هذه بواسطة المخرمات من قمريات ومشربيات. والقمريات هي وحدات جصية مخرمة أو حجرية تملأ الفتحات بينها بزجاج ملون أو تترك فارغة. وبعضها يتكون من طبقتين إحداهما على الوجه الخارجي وأخرى على الوجه



الداخلي للحائط كما هو الحال في القمريات الجصية الموجودة في جامع البوصيري. أما المشربيات فمصنوعة من تعاشيق الخشب بمقاسات دقيقة محددة من حيث سعة الفتحات التي بينها؛ وهذا يضمن أكبر كفاءة في حجب الرؤية من الخارج والتقليل من شدة الإضاءة والسماح بمرور الهواء.

وقد ساعد بروز الكوابيل على تعرض الحوائط الخارجية لتيارات الهواء الرأسية والأفقية. أما استخدام المدخل المنحني بتشكيله المعروف، فيستفاد منه في عزل البيئة الداخلية للبيت عن البيئة الخارجية بكلِّ عواملها الاجتماعية والمناخية المختلفة. كذلك الاستفادة من المدخل المنحني للشخص الداخل نفسه وتهيئته للانتقال إلى بيئة مناخية داخلية أخرى. وقد ساعدت طرق الإنشاء ومواد البناء المستخدمة (وإن كان ذلك تلقائيًا) على تحقيق العزل الحراري.

وصف منزل الكيالي

يتكون من دور أرضي وثلاثة أدوار علوية. بالدور الأرضي ثلاثة مخازن وغرفة حارس. والمدخل بالدور الأرضي منحنٍ وغير مباشر ويؤدي إلى سلمين أحدهما يؤدي إلى الدور الأول، والثاني إلى الأدوار التالية. والدور الأول عبارة عن جزء الاستقبال، ويشتمل على صالة تؤدي إلى المقعد والحمام والمطبخ (المطبخ الآن يستخدم مخزنًا حيث يشغل هذا الدور عائلة كاملة مقيمة فيه). أما الدور الثاني فيتكون من غرفتين للنوم وحمام ومخزن وغرفة صغيرة جدًّا (يمكن تحويلها في عملية التحسين الداخلي إلى مطبخ). أما الدور الثالث فيتكون من صالة وغرفتين ومخزن وحمام وركن خاص بإحدى الغرفتين للمشربية.

ومنزل الكيالي له طابع خاص مميز؛ حيث يتكون من ارتفاع ثلاثة أدوار. وقد استخدم الخشب كمادة إنشائية في عمل كمرات الأسقف للأدوار، والكابولي الخشبي المستخدم في هذا المنزل يعد سمة مميزة منتشرة في منازل هذه المنطقة التاريخية. وهي منطقة غنية لا بد أن تمتد إليها يد التحسين للحفاظ على تراثها.





مسقط أفقي لمنزل الكيالي، ٢٧ زقاق ابن أبي شامة.


NICOLA FAHOURI

من أوراق رسام ومعماري فرنسي

لويس فرانسوا كاساس

وجولة مصورة في مدينة الإسكندرية عام ١٧٨٥م[١]

حسام عبد الباسط
نورة يوسف

يعد عالم الآثار السويسري إيتين كومب (١٨٨١-١٩٦٢م) بحق أحد رواد الدراسات الأثرية والتاريخية المتخصصة عن مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي مطلع القرن العشرين؛ حيث ركز في دراساته وجهوده على الكشف عن المصادر التاريخية الخاصة بهذه الفترة. وقد ساعده على ذلك توليه للعديد من المناصب العلمية في مدينة الإسكندرية التي قَدِم إليها للعمل في بداية سنة ١٩١٠- وحتى سنة ١٩١٤م - في خدمة ابني خديوي مصر في تلك الفترة؛ الخديوي عباس حلمي الثاني؛ وهما الأمير عبد المنعم والأمير عبد القادر.

إيتين كومب.

(١) نشر المقال لأول مرة باللغة الفرنسية:
Etienne Combe, “Notes de topographie et d’histoire alexandrine”, *Bulletin de la Société Royale d’Archéologie d’Alexandrie*, No. 36 (1943-1944), Alexandrie, 1946: 125-136.

ولد السيد إيتين كومب في ٢٠ مايو ١٨٨١م في مدينة جراندسون بمقاطعة فود بسويسرا؛ حيث تلقى تعليمه الثانوي في المعهد الرياضي الكلاسيكي بمدينة لوزان؛ حيث حصل على درجة البكالوريا النموذجية سنة ١٨٨٩م. ثم كانت دراسته الجامعية بكلية الآداب وكلية علم اللاهوت بمدينة لوزان؛ حيث حصل على درجة الليسانس في اللاهوت سنة ١٩٠٣م. والتحق بجامعة السوربون بمدرسة الدراسات العليا، ومدرسة اللوفر لعلم الآثار الأشورية (١٩٠٣-١٩٠٨م)؛ حيث حصل على درجة الدكتوراه الجامعية في كلية الآداب في باريس سنة ١٩٠٨م، حتى عين عضوًا مراسلاً من الخارج للمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٠٩م. ثم التحق بتعبئة الجيش السويسري سنة ١٩١٤م، ثم عاد للقاهرة في مارس ١٩١٥م، وعين بعدها مديرًا لمكتبة البلدية بالإسكندرية (١٩١٦-١٩٤٣م)، ثم مديرًا وخبيرًا لإدارة المكتبة المركزية لجامعة الإسكندرية (١٩٤٣-١٩٥٠م).

وقد كُلف كومب بإلقاء المحاضرات في التاريخ الإسلامي وعلم النقوش والكتابات العربية كأستاذ كرسي في كلية الآداب جامعة الإسكندرية (١٩٤٣-١٩٥٠م). ثم أصبح مديرًا للمعهد السويسري لبحوث الهندسة المعمارية والأثرية لمصر القديمة (١٩٥٠-١٩٦٠م)، ومديرًا إداريًّا للمعهد السويسري (١٩٦٠-١٩٦٢م).

واليوم نقدم ترجمة لإحدى مقالات المؤرخ الأثري كومب والتي نشرها تحت عنوان: «ملاحظات طبوغرافية عن مدينة الإسكندرية: كاساس في الإسكندرية»[1]، فثراء المادة العلمية المقدمة من السيد كومب بصفة عامة، وتنوع موضوعاتها وتفرقها في العديد من الدوريات العلمية المتخصصة في دراسة الآثار، إضافة إلى الإتقان والجودة العلمية في اختيار الموضوعات التي حفظت لنا العديد من المشاهدات والملاحظات الأثرية والتاريخية الهامة عن تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي؛ هو الدافع وراء تقديم هذا العمل القيم والثري لما يمثله من إضافة لتاريخ الإسكندرية باللغة العربية.

وقد مكنه توليه لمنصب مدير المكتبة البلدية (١٩١٦-١٩٤٣م) من الاطلاع على ودراسة العديد من المصادر والمراجع التاريخية الغنية بها هذه المكتبة، والتي كانت تعد درة المكتبات العلمية في مدينة الإسكندرية في هذه الفترة، هذا بخلاف القاعدة العلمية التي كان يرتكز عليها السيد كومب، والتي تأسست من خلال دراسته في جامعة السوربون بفرنسا سنة ١٩٠٣م. وقد مكنه كل ذلك من متابعة الدراسات والأبحاث التاريخية والأثرية، والبحث في متن المصادر والكتب العلمية حتى حصل على درجة الدكتوراه في تاريخ مصر العثمانية سنة ١٩٣٣م.

وقد بدأ السيد كومب عمله في دراسة تاريخ مدينة الإسكندرية وآثارها سنة ١٩١٥م، وذلك بتسجيله للعديد من الملاحظات والمشاهدات عن آثار مصر الإسلامية في شكل سلسلة مقالات في مجلة «المعهد الفرنسي للآثار الشرقية» بالقاهرة، والذي أصبح عضوًا فيه منذ سنة ١٩٠٩م. ثم بدأ في دراسة المصادر التاريخية العربية والأجنبية التي تناولت مدينة الإسكندرية، وأخذ في نشرها في شكل سلسلة من المقالات العلمية بعنوان «الإسكندرية الإسلامية»، وذلك في مجلة «الجمعية الجغرافية الملكية» بمصر (١٩٢٧-١٩٣٣م)، وكذلك دراسة التطور العمراني للمدينة في العصر الإسلامي. ثم أخذ اتجاهًا جديدًا لدراسة الكتابات والنقوش العربية، والتي كانت المادة الأثرية المفضلة للعديد من الشخصيات العلمية الأجنبية في هذه الفترة، مثل ماكس فان برشم، وجاستون فييت، وسوفاجييه، والذين اشترك معهم في إخراج موسوعة الكتابات والنقوش العربية من خلال المعهد الفرنسي للآثار. وقد نشر أبحاثه في هذا المجال في دورية الجمعية الملكية للآثار بالإسكندرية من سنة ١٩٣٦م إلى سنة ١٩٤٢م، وهي الفترة الأهم في حياة كومب العملية، وذلك عندما تحول لدراسة الآثار السكندرية بداية من سنة ١٩٢٨م. وتوالت الدراسات والمقالات الخاصة بدراسة المواقع التاريخية والجغرافية لمدينة الإسكندرية الباقية أو المندثرة بشواهدها التاريخية والأثرية (١٩٢٨-١٩٤٩م). والدراسات الأخيرة هي ما منحت السيد كومب السبق في هذا المجال؛ حيث انفرد كومب بتتبع بعض المواقع التاريخية المندثرة، وذلك من خلال تتبعه للمصادر المعاصرة للفترة الإسلامية من تاريخ المدينة، ونخص منها بالذكر «مخطوطة الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية للنويري السكندري».

وقد حققت هذه الأبحاث والمقالات كمًّا من الثراء المعرفي لم يكن قد تحقق من قبل في مجال الدراسات الأثرية السكندرية، تفوق بها كومب على أبحاث ماكس فان برشم، وماكس هرتس، أو بول كاله، وحتى المؤرخ عزيز سوريال عطية. وقد تولى كومب بفضل هذه الأبحاث العديد من المناصب وحصل على الدرجات العلمية، بداية من حصوله على درجة الدكتوراه سنة ١٩٣٣م، ثم توليه إدارة المكتبة المركزية لجامعة الإسكندرية (١٩٤٣-١٩٥٠م)، ثم شغله لمنصب أستاذ كرسي للتاريخ الإسلامي بجامعة الإسكندرية في نفس الفترة. ثم أصبح مديرًا للمعهد السويسري للآثار المصرية بالقاهرة (١٩٥٠-١٩٦٠م)، حتى توفي بالقاهرة سنة ١٩٦٢م.

(١) قام بالترجمة كلٌّ من الأستاذ حسام عبد الباسط والأستاذة نورة يوسف.





خريطة لويس فرانسوا كاساس لمدينة الإسكندرية عام ١٧٨٥م.



MER MÉDITERRANÉE
le Diamant
le Château
Mouillage des Caravelles
Port vieux
Cimetière
Cimetière
Mosquée
Aqueduc
Citernes
Jardins
Jardins de Palmiers
Ruines d'anciens Tombeaux
Catacombes
Chemin des Karawânes de Dernèh

وعلى مدار خمسين عامًا قضاها إيتين كومب في البحث والدراسة، أمدنا فيها بما لا يقل عن ثمانين دراسة، تنوعت ما بين مقالات وأبحاث وكتاب واحد وموسوعة للكتابات العربية ومشروع لتحقيق مخطوطة لم يكتمل، أثبت فيها ما له من سبق وتفرد في مجال الدراسات السكندرية الإسلامية.

وفيما يلي نص المقال المترجم:

لويس فرانسوا كاساس Louis-François Cassas رسام ونحات ومهندس معماري فرنسي، ولد في ٢٧ ديسمبر ١٧٥٦م، في أحد المباني الملحقة بقصر إلزاي دي فيرون بمقاطعة إندير. وينتمي كاساس إلى عائلة فقيرة ذات أصول من مدينة ميسلاي – ماين، وكان والده مهندس مساحة في مصلحة الطرق الملكية، ثم انتقل للعيش بالقرب من مقاطعة تورين.

وقد رافق كاساس السفير الفرنسي الكونت شوازيل جوفييه إلى القسطنطينية، وسافر بعد ذلك إلى مصر ثم إلى الأراضي المقدسة وسوريا. ووصل مصر في مارس ١٧٨٥م، وأقام عند قنصل فرنسا «مور»[1]، الذي كتب خطابًا إلى رئيسه المباشر في ٢١ مارس ١٧٨٥م، يقول فيه: «أنا أحتفظ بالسيد (كزاس) – هكذا كتبها – إلى أن تتحقق الشكوك عن وباء الطاعون، نحن لا نزال منتظرين أن يتم توضيح بعض وجهات النظر المهمة بشأنه وبشكل وفي».

وقد سجل قنصل فرنسا تعليقات على القرار الذي مكن كاساس من الاستفادة من هذه الرحلة، فقد كتب يوم ٢٧ مارس: «الوباء المعدي ينتشر في القاهرة، وباء الطاعون الذي حتم على تجار هذه المنطقة الانعزال، السيد (كزاس) لم يستطع أن يلتزم برحلته في صعيد مصر وقرر أن يعود إلى سوريا». وعند عودته إلى فرنسا أفادت رسوماته ومخططاته في هذا الإصدار الذي ظل ناقصًا:

Voyage pittoresque de la Syrie, de la Phénicie, de la Palestine et de la Basse-Egypte, Paris, 1799.

«رحلات مرسومة عن سوريا وفينيقيا وفلسطين ومصر السفلى»، ويوجد في المجلد الثالث ثماني عشرة لوحة عن القاهرة وست لوحات عن الإسكندرية.

لوحات الإسكندرية

- «الإسكندرية كما يسميها العرب – إسكندرية – مخطط عام للمدينة»، رفعها كاساس، ورسمها برلين.
- «مسلة كليوباترا في الإسكندرية، صور أطلال مكتبة ومتحف البطالمة، منظر البحر وحصن الفنار الصغير»، رسمها كاساس، ونقشها باجليت بماء الفضة، وأكملها كاثلين.
- «أطلال مدينة الإسكندرية، منظر كنيسة خصصت في الماضي للقديس أثناسيوس، أما الآن فهي محولة إلى مسجد، بقايا أعمدة من الجرانيت والتي كانت تدعم صحن الكنيسة، وتقود إلى باب كانوب»، رسمها كاساس، ونقشها ميل ليفي.
- «باب رشيد بالإسكندرية، المنظر مأخوذ من خارج الأسوار، رحيل قافلة»، رسمها كاساس، ونقشها بماء الفضة باجليت، وأكملها جودفري.
- «الحصن الكبير – الفنار الكبير- بميناء الإسكندرية، المنظر مأخوذ في اتجاه قنصلية فرنسا، منظر لميناء مراكب المسيحيين»، رسمها كاساس، ونقشها بماء الفضة باجليت، وأكملها بيرسولت.
- «عمود السواري في الإسكندرية».

وفيما يلي تحليل وتفنيد لبعض اللوحات:

خريطة الإسكندرية

لوحة «الإسكندرية كما يسميها العرب – إسكندرية – مخطط عام للمدينة»، وقد دارت حول هذه الخريطة العديد من الروايات، كما تميزت هذه الخريطة بوجود عدد كبير من الإشارات إلى طرق عديدة داخل المدينة القديمة، وبعض الحدائق القريبة من باب رشيد أو في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، وسورين كبيرين، وحدائق نخيل هنا وهناك، وصهاريج، وبقايا قناة مياه تمر من شرق التل الحالي (كوم الناضورة)، وحمام في وسطها لا يبعد عن مسجد العطارين. والخليج أو قناة الإسكندرية تغذي هذه المصادر المختلفة بالمياه، ولكن بموجب الحال، فإن حركتها بطيئة تحت الأسوار التي تمر من تحتها. وفي أقصى يمين اللوحة يبدو كما لو كان مغطى بالرمال، لأنه فصل الربيع ولا يوجد ماء تقريبًا، وهذا شيء مألوف في القرن الثامن عشر.

والمسجدان الموضحان على الخريطة هما مسجد الألف عمود على الميناء الغربي، وفي الوسط – دون الحديث عنه – مسجد العطارين، وهما يتميزان بالمستطيلات المميزة بصفوف من الأعمدة. وبعد ذلك هناك ثلاث إشارات لمساجد أخرى،

(١) لمسيو مور؛ القنصل الفرنسي العام في الإسكندرية، عدة رسائل محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، تتضمن مراسلات مع السفير شوازيل جوفييه في إسطنبول، نشرها إيتين كومب، وتم تحقيقها ونشرها في مجلة الجمعية الجغرافية مجلد ١٥ لسنة ١٩٢٧م.

VOYAGE PITTORESQUE

DE LA SYRIE,

DE LA PHŒNICIE, DE LA PALÆSTINE,

ET DE LA BASSE ÆGYPTE:

Ouvrage divisé en trois Volumes,

CONTENANT

ENVIRON TROIS CENT TRENTE PLANCHES,

Gravées sur les dessins et sous la direction du C.en CASSAS, peintre, l'un des artistes employés par l'auteur du Voyage de la Grèce;

UN DISCOURS PRÉLIMINAIRE POUR CHAQUE VOLUME,

Par le C.en VOLNEY, membre de l'Institut national, auteur du Voyage en Syrie;

UN TEXTE RÉDIGÉ PAR LES C.C.

F. J. G. LA PORTE-DU THEIL, membre de l'Institut, et du Conservatoire de la Bibliothèque nationale; *pour la partie historique et la relation du Voyage :*

J. G. LEGRAND, architecte, de la Société libre des sciences, lettres et arts de Paris; *pour la partie historique et descriptive de l'Architecture :*

L. LANGLÈS, membre de l'Institut, et du Conservatoire de la Bibliothèque nationale, professeur de Persan à l'École spéciale des langues orientales vivantes; *pour la partie des Langues et des Inscriptions orientales.*

LIVRAISON, composée de PLANCHES.

A PARIS,

DE L'IMPRIMERIE DE LA RÉPUBLIQUE.

An VII.

إحداها في شرق «تل كوم الدكة»، وآخر ملاصق للأسوار خارج المدينة باتجاه باب البحر، ويوجد أيضًا في الحي التركي مسجد أبي العباس المرسي. أما الأبواب التي سماها فهي باب رشيد، وباب سدرة الذي يدعى «باب شجرة السدر»، الذي يترجم خطأً على «باب الصدر»، وعلينا أن نلاحظ أيضًا اسم «تل القديسة كاترين» بدلاً من «كوم الدكة»، وهي عادة مسيحية كثيرًا ما تُحكى للرحالة الأوربيين، وكذلك «حطام معبد سيرابيس» بدلاً من «كوم الناضورة»، و«عمود السواري» أو كما يسمى عمود «بومبي». ونجد الأسوار مميزة بأبراجها، والميناء الشرقي محمي بواسطة «حصن الفنار» أو «القصر» الذي يطلق ذلك الاسم عليه - القصر - بحصر المعنى. وكذلك «حصن الفنار الصغير»، سلاسل الأهلاب التي تميز الميناء المخصص لسفن فرنسا الحرة.

ويوجد داخل الميناء أمام الشاطئ الجنوبي «رصيف الفلفل» أو التوابل في إحدى الروايات، والذي رسم على خريطة ماسي عام ١٦٩٩م، وكذلك في أطلس جونديه، وبصيغة «رصيف التوابل» في خريطة سولنير دي فاوهيلو عام ١٨٣٤م. ففي رواية «رصيف الفلفل» عام ١٥٣٠م، ورد ذكره بصيغة رصيف التوابل: «هناك مركب فينيسيه محملة بالزيت تحطمت على صخرة قريبة جدًّا من هناك حيث رصيف التوابل»، وعلى نفس الشاطئ في أقصى الشرق تقع المباني القنصلية بين فندق فرنسا وفندق فنيسيا.

ويقال إنه يقع في شرق هذا المكان قطعة من تمثال من الرخام السقامي، وهذا نفس ما ذكره سانت جينيس في «وصف مصر»، في المجلد الخامس، ويبدو أن كاساس اكتشف على شاطئ البحر في الميناء الشرقي قطعتين تبدوان كما لو كانتا الجزء الأكبر من فخذ جندي مرتدٍ درعًا، وقد نقلتا بعد ذلك إلى فرنسا عن طريق كابتن السفينة Truguet وأُدخلتا في مجموعة السيد شوازيل جوفيية. وبالقرب من ذلك المكان - الممتلئ بالأنقاض وأعمدة الجرانيت - نعرف أن هناك أماكن في المدينة القديمة كانت تعكس هذا المنظر. وفي النهاية، في غرب فندق فرنسا يوجد مبنى مربع يسمى «الديوان»؛ يشمل منطقتي الجمرك والمكس حيث كانت ترسو السفن خلال العصور الوسطى. وفي الميناء القديم «ميناء الكارافيل»، يوجد مركب سريع بثلاث أو أربع صوارٍ، كما توجد مراكب تبدو أنها غير أوروبية.

وقد وجدت في مذكرات نشرت سابقًا وخاصة في المذكرة المنشورة عن جرافييه دورتيير، تلك الإشارة «مدينة مرتفعة جدًّا تحت السلسلة»، وكذلك العديد من الملاحظات الإضافية والتي يعد تكرارها هنا غير مُجدٍ. وهناك مسلة منتصبة وأخرى مقلوبة كما روى كل الرحالة، ومن ناحية الشمال يوجد برج دائري متهدم، وفي مؤخرة الخريطة توجد بقايا حصن كان يحرس الميناء من ناحية الشرق، ويشير مفتاح الخريطة أخيرًا إلى ما كنا نعتقد سابقًا أنه موقع متحف ومكتبة البطالمة بالقرب من السيزاريوم.

البرج الروماني أو برج الرومان

لوحة «مسلة كليوباترا في الإسكندرية، صور أطلال مكتبة ومتحف البطالمة، منظر البحر وحصن الفنار الصغير»، كما نسميه في عصرنا هذا بـــالبرج الروماني/ برج الرومان، وقد وصفه الرحالة لأنه كان يجاور مسلة كليوباترا، وكانوا يشاهدون منه بقايا قصورها. وحتى القرن التاسع عشر، كانت تعجبنا قبابه العديدة وشرفاته المقوسة والأعمدة والأبواب، ويمكننا أن نستعين بالوصف من لوحات كتاب وصف مصر، وكذلك الخرائط القديمة الموجودة به، لكن الدراسة المكتملة عن هذا المكان لم تتم إلا من خلال فوجونيه؛ والذي خصص فيها عشرين صفحة لدراسة هذا الأثر؛ بحيث لم يترك حجرًا واحدًا فيه دون فحصه تقريبًا[١].

وبالرغم من أننا غير موافقين على كل استنتاجاته، فقد يمكن أن نصبح على يقين من أن البرج قد رممه العرب بعد فتح مصر، ومنذ زمن طويل سقط البرج شيئًا فشيئًا ليتحول إلى أطلال، وفي مذكرات لجنة حفظ الآثار العربية، يمكننا أن نتتبع المجهودات التافهة التي بُذلت لإنقاذ هذا الأثر من التدمير الكامل لحظة بناء الأرصفة. ومما يثير الفضول أن بعض الرحالة مثل بيدبيكر (١٨٧٦-١٨٩٨م)، وماير (١٨٩٥م) وجوان (١٨٨١م)، كانوا قد أخطأوا في رسومهم حين وضعوا هذا البرج فيما بعد في أقصى الشمال الشرقي تقريبًا في القسم السفلي من المستشفى الأميري. وللأسف لم يتبقَّ لنا اليوم منه سوى حجر وحيد وفريد تم إنقاذه عن طريق شخص يعشق الماضي، وقد دُمِجَ هذا الحجر في الزاوية الغربية من ثكنة الشرطة في كوم الدكة مع ذلك النقش الذي وجد هناك في كوم الدكة.

وقد وجد رسم يشبه تقريبًا لوحة كاساس في لوحات كتاب وصف مصر *Vues d'Egypte* التي نشرها السير روبرت أنسال، نقلاً عن رسومات لويجي ماير[٢] في لندن ١٨٠٠م. كما استطعنا أيضًا مقارنة منظره الخارجي بالصورة المهمة التي رسمت سنة ١٩١٢م، ونشرها إفريستو بريشيا؛ مدير المتحف اليوناني الروماني (١٩٢٢-١٩٢٣م).

(١) H. de Vaujany, *Recherches sur les anciens monuments situés sur le Grand-Port d´Alexandrie*, 1888.

(٢) لويجي ماير؛ رحالة وجغرافي إنجليزي، أُوفد في مهمة رسمية للشرق بمعرفة السير روبرت أنسال، وسجل مشاهداته في كتابه القيم "Egypt in 1800" والذي أعيد طبعه سنة ١٩٩٩م، ولقد نقشت اللوحات الأصلية بتوجيه ومعرفة السير توماس ميلتون، مع بعض الملاحظات والتعليقات التاريخية.



لوحة مسلة كليوباترا في الإسكندرية؛ البرج الروماني.





لوحة قلعة قايتباي.

قلعة قايتباي

لوحة «الحصن الكبير – الفنار الكبير– بميناء الإسكندرية، المنظر مأخوذ في اتجاه قنصلية فرنسا، منظر لميناء مراكب المسيحيين»؛ نعرف أن المؤلفين الغربيين كانوا يسمون «الحصن الكبير» أو «قلعة قايتباي» المشيدة على هذا المكان باسم «الفنار»، وهذا المسمى كان مستعملاً أيضًا مع الحصن الصغير جدًا الذي كان يواجهه في الشرق، وهو الحصن الذي شيد باسم السلطان المنصور قلاوون أو باسم ابنه الناصر محمد، وإن كان قد عمل به بعض الإضافات سنة ١٣٦٥م. وفي سنة ١٤٢٢م، سماه لانوي بالمسجد، لذا كان يجب أن يكون به برج أو مئذنه مرئية. ويظهر في خريطة ريس بيري[١] سنة ١٥١٢م على هيئة برج إسطواني داخل حصن دائري. ويسجله بيلون عام ١٥٤٧م في أطلس جونديه وكاستيلو على شكل حصن مسنن. في حين تسجله خريطة هيلرفيش ١٥٦٥م على شكل برج دائري به العديد من الطوابق والشرفات في حصن مربع به أربعة أبراج بزوايا، وتسمي خريطة جونسون هذا الحصن بـ «حارس الفنار»، والتي نسخها دابير على خريطته، والمئذنة ظاهرة أيضًا في لوحة بروين سنة ١٦٧٥م، تلك المئذنة بها شرفات عند ميلشين ١٦٩٩م. وكذلك المسجد واضح عند ماركيز دي لاجارد سنة ١٧١٣م. ونوردن[٢] يسجله على أنه برج. أما عند سولت فلا يوجد غير برج منعزل، أو برج في حصن دائري عند هيثر الطيار ١٨١٠م. ومن الطبيعي أن نجد لهذا البرج وصفًا في كتاب وصف مصر؛ إنه برج مربع سقط على هيئة أطلال، ومسجد مهجور استعمل قديمًا كحصن، وبقايا هذه الأبنية كانت قد سقطت لتتحول إلى أطلال في غضون القرن التاسع عشر، وخلال عشرين سنة كانت قد تهدمت نهائيًا.

---

(١) ريس بيري؛ قائد بحري عثماني، ولد في غاليوبللي سنة ١٤٦٥م، وتعلم فنون البحر من عمه كمال ريس، والذي شاركه في العديد من الرحلات والمهمات حتى وفاة الأخير سنة ١٥١١م، ومنذ هذا الوقت تخصص ريس بيري في تصميم الخرائط للبحار التي زارها، وتوفي بالقاهرة سنة ١٥٥٤م، وله كتاب منشور به خرائطه يسمى «كتاب البحرية فيما بين سنتي ١٥٢١–١٥٢٦م».

(٢) فريدريك لويس نوردن؛ قائد بحري دنماركي، موفد للشرق من قِبل ملك الدنمارك لجمع المعلومات الخاصة بتاريخ هذه البلاد، وسجلها في حوالي مئة لوحة نفذها السيد مارتن توخر من نورمبرج، وطبعها سنة ١٧٨٠م في لندن السيد لوكير ديفيس تحت اسم:
The Antiquties, Natural History, Ruins and Other Curiosities of Egypt, Nubia and Thebes.



مسجد العطارين

لوحة «أطلال مدينة الإسكندرية، منظر كنيسة خصصت في الماضي للقديس أثناسيوس، أما الآن فهي محولة إلى مسجد، بقايا أعمدة من الجرانيت والتي كانت تدعم صحن الكنيسة، وتقود إلى باب كانوب»، وكنيسة أو كاتدرائية القديس أثناسيوس المقصودة منذ بداية البحث، قد تحولت سنة ٣٧٠هـ إلى مسجد بدون شك كباقي الكنائس الهامة التي لم تتهدم، ولكننا لم نعرف عنها شيئًا حتى العصر الفاطمي. وفي شهر ربيع الأول سنة ٤٧٧هـ الموافق لشهر يونية ١٠٨٤م، أعاد بدر الدين المستنصري بناءها حيث أصبحت تعرف تحت اسم «جامع العطارين» وكذلك بـ«جامع الحي»، وقد حفظ لنا النقش المعاصر لهذا التجديد ذكرى هذه الأعمال، أما المبنى الحالي للمسجد فهو حديث[1]. وتتضمن روايات الرحالة الغربيين دائمًا وصفًا قصيرًا لهذا الصرح ومنظرًا من الخارج له من خلال نوافذ بها سياج، وكانوا يسجلون وصفهم المرتب كالآتي: «ساحة داخلية محاطة برواق وصفوف من أعمدة، وفي وسط الساحة أشجار وأيضًا فوارة للوضوء»، ويصفه ترويلو سنة ١٦٦٩م بقوله: «في كل الزوايا الأربع برج عالٍ وجميل ومرتفع بفن»، إذن فهي أربع مآذن.



(١) لم يتبقَّ من المسجد الفاطمي سوى هذه اللوحة التذكارية، والمثبتة في قاعدة المنارة الجديدة على يمين الداخل من الباب الشمالي الشرقي، أما المبنى الحالي للمسجد فهو من بناء الخديوي عباس حلمي الثاني سنة (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م).

لوحة مسجد العطارين.

وقد دخل بينوس وسونيني[١] إلى المسجد في سنة ١٧٧٧م بعد أن دفعا «البقشيش»، من أجل فحص التابوت الحجري الشهير ذي الرخام المسنن الأخضر، الذي وجدنا له وصفًا طويلاً في كتاب وصف مصر، والذي سجل الإفراط في الزخرفة بالرخام والجرانيت والفسيفساء لذلك التابوت الحجري الذي يستخدم في الوضوء، وهناك عدة مناظر ولوحات للمسجد من الداخل في «وصف مصر»، وكذلك في رحلات فيفان دينون، وكذلك تصوره لنا لوحة كاساس. وبعد معركة أبي قير البحرية، أصبح هذا الصرح مستشفى للبحرية الفرنسية، أما ما تبقى من صفوف أعمدة المسجد فقد اختفى تقريبًا عام ١٨٣٠م.





(١) سونيني دي مانتكور؛ محام ومهندس بحري، قام بزيارة مصر في سنة ١٧٧٧م، وحصل على دعم مادي من غرفة التجارة في مرسليا لتمويل بعثته الرسمية، ولقد نشرت مؤلفاته في ثلاثة أجزاء مزودة بالرسومات عن آثار مصر وثرواتها الاقتصادية.



باب رشيد

لوحة «باب رشيد بالإسكندرية، المنظر مأخوذ من خارج الأسوار، رحيل قافلة»، تمثل منظرًا خارجيًا لباب رشيد وقافلة تخرج من المدينة، وعلى اليسار بقايا آثار قديمة، من تيجان وأعمدة وتابوت حجري مزخرف بشرائط وأكاليل، والذي نعرفه جيدًا أن حالة الأسوار والأبراج سيئة للغاية. ونرى أن الدخول للمدينة يتم عبر باب عادي يبدو ضيقًا، بينما ينتصب في الخلف مبنى ضخمًا له أبراج بزوايا، وفي الوسط فتحة بشكل عقد قوطي. ونجد في كتاب روبرت أنسال منظرًا للباب من الداخل، من الحراس ومرمى الكوة وما تبقى من الأعمدة المدمجة، وكان الباب مزينًا بقوالب كبيرة من الجرانيت. وقد وصف الرحالة هذا الشكل للمباني مع باقي الأبواب الموجودة بالمدينة، ويجب أن نسلم بأن الباب العادي كان موجودًا بالحائط الخارجي، نمر بعدها عبر باب متعرج في الفسحة التي تفصل بين السورين، ومنها نتجه إلى بعض الأبواب المهمة مثل باب سدرا أو «باب البحر». وعلينا أن نتذكر هذه الأبواب الجميلة، مثل: باب النصر، وباب الفتوح في القاهرة كما سجلها العديد من الرحالة.

ومنذ عام ١٨٨٢م بصفة خاصة، أصبحت الأسوار محطمة في هذا الجزء من المدينة، وكذلك باب رشيد؛ حيث كانت حوائط جانبي المدخل محطمة، وقد رُدم الخندق شيئًا فشيئًا، لا سيما منذ سبتمبر ١٨٨٥م. ولم تعد الحصون والأبراج المتهدمة والأبنية الحربية المتنوعة جزءًا من المناطق العسكرية، وأزيلت مواد البناء وبيعت وسلبت الأراضي، وهكذا ذهبت شهرة الإسكندرية.

إلى هنا انتهى نص المقالة المترجمة للأثري والعلامة إيتين كومب والذي وافته المنية في مدينة القاهرة في التاسع من يوليو عام ١٩٦٢م، ليسدل الستار على سجل حافل من الأعمال العلمية القيمة التي تثري المكتبة السكندرية.



لوحة باب رشيد بالإسكندرية.

أقدم مبنى في أقدم شارع بالإسكندرية

مبنى القنصلية الإسبانية

الدكتور إسلام عاصم

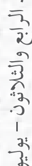
إن أحد أعرق شوارع العالم وأقدمها يقع في مدينة الإسكندرية؛ معلومة قد تغيب عن الكثيرين حتى من أبناء الثغر أنفسهم؛ إذ يعد طريق الحرية (شارع فؤاد سابقًا) واحدًا من أقدم شوارعٍ مصر إن لم يكن في العالم أجمع، صحيح أنه قد تكون شوارع أقدم منه ولكنها لم تعد تستخدم بعد، خلافًا لشارع الحرية الذي ما زال يستخدم حتى الآن.

ويرجع تاريخ هذا الشارع إلى عصر تأسيس مدينة الإسكندرية في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد، وذلك عندما قرر الإسكندر المقدوني أن يؤسس عاصمته الجديدة - التي قرر أن تكون معبرًا يوصله ببلده الأم - على وحول قرى الصيادين التي كان يطلق على أكبرها «رع قدت»، وسُميت بعد ذلك «راكوتيس»، ثم «راقودة» بعد الفتح الإسلامي. وقد شغلت المدينة مساحة مستطيلة في الشريط الواقع بين بحيرة مريوط جنوبًا والبحر المتوسط شمالاً، وقد أوكل الإسكندر المقدوني إلى كليومينس النقراطيسي أمر الإشراف على البناء، في حين قام دينوقراطس بتخطيط المدينة على النسق الهيبودامي الذي يتميز بتقسيم المدينة إلى شوارع مستقيمة تتقاطع في زوايا قائمة؛ بحيث يتألف من ذلك ما يشبه رقعة الشطرنج، فيكون هناك شارعان رئيسيان يتقاطعان في منتصفهما، ليكوِّنا العمود الفقري للمدينة الذي تتوازى باقي الشوارع معهما، سواء كانت أفقية أو رأسية.



شارع فؤاد الأول؛ عن CEAlex.

باب رشيد عام ١٨٨٢م.





وكان الشارع الأفقي هو ما يطلق عليه اليوم اسم «طريق الحرية»، وكان أول اسم يحمله هذا الشارع العريق، هو «الشارع الكانوبي» الذي كان عرضه مائة قدم، وقد امتد هذا الشارع في وسط المدينة من الشرق إلى الغرب حيث كان يبتدئ في الشرق بباب يسمى باب الشمس، وينتهي في الغرب بباب يسمى باب القمر. وأطلق على هذا الشارع هذا الاسم كونه يتجه من خلال بابه الشرقي إلى كانوب (أبي قير حاليًّا)؛ عاصمة الإقليم المنيليتي، وأحد أهم موانئ دلتا النيل، وضاحية الإسكندرية، ومنتجع لسكانها، ومركز ديني للاستشفاء، ومنه يتم الاتجاه إلى ممفيس، هذا بالإضافة إلى كونه شارعًا هامًّا مزدحمًا ومحطة هامة للقوافل المتجهة إلى أحد أفرع النيل للاتجاه إلى عاصمة البلاد القديمة. وقد كان الشارع مرصوفًا بالبازلت الأسود أو بالأحجار الصفراء، وكان يزدان على جانبيه بالأعمدة والتماثيل، كما كانت تتخلله أقواس النصر، والتي اكتشفت بقاياها أثناء إنشاء القصور والبنايات في منتصف وأواخر القرن التاسع عشر، ومن تلك البقايا تاج لعمود، أهداه فيليبو؛ أحد الأعيان الإيطاليين، للمتحف اليوناني بعد أن عثر عليه أثناء إنشائه لقصره بالقرب من النهاية الشرقية للشارع، والذي يعد حاليًّا أقدم بناية باقية بالشارع كما سيتضح لاحقًا.

ومن أحدث الدراسات التي تمت حول اختيار موقع هذا الشارع تحديدًا ليكون عصب المدينة القديمة، تلك الدراسة العلمية التي قام بها الإيطاليان جوليو ماجلي ولويزا فيرو، اللذان أثبتا أن اختيار الموقع كان في الأساس يرجع إلى أسباب دينية ورمزية وليست طبوغرافية، واستطاعا أن يثبتا أن اختيار زاوية ميل هذا الشارع لم تكن محض صدفة أو عشوائية؛ حيث إن زاوية ميل الشارع تتفق مع نفس خط إشراق شمس يوم ميلاد الإسكندر المقدوني في العشرين من يوليو طبقًا للتقويم اليولياني، ولعل هذا يفسر تسمية أحد البابين بباب الشمس؛ حيث كانت تخترقه أشعة الشمس عند الشروق سنويًّا معلنةً ميلاد الإسكندر المقدوني، ومذكرةً الأجيال المتعاقبة بمؤسس المدينة الرائعة التي سميت على اسمه، فهل فعل الإسكندر ذلك في المدن الأخرى التي أسسها؟ هذا ما يحاول الوصول إليه الباحثان الإيطاليان اللذان أزالا اللثام عن هذا الاكتشاف الرائع.

وقد استمرت أهمية الشارع لم تخبُ على مر العصور مع كل الثورات والهجمات والزلازل التي تعرضت لها المدينة المتوسطية. وقد تغير اسم الشارع في العصر الإسلامي ليكون «المحجة العظمى» في عهد أحمد بن طولون، والذي يعني الطريق



خريطة Bonamy Recadree لمدينة الإسكندرية عام ١٧٣١م.





خريطة لويس فرانسوا كاساس لمدينة الإسكندرية عام ١٧٨٥م.



خريطة الفلكي لمدينة الإسكندرية عام ١٨٦٦م.





المستقيم الرئيسي أو قد يعني الطريق الذي يتخذه الحجاج، ولكن هذا الاسم كتب له الزوال تحت ضغط الإطار الوظيفي للشارع؛ حيث اتخذ اسم أهم المقاصد التي يؤدي إليها وهي مدينة رشيد، فكان تغيير اسم الشارع إلى «شارع رشيد» أمرًا بديهيًّا وحلت بوابة رشيد للسبب نفسه محل بوابة الشمس الشرقية. وقد كانت مدينة رشيد من الأهمية بمكان؛ بحيث كانت تعتبر ميناء هامًّا ومزدحمًا لارتباطه بالتجارة وطرق الحج؛ حيث كان ينتقل إليها الرحالة والحجاج والتجار وما يحملون من المؤن والواردات والصادرات، وكانت تؤجر من مينائها المراكب لتسير عبر فرع النيل متجهة إلى القاهرة. وبسبب ذلك كله، ارتبط اسم الشارع ولعدة قرون باسم رشيد. وباستقلال البلاد حين أصبحت مملكة، فقد تغير اسم الشارع الرئيسي للمدينة، رغم ارتباطه به لعدة قرون.

ورغم هذا كله، فإن التصاق اسم الملك فؤاد بالشارع حتى وقتنا الحاضر بالرغم من تغيير اسم الشارع بعد قيام ثورة ١٩٥٢م، لأمر يبعث على التفكير حول أسباب ذلك، فلو سألت أحدًا اليوم عن طريق الحرية لسألك ماذا تقصد؟ لكن إذا ما ذكرت «شارع فؤاد» لزال الاستفهام، وهنا يمكننا أن نُرجع الأمر إلى عدة أسباب وليس إلى سبب واحد؛ أولها أن الاسم السابق وهو «شارع رشيد» والذي ارتبط بطريق السفر والحج والتجارة من وإلى القاهرة، قد زال أثره تمامًا عندما لم يعد هناك باب رشيد الذي أصبح أثرًا بعد عين عام ١٨٨٥م، بالإضافة إلى أن مدينة رشيد لم تعد بنفس الأهمية؛ حيث أصبح الطريق إلى القاهرة بريًّا. فقد تحول الطريق المائي الذي كان يتمتع بالأمان، والذي تكلم حوله الرحالة ونصحوا الزائرين باتخاذه في طريقهم إلى القاهرة، تحول إلى طريق بري يسيطر عليه العربان، الذين عرفوا بالسطو على كل شيء. ومن حوادث السطو التي قام بها هؤلاء العربان ما تعرض له السيد فورسكال؛ عضو البعثة الدنماركية، عام ١٧٦١م، وذلك حين قرر أن يتخذ هذا الطريق إلى القاهرة، فخرج عليه العربان وسلبوا منه كل ما معه، ولحسن حظه أن تركوا له سراويله على حد قول كارستن الذي زامله في البعثة. ومن ذلك نستنتج أن سبب تراجع اسم شارع رشيد لدى ذاكرة السكندريين هو تراجع أهمية المدينة نفسها، ليتخذ الشارع من بعد ذلك اسمًا جديدًا وهو «شارع فؤاد»؛ احتفالاً بتحقيق مطالبهم في الاستقلال،



مسجد العطارين؛ من أعمال لويجي ماير ١٨٠١م.



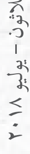
فيليبو بيني.

وذلك بعد الحرب العالمية الأولى، وتخليدًا لذكرى تنصيب أول ملك للبلاد في العصر الحديث.

وإن كان تغيير اسم شارع رشيد إلى شارع فؤاد، ونسيان السكندريين للاسم القديم للشارع أمرًا منطقيًّا؛ فإن التصاق الاسم حتى الآن به لهو أمر أكثر تعقيدًا؛ إذ إن ثورة ١٩٥٢م كانت ذا صدى شعبي كبير، وتأثيرها على تغيير المسميات ومحو ذكر أسرة محمد علي من الذاكرة لم يكن بالأمر البسيط، وقد بدت هذه الصعوبة في الإسكندرية عمومًا وفي أماكن تمركز الأجانب المتمصرين خصوصًا؛ إذ من المرجح أن استمرار الاسم هو أمر حافظ عليه القاطنون في الشارع الذي ندر أن يكون من بينهم مصري خالص؛ حيث لم يعترفوا بالثورة في داخلهم لإنهائها لنفوذهم وسلطتهم بالمدينة، فكان من الطبيعي أن يرفضوا اسم الزعيم جمال عبد الناصر، وأن يستمروا في استخدام الاسم الذي يتناسب مع من يحبون ويذكرهم بماضيهم السلطوي، فتأثر المصريون العاملون في تلك القصور والبيوت بهذا الأمر، ليظل الاسم عالقًا في أذهان السكندريين، حتى بارح الأجانب أرض مصر ولم يبارح اسم الملك فؤاد الشارع. وبالرغم من تغيير الاسم



باب رشيد عام ١٨٠٣م.



بعد ذلك ليحمل الاسم الحالي وهو «طريق الحرية» الذي وُجد على خرائط عام ١٩٥٩م، لإزالة الالتباس بين هذا الشارع ومثيله الذي يربط بين منطقة فيكتوريا والمندرة، وبالرغم من زوال اسم الملك فؤاد من على لوحة اسم الشارع بصفته الاسم السابق؛ فإن الاسم ظل مرتبطًا بالشارع، في ظاهرة تحتاج إلى دراسة استقصائية حول أسباب هذا الارتباط حتى في أذهان الأجيال الجديدة التي لم تعش أو تع أو تعرف الكثير عن شخصية الملك فؤاد أو عن سبب إطلاق اسم «فؤاد» على هذا الشارع خاصة أن المكتوب على لوحة اسم الشارع هو «طرق الحرية؛ طريق الزعيم جمال عبد الناصر سابقًا».

وقد تم تعمير هذا الشارع، خاصة في الجهة الشرقية منه في سبعينيات القرن التاسع عشر، وذلك عندما قرر فيليبو – المولود في القاهرة في الثامن عشر من نوفمبر عام ١٨٤٩م، والذي استقر في الإسكندرية منذ عام ١٨٦٦م – أن يستثمر في هذه الرقعة من الأرض كل ما ورثه عن أبيه، وتبعه في ذلك الكثيرون، خاصة بعد ضرب الإسكندرية عام ١٨٨٢م؛ حيث لجأت الكثير من العائلات، مثل عائلة منشا واجيون وبيناكي وسلفاجو ومن بعدها سرسق وأبو شنب وغيرهما، إلى بناء قصور ومبانٍ يقيمون فيها، بدلاً من تلك التي تدمرت في الهجوم البريطاني، خاصة بعدما حصلوا على التعويضات المجزية من الحكومة جراء تضررهم من الهجوم البريطاني.

قرر فيليبو إذن أن يستثمر في هذه الرقعة دون أن يستمع إلى نصائح من حوله في عدم إهدار أمواله في الاستثمار في شارع رشيد كما كان يطلق عليه حينها في سبعينيات القرن التاسع عشر، حتى إنهم نعتوه بـ «الفقير الغبي» عندما أصر وقام بشراء الأراضي في تلك الجهة المقفرة التي لم يكن بها سوى النخيل وحدائق الفاكهة. ولكن في حقيقة الأمر، كان لهذا الإيطالي نظرة مستقبلية صحيحة جدًا، وكيف لا وهو ينحدر من عائلة كانت من أولى العائلات التي استقرت في مصر، والتي ارتحل مؤسسها إلى الشرق وتواصل بعدها مع نابليون أثناء حملته على مصر. وقد استطاع ابنه فرانشيسكو بيني أن يصبح واحدًا من أهم تجار مصر وأحد معاوني ووكلاء الأمير أحمد رفعت بن إبراهيم باشا، ثم انتقل إلى خدمة الخديوي إسماعيل الذي تمسك به حتى تقاعد على غير رغبة الخديوي؛ حيث كان وكيله الذي عادة ما يرسله إلى إيطاليا لإبرام العقود والصفقات، لذا حصل على رتبة البكوية.

وقد قام فيليبو ببناء العديد من المباني بشارع رشيد وما حوله، وأهم ما تبقى اليوم، ليصبح أقدم مبنى في الشارع، هو مبنى القنصلية الإسبانية بالإسكندرية، والتي يلاصقها مديرية الشئون الصحية، ويقعان في مواجهة مسجد سيدي مفرح، الذي يعد ملاذًا للعديد من السيدات اللاتي يعتقدن بقدرته على حل مشكلاتهن الزوجية وإصلاح أزواجهن والتحكم في عدم اقترانهم بالزوجة الثانية، وكان يجاور هذا المسجد بيت محافظ الإسكندرية حتى عام ١٨٩٩م على أقل تقدير.

وانتهى فيليبو بيني من إنشاء هذين المبنيين عام ١٨٨٠م، وقطن بهما واستقر في الإسكندرية، ليرد على كل من نعتوه بالفقير الغبي؛ حيث أصبحت المنطقة من أرقى الأماكن بالإسكندرية ومعقل الطبقة الأرستقراطية بالمدينة، وقد اختار لنفسه شعارًا موجودًا أعلى باب مبنى مديرية الشئون الصحية، وأعلى المدفئة في القنصلية الإسبانية، وفي سقف الغرفة الرئيسية بقصره، يحمل كلمتين إيطاليتين هما «شامخ ومتواضع» أسفل شجرة باسقة وأسفلها نعجة جالسة، وكأنه يرد على منتقديه السابقين، فقد كان – على الرغم من انتقادهم وإهانتهم له – شامخًا ومستعليًا عن ما يقولونه، ليصبح من أغنى أغنياء الإسكندرية بعدما تنبأوا بإضاعته للأموال التي ورثها عن والده، ليصبح من بعد ذلك عضو مجلس إدارة المستشفى الأوروبي وكذلك عضو مجلس الجمعية الخيرية الإيطالية والمدرسة الإيطالية ومستشارًا قضائيًا في المحكمة القنصلية الإيطالية، بل وحصل من الإمبراطور فيكتور إيمانيول الثاني على وسام من طبقة فارس المتمثل في صليب سان ماورثيو لازارو، ومن خديوي مصر على لقب البكوية وهذا لقاء أعماله الخيرية. وظل شامخًا متواضعًا وظلت قصته تروى حتى توفي في السابع عشر من أغسطس ١٩١٠م في الإسكندرية، ودفن بها في مقبرة لا تقل جمالاً عن قصره. ومؤخرًا وأثناء عمل بعض التجديدات بمديرية الشئون الصحية، عثر بالصدفة على باب مخفي، يقود إلى دهليز سري، يؤدي إلى خلف المبنى الملاصق (مبنى القنصلية الإسبانية)، ولعله دهليز تم حفره لتسهيل الخروج وقت الحروب.

وقد أعادت القنصلية الإسبانية مبناها إلى الحياة مرة أخرى من الداخل والخارج، فظهر النسق المعماري المتميز لعصر النهضة الحديث في الواجهة، واحتفظ المبنى بما في داخله من زخارف أصلية ذات حالة رائعة، وذلك نتيجة محافظة القنصلية الإسبانية على المبنى، ليكون أقدم مبنى في أقدم شارع على أحسن ما يكون.





الفرح والصحة والجمال

لا تهملوا الاعتناء بأسنان أولادكم
وهم صغار. وباستعمالكم دنتفريس جبس
ستحافظون على اسنانهم من وجهة البهاء
والنظافة وتضمنون لهم الصحة والجمال

دنتفريس جبس

Gibbs Dentifrice



الوكيل العام
ج. ا. بيكوني
١١ شارع بومباي
كستل. باسكندرية

الإسكندرية وحركة التجارة العالمية

في مطلع العصر الحديث

الدكتور أحمد سالم





كانت إرهاصات العصور الحديثة في القرن الخامس عشر الميلادي تنبئ بتغير موازين القوى الإقليمية والعالمية التقليدية في العصور الوسطى، وهو ما أدى بالفعل إلى تغيرات اقتصادية كبيرة، عادة ما كانت تصاحب هذا النوع من التحَوُّلات السياسية والاجتماعية الشاملة. فقد بدأ نظام الإقطاع الأوروبي في الاضمحلال نهاية العصور الوسطى لصالح الملكِيات والسلطات المركزية الحديثة، وأدى ذلك إلى نشاط مراكز الإنتاج الصناعي والحرفي، وزيادة الطلب على المواد الخام، وهو ما شجع بدوره نمو التجارة وازدهار نظام رأس المال، خاصة في المدن الإيطالية، وخلق واقع جديد في مدن وموانئ البحر المتوسط؛ فازداد الاهتمام بوسائل النقل البحري، مما قاد إلى الاكتشافات البحرية واسعة النطاق التي حدثت بداية من القرن الخامس عشر على يد الدول البحرية في غرب أوروبا، تتقدمها البرتغال وإسبانيا.

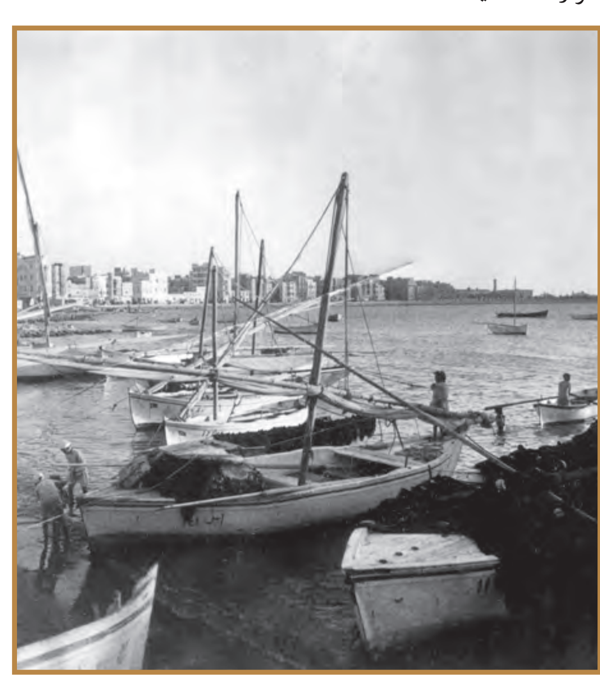
لكن قبل هذه الاكتشافات كانت موانئ البحر المتوسط تشهد ازدهارًا جَرَّاء الحركة التجارية الدءوبة بين الشرق والغرب؛ فمن موانئ المتوسط الأوروبية كانت تأتي السفن محملة بالمنسوجات والآنية الخزفية والتحف وغيرها من المنتجات الغربية، إلى موانئ شرق المتوسط الشامية والمصرية، وتعود محملة بالتوابل والأحجار الكريمة والمواد الخام وغيرها من منتجات المشرق. وكان أكثر المستفيدين من هذه الحركة التجارية هم المماليك المسيطرون على موانئ شرق المتوسط، والجمهوريات الإيطالية وعلى رأسها البندقية وجنوة المسيطرتان على شبكة الملاحة التجارية في هذا البحر؛ واللتان عملتا على اجتذاب السلع التي كانت تصل من الصين وفارس والهند وآسيا الوسطى إلى السواحل الشرقية للبحر المتوسط، فأصبحت كلٌّ منهما وسيطًا لا يمكن الاستغناء عنه بين أوروبا وآسيا، خاصة بعد مساهمتهما مساهمة فعالة في تحسين وسائل العمل المصرفي، وإنشاء وتطوير المؤسسات المصرفية.

وقد كانت تجارة الغرب مُرَكَّزة على الساحل الشامي أثناء الوجود الصليبي في المشرق، لكن منذ أن فقد الأوروبيون حرية الاتصال التجاري المباشر بوسط آسيا بعد انتهاء النفوذ الصليبي في شرق المتوسط عقب سقوط آخر معاقلهم في عكا عام ١٢٩١م، حاولوا تدعيم الطريق البري المار بآسيا الصغرى، متحاشين المرور بالأراضي المملوكية في مصر والشام، مع ذلك، فإن أكثر هذه القوى نشاطًا كالبنادقة والجنويين فضلت الطريق البحري إلى موانئ شرق المتوسط. لكن في النصف الثاني من القرن الثالث عشر بدأ غزو المغول لغرب آسيا فتعطل الطريق التجاري البري في وسط هذه القارة، وأصبح طريق البحر الأحمر من أكثر الطرق التجارية أهمية بين الشرق والغرب، فهو بعيد عن ميادين الحرب بين المغول والمماليك، وفيما بعد بين العثمانيين



والأوروبيين من جهة، وبين العثمانيين والمماليك ثم الصفويين من جهة أخرى في مطلع القرن السادس عشر؛ فكانت هذه الاضطرابات السياسية والحربية سببًا في قطع الصلات التجارية وسد الطرق البرية القديمة بين الشرق والغرب، واضطر التجار إلى اللجوء للطريق المار بأملاك الدولة المملوكية، وغَلَّب البنادقة مصالحهم التجارية على كل شيء، فأبرموا معاهدات تجارية مع المماليك بعد سنوات قلائل من خروج آخر صليبي من المشرق، رغم غضب البابوية الشديد.

وفي ذلك الوقت، كانت مدينة الإسكندرية قد حلت محل دمياط باعتبارها ميناء مصر الأول، وذلك منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، بعد أن هدم المماليك جزءًا من الميناء وردموا فم بحر دمياط ليأمنوا من أي غزو أوروبي على غرار ما حدث في الحملة الصليبية الخامسة بين عامي (١٢١٨-١٢٢١م)، والحملة الصليبية السابعة بين عامي (١٢٤٨-١٢٥٠م). وهكذا تضافرت العوامل لازدهار مدينة الإسكندرية وانتعاشها بوصفها الميناء الأهم شرقي المتوسط، وأصبحت الغالبية العظمى من السفن الأوروبية تصل إلى شواطئها، فأنشئ عدد كبير من المكاتب التجارية التي يُعقد فيها مبادلات على قدر كبير من الأهمية، بالإضافة إلى الفنادق لإقامة التجار الأجانب من كافة الجنسيات الأوروبية، من الإيطاليين؛ البنادقة، والجنويين، والبيزيين، والفلورنسيين، ومن الفرنسيين، والقطالونيين، والراجوزيين، والقبارصة والكريتيين، هذا فضلاً عن اليونان والترك والتتر والمغاربة والأحباش. ولأن المدينة صارت محطة ومستوطنة تجارية هامة على الطريق بين الشرق والغرب، فقد صارت كذلك مركزًا لعدد كبير من الغربيين الذين يذهبون إلى الشرق لبواعث أخرى خلاف التجارة؛ فكثير من الحجاج إلى بيت المقدس - على سبيل المثال - كانوا ينزلون بها في طريقهم، ويعودون من خلالها. وساهم في ازدهار المدينة كذلك بعض الصناعات التي اشتهرت بها خلال العصر الإسلامي كصناعة المنسوجات. هكذا صارت الإسكندرية لا تقل أهمية واتساعًا عن أكبر مدن العالم التجارية مثل البندقية وجنوة ومرسيليا وكلكتا، بعد أن أصبحت تتوافد عليها السفن والقوافل التجارية من كل مكان؛ وعلى مينائها الذي كان يوجد به مرسى البرج للسفن الوافدة من أوروبا، ومرسى السلسلة للسفن الوافدة من شمال إفريقيا، وإلى الشرق بثمانية أميال من ذلك الميناء كان يقع ميناء أبي قير عند بحيرة تدعى «رأس المعدية»؛ التي كانت تتصل بالنيل من خلال قناة، وكان ذلك الميناء مرفأً للسفن الشامية الواردة للمدينة.

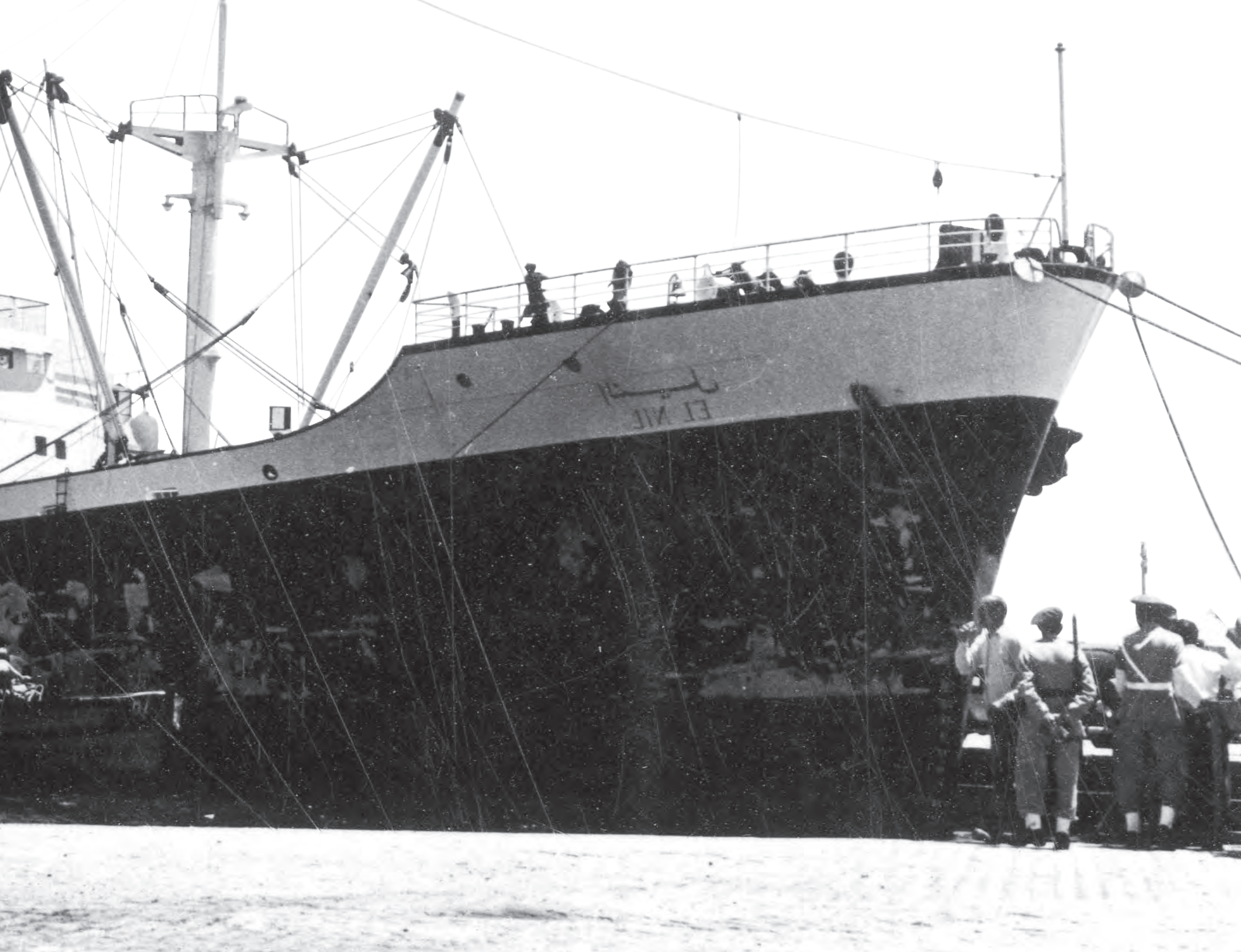






لكن حدث تحول كبير في حياة الإسكندرية الاقتصادية منذ تولي السلطان برسباي مقاليد الحكم في مصر (١٤٢٢-١٤٣٧م)؛ حيث بدأت معالم التدهور والاضمحلال في الظهور كنتيجة مباشرة لبدء عصر احتكار التجارة من قبل سلاطين المماليك، ومحاولة تركيز التجارة في أيديهم والتحكم في أثمانها، مما أدى إلى ارتفاع أسعار السلع المشرقية في أوروبا إلى أربعة وخمسة أضعاف، خاصة الفلفل الذي كان من أهم السلع التي تستوردها أوروبا من الهند. فقد صدر مرسوم في شهر أكتوبر ١٤٢٨م يحظر شراء الفلفل وسائر التوابل من أي مكان خلاف مخازن السلطان؛ الذي كان يشتري كل ما يصل إليه من الهند بثمن بخس، لأنه ما من تاجر في مصر كان يجرؤ على رفع الثمن الذي يعرضه السلطان، ثم يبيع هذه السلع للتجار الأوروبيين بسعر مرتفع للغاية؛ فعلى سبيل المثال، كان ثمن قنطار الفلفل في مناطق إنتاجه بالهند يتراوح ما بين اثنتين ونصف وثلاث دوقيات، لكنه وصل بأسواق الإسكندرية ما بين ثمانين إلى مائة وعشرين دوقية. وكان لذلك أثر سيء على ترويج البضائع للتجار الأوروبيين الذين ضجوا من مغالاة المماليك في احتكارهم للتجارة المشرقية، وجاء أول احتجاج من جانب القَطَالونيين الذين رفضوا شراء البضائع من مخازن السلطان، كذلك احتجت مملكتا قشتالة وأراجون، وقابلتا هذا الإجراء بمثله، وذلك برفع أثمان السلع الأوروبية التي ترد إلى مصر، بل إن البنادقة أخذوا يفكرون في قطع علاقاتهم التجارية مع مصر. وشمل التدهور صناعة النسيج التي كانت الإسكندرية أعظم مركز لها في مصر، ويبدو أن دار الطراز بالإسكندرية قد تعطلت زمن برسباي، ولم تعد الإسكندرية تنتج من المنسوجات إلا ما كان يتولى صنعه بعض الأفراد؛ ففي سنة ١٤٣٤م، أحصي عدد أنوال الإسكندرية فكان ثمانمائة نول، في حين وصل عددها في نهاية القرن الرابع عشر إلى أربعة عشر ألف نول. وفي عهد السلطان قايتباي، صدر قرار عام ١٤٨٠م بتأكيد احتكار التجارة في بعض أنواع المتاجر الشرقية وخاصة في التوابل، مما أدى إلى تأزم الأمور مع التجار الأجانب.

وقد زاد من تفاقم الأوضاع تلك التحولات الكبرى التي بدأ يشهدها العالم مع استيلاء العثمانيين على القسطنطينية



عام ١٤٥٣م، وتوسع نفوذهم في شرق المتوسط، ودخولهم في مجال المنافسة السياسية والتجارية بقوة، خاصة بعد تمكنهم من الاستيلاء على الكثير من المراكز التجارية لجنوة والبندقية في البحرين الأسود والمتوسط، وبالتالي السيطرة على الطريق التجاري الواصل بين أوروبا والشرق عبر آسيا الصغرى وموانئها، وبذلك تكون طرق الشرق التجارية بالكامل قد وقعت تحت سيطرة العالم الإسلامي، ويكون المسلمون قد سيطروا على التجارة العالمية وتحكموا في البضائع وأثمانها؛ مما خلق دافعًا قويًّا للقوى الأوروبية لإطلاق محاولاتها الدءوبة من أجل الوصول إلى السلع الشرقية دون وساطة العالم الإسلامي. وبعد محاولات طويلة استطاع البرتغالي فاسكو دا جاما اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى قاليقوت في الهند عام ١٤٩٨م، والعودة إلى لشبونة محملاً بالتوابل.

وبعد اكتشاف البرتغاليين للطريق البحري المؤدي إلى الهند، بدأت نواياهم الحقيقية في الظهور؛ إذ لم يكتفوا بالحصول على السلع الشرقية دون وساطة تجارية، بل أرادوا حرمان المسلمين نهائيًّا من تجارتهم الشرقية، وتدمير طرق التجارة التقليدية تمامًا، وتحويل التجارة إلى الطريق البحري من وإلى لشبونة. فبدأوا منذ عام ١٥٠٢م بحصار المراكز التي يمر بها طريق التجارة الرئيسي في بحر العرب ومضيق باب المندب، ومنع السفن المختلفة من المتاجرة أثناء إبحارها في مياه المحيط الهندي إلا بتصريح خاص منهم. وقد ذكر ابن إياس في حوادث سنوات متفاوتة، العبث الدائم للبرتغاليين في البحار الشرقية وتهديدهم الملاحة الدولية. ولم يكتفوا بذلك بل خططوا للهجوم على المراكز الإسلامية في المحيط الهندي وخليج عدن والبحر الأحمر، ليتخذوها منطلقًا للزحف على البلدان الإسلامية من الجنوب وتطويقها، خاصة أن إسبانيا قد بدأت بالفعل في احتلال مراكز مماثلة في الشمال الإفريقي، وهكذا وقع العالم العربي الإسلامي بين شقي الرَّحى. وقد استطاعوا بالفعل انتزاع المشيخات الإسلامية القائمة على ساحل إفريقيا الشرقي من سوفالا جنوبًا إلى مقديشيو شمالاً. وأدى اتساع نشاط البرتغاليين في الهند وسيطرتهم على مصادر تجارة التوابل والسلع الشرقية وفشل المماليك في التصدي لهم



في البحار الشرقية، إلى حجب وصول السلع بكميات كبيرة إلى مصر والشام، ووضع التجارة المملوكية في مأزق خطير، كما أثَّر تأثيرًا مباشرًا على تجارة البندقية، فعادت في معظم الأحوال كثير من سفنها خالية أو بنصف حمولتها؛ ففي عام ١٥٠٢م، لم تجد سفينتان من خمس سفن في الإسكندرية ما تحمله إلا بمشقة كبيرة. وكان من الطبيعي أن ترتفع أسعار السلع الشرقية في أسواق البندقية لقلة الوارد وارتفاع أسعاره، مما حدا بعملاء البندقية من التجار الألمان وسكان شمال وغرب أوروبا إلى أن يهجروا أسواقها إلى العاصمة البرتغالية «لشبونة» التي أضحت المركز الجديد لتجمع السلع المشرقية قبل توزيعها إلى أنحاء أوروبا.

ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ حيث بدأت سلسلة من الاعتداءات الصليبية المؤثرة على سواحل مصر والشام، التي قام بها القبارصة والقطالونيون وفرسان الإسبتارية من رودس، في النصف الأول من القرن الخامس عشر. وفي عهد السلطان قنصوة الغوري، جَدَّ من الأحداث ما ساعد على ازدياد التوتر بين المماليك والصليبيين؛ ففي الوقت الذي قام فيه البرتغاليون بمهاجمة السفن الهندية والمصرية المتجهة نحو جدة، والقيام بأعمال القرصنة في البحر الأحمر، قام قراصنة الإفرنج وعلى رأسهم فرسان الإسبتارية بنفس هذه المهمة في البحر المتوسط بالتنسيق معهم، بهدف منع التعامل التجاري مع الموانئ المصرية والشامية، وهو ما ألحق الضرر البالغ بمدينة الإسكندرية. واستفحل الأمر وازدادت هجمات الإفرنج قبالة السواحل المصرية، وهو ما قابله السلطان الغوري بإلقاء القبض على جميع تجار الإفرنج المقيمين بالإسكندرية ودمياط مع مصادرة أموالهم والتحفظ على متاجرهم. وقد أدت كل هذه الأمور إلى تحويل قوافل التوابل إلى أسواق لشبونة، فضلاً عن انتقال توزان أوروبا الاقتصادي من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي، مما حرم المماليك من مصدر ثرائهم وقوتهم. قال ابن إياس في حوادث سنة ١٥١٥م: «ولم يكن بثغر الإسكندرية يومئذٍ أحد من أعيان التجار ولا من المسلمين ولا من الفرنج، وكانت المدينة في غاية الخراب بسبب ظلم النائب وجور القباض، فإنهم صاروا يأخذون من التجار العُشر عشرة أمثال، فامتنع تجار الفرنجة والمغاربة من الدخول إلى الثغر، فتلاشى أمر المدينة وآل أمرها إلى الخراب، حتى قيل طُلب الخبز بها فلم يوجد ولا الأكل، ووجد بها بعض دكاكين مفتوحة والبقية خراب لم تُفتح، وكانت الإسكندرية من أجَلِّ مدائن الدنيا».

وزاد من خراب الإسكندرية واضمحلالها، تعسف السلاطين واستبداد نوابهم في المدينة؛ فلم يكن يبلغ الوشاة خبرًا عن تاجر مُثْرٍ إلا وأخرجوا منه المال بوسائل التعذيب دون عذر سوى رغبتهم في مصادرة ماله، وهو ما أشاع عدم الأمان وأدى إلى





خوف التجار ونفورهم. يقول ابن إياس في حوادث سنة ١٥١٦م: «وكان حسين نائب جدة يأخذ العُشر من تجار الهند المثل عشرة أمثال، فامتنع التجار من دخول بندر جدة وآل أمره إلى الخراب، وكذلك الإسكندرية ودمياط، فامتنع تجار الفرنج من الدخول إلى تلك البنادر من كثرة الظلم، وعز وجود الأصناف التي كانت تجلب من بلاد الفرنج».

وقد أدت كل هذه الأحداث إلى دخول دولة المماليك سريعًا إلى طور الفوضى والانهيار، خاصة في عهد الغوري (١٥٠١–١٥١٦م)، الذي زاد من البؤس العام بتدابيره التعسفية؛ حيث جمع ضرائب عشرة أشهر دفعة واحدة، وفرض ضرائب حتى على خدام القصر والأوقاف، وزاد من الرسوم الجمركية، هذا فضلاً عن تغييره في قيمة العملة، مما ألحق خسائر فادحة بالتجار. وفي مقابل ذلك، لم يقم بالاقتصاد في النفقات بل أنفق بسخاء على بلاطه وعلى شراء المماليك وبناء مجموعته الشهيرة بشارع الغورية. هكذا وصلت الدولة المملوكية إلى الطور الأخير من عمرها، ولم تستطع قط الوقوف أمام كل هذه التحديات الداخلية والخارجية، وأدى ضعفها إلى فراغ سياسي كبير في المنطقة، اجتذب القوة الفتية لدولة إسلامية أخرى هي الدولة العثمانية، التي ستعمل منذ دخولها إلى المشرق عام ١٥١٧م إلى سد هذا الفراغ والوقوف أمام التهديدات التي مثلتها كلٌّ من البرتغال وإسبانيا على أراضي المشرق الإسلامي، لتدخل الدولة العثمانية منذ ذلك الوقت حقبة العصر الحديث.

وفي ذلك السياق، أشار أندريه ريمون إلى أن دمج البلدان العربية مع باقي الأراضي العثمانية في أوروبا وآسيا، قد أدى إلى تنمية التجارة الداخلية إلى حدٍّ كبير بين مجموعة دول متفاوتة للغاية، تمر عبرها منتجات شديدة التنوع تمثل عنصرًا فعالاً في التجارة الدولية. وفي نطاق هذا النشاط التجاري الواسع ازدادت حيوية العمليات التجارية داخليًّا إلى حدٍّ كبير بفضل ضخامة سوق الإنتاج والاستهلاك داخل الإمبراطورية، التي كانت بفضل اتساعها ووجودها على ثلاثة أرباع محيط البحر المتوسط هي أكبر

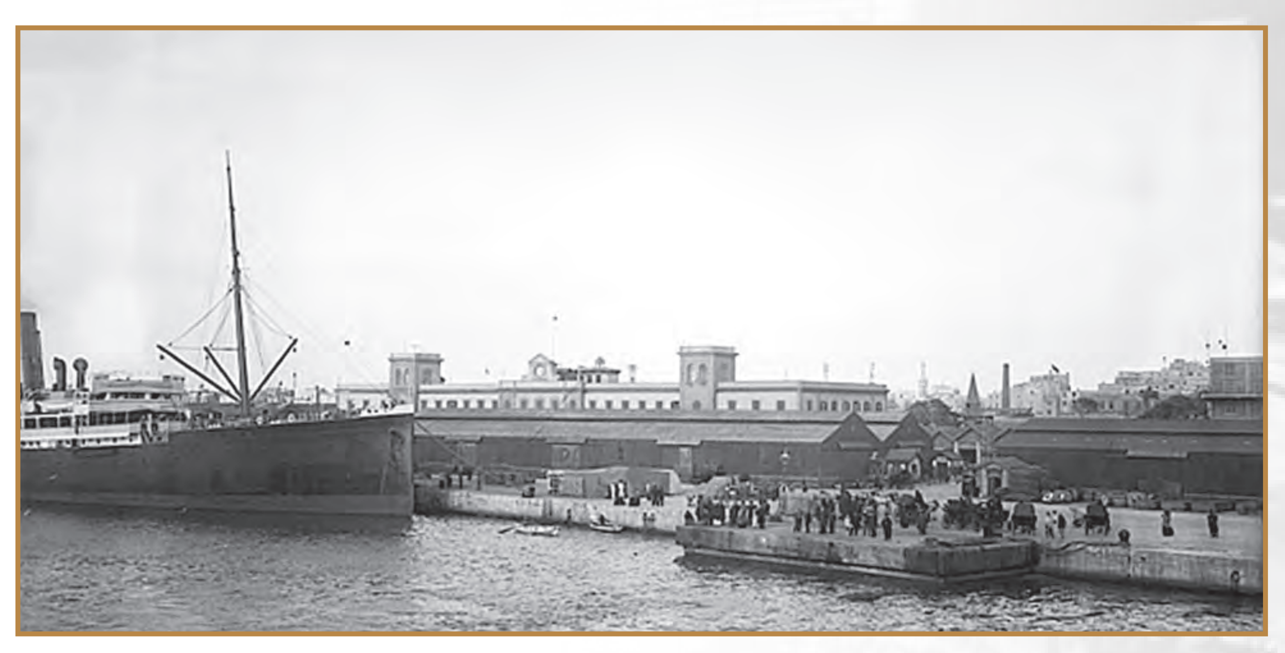


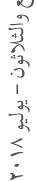


بنيان سياسي عرفه الغرب منذ نهاية الإمبراطورية الرومانية، مما أتاح سهولة في انتقال الأفراد والأموال. وقد أدى هذا السوق الداخلي الضخم إلى حدوث نشاط ورفاهية في المراكز التجارية الكبيرة وخاصة في الحواضر العربية. وانتفعت مدن مثل القاهرة والإسكندرية انتفاعًا هائلاً من كونها أصبحت ملتقى طرق تجارية هامة في العصر العثماني، ويرجع ذلك إلى تخلي العثمانيين عن سياسة التدخل في التجارة الدولية والاحتكارات التجارية التي مارستها الدولة المملوكية طوال القرن الخامس عشر، واستفاد من ذلك التجار من الدرجة الأولى، فلم يعد عليهم أن يشركوا الدولة في أرباحهم، ونتج عن ذلك زيادة فرص وصول جانب من تلك الأرباح إلى غيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى.

وقد أدرك العثمانيون مدى ما أصاب مصر والشام من تدهور اقتصادي نتيجة لتحول التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وما أسفر عن ذلك من كوارث حاقت بالعالم المتوسطي على وجه الإجمال، خاصة المدن الإيطالية وعلى رأسها البندقية، التي أصيبت بنكبة كبرى لضمور مناطق نفوذها نتيجة التوسع العثماني في شرق المتوسط والبحر الأسود من جهة، ولبعدها عن الطرق التجارية البديلة وتحول المراكز الاقتصادية الأوروبية إلى نقاط بعيدة من جهة أخرى؛ لذا حاول العثمانيون ملء الفراغ الذي عجز عن سده المماليك في أواخر عهدهم، وساعدهم في ذلك سيطرتهم التي امتدت لمعظم أجزاء شرق المتوسط، التي تضم القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا، فارتبطت بناءً على ذلك معابر التجارة القديمة من آسيا إلى أوروبا بسلطة واحدة؛ مما سهل وصول التجارة المارة بسرعة أكبر وتكلفة أقل.

ومن هذا المنطلق، لم يتردد السلطان سليم منذ أول يوم في اتخاذ التدابير اللازمة لإنعاش حركة التجارة في الطريق التقليدي القديم المار بمصر، فبدأ بتأمين شرق المتوسط بالقضاء على القراصنة الصليبيين، وهو ما سيتحقق فعليًّا بفتح رودس عام ١٥٢٢م في عهد خلفه سليمان. ومن ناحية أخرى، فقد بدأ في إرسال الحملات إلى البحار الشرقية للحد من نفوذ البرتغاليين. وأراد سليم أن يضمن تسويق ما يصل إلى مصر من التجارة عن طريق البنادقة الذين يقومون بتوزيعها في أوروبا؛ وذلك بعقد معاهدة تجارية معهم لهذا الغرض استمرارًا لما كان يفعله المماليك من قبل. واستمر العثمانيون يعاودون تجديد الامتيازات التجارية للبندقية كلما توقف النزاع السياسي أو العسكري معها. وعلى الرغم من الحروب والصراعات فقد ظل اقتصاد البندقية يتوسع باستمرار خلال القرن السادس عشر، نتيجة لسياسة تبادل المنفعة التي اتبعها العثمانيون. هكذا عقد السلطان سليم أول معاهدة تجارية عقب دخوله إلى مصر مع البندقية، في الثاني والعشرين من شهر المحرم عام ٩٢٣هـ الموافق للرابع عشر من فبراير عام ١٥١٧م، وذلك لتشجيع البنادقة على القدوم إلى الإسكندرية بسفنهم وبضائعهم ومباشرة نشاطهم التجاري. لكن لم يحظَ البنادقة بما كانوا يحظون به من مكانة تجارية فائقة في ظل الحكم المملوكي نتيجة لاصطدام مصالحهم بالمصالح العثمانية في شرق المتوسط بشكل مستمر، مما جعل العثمانيين يتوجهون لدولة أخرى تنال النصيب الأكبر من تجارة المشرق، وكانت هذه الدولة هي فرنسا. ففي عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م)، أصبحت فرنسا أول مملكة غربية تحصل على امتيازات

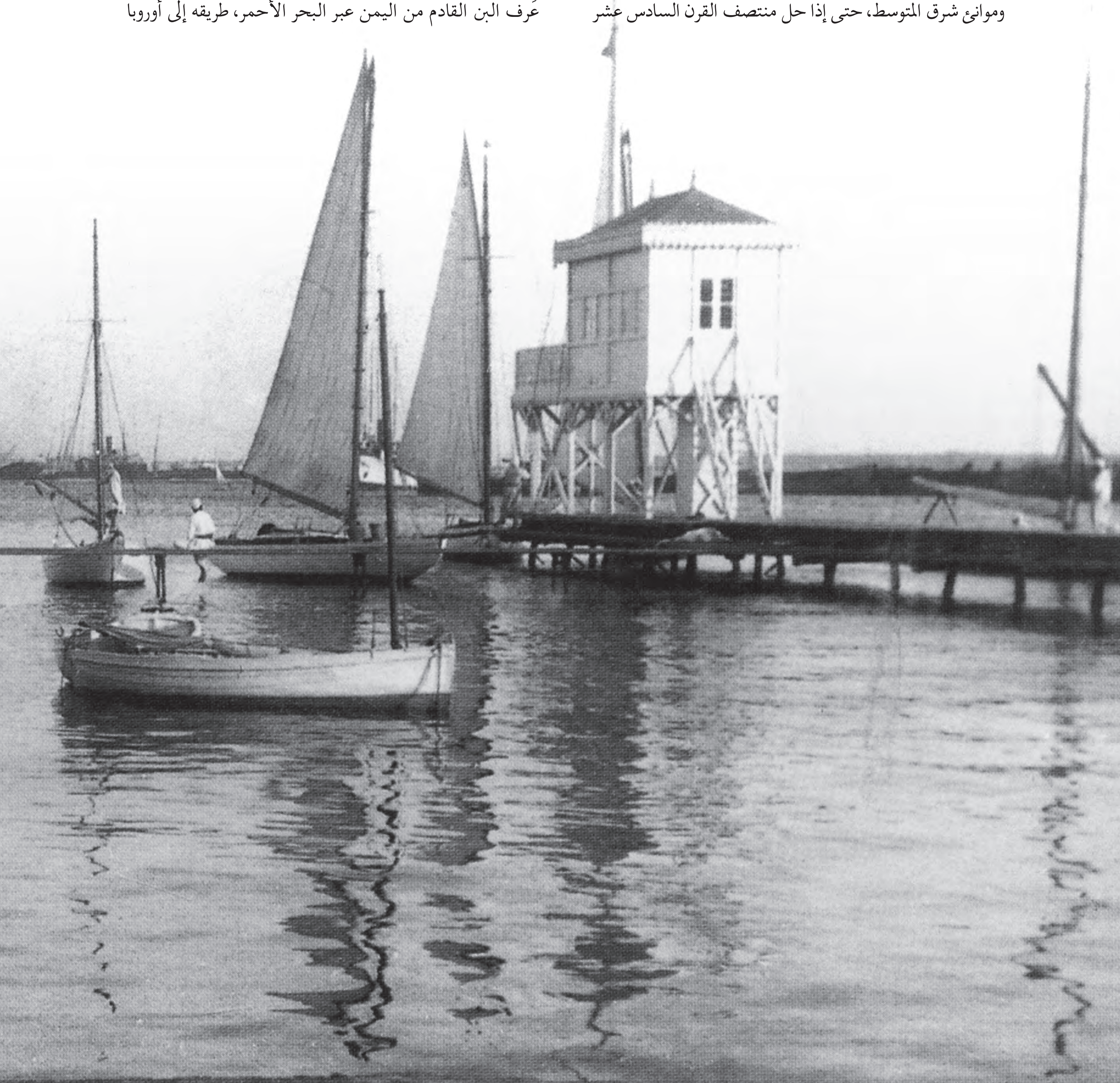






تشمل كل الإمبراطورية العثمانية؛ أي ما كانت تتمتع به البندقية سابقًا، بعد أن عقد معها معاهدة في شعبان ٩٤١هـ/ فبراير ١٥٣٥م. ومنذ القرن السابع عشر، احتلت فرنسا المكانة التي كانت تحتلها البندقية في العصور الوسطى، كموزع لمنتجات الشرق في أوروبا، وأصبحت فرنسا هي الموزع الرئيسي للبضائع العثمانية في أوروبا؛ حيث كانت تقوم بالشحن إلى ميناء مرسيليا ومنه إلى مختلف المناطق. وبعد الفرنسيين بدأ منافسون آخرون في الدخول إلى الميدان هم الإنجليز والهولنديون، وذلك منذ أواخر القرن السادس عشر، عندما بدأت هذه القوى التجارية في التحول إلى قوى استعمارية عابرة للمحيطات.

وما لبث النشاط الاقتصادي في العودة تدريجيًّا إلى أسواق وموانئ شرق المتوسط، حتى إذا حل منتصف القرن السادس عشر ظهرت مؤشرات على تعافي الأسواق والموانئ التجارية في كلٍّ من الشام ومصر، فبدأت المدن تشهد نشاطًا تجاريًّا متزايدًا، وبدأت تعود إلى الأسواق المصرية والشامية عمليات التبادل التجاري فيما بينها وبين الأسواق العربية والأوروبية، ويمكننا أن نرى من خلال الوثائق الفعاليات والأنشطة التجارية لكثير من الجنسيات العربية والأجنبية في كل المدن المصرية، خاصة القاهرة والإسكندرية ورشيد ودمياط والمنصورة والسويس. وصار لمصر علاقات تجارية قوية مع المراكز التجارية في حوض البحر المتوسط، وخاصة إسطنبول. علاوة على ذلك، كان هناك توسع في الشبكات التجارية التي تأثرت بها الدولة العثمانية، وبالتالي مصر. فعلى إثر انتشار تجارة البن في القرن السابع عشر، عَرف البن القادم من اليمن عبر البحر الأحمر، طريقه إلى أوروبا



وأمريكا، مرورًا بمصر، وهو ما أدى إلى ازدياد حجم التجارة، وساعد على نموها الطرق البحرية فضلاً عن حجم الاستهلاك. وتأثرت التجارة في مصر بشكل عام بزيادة حجم التجارة الدولية مع مطلع القرن السابع عشر، وبخاصة التجار الذين تعاملوا في تجارة البحر الأحمر، والتي شملت التوابل والبن والمنسوجات الهندية؛ تلك المنتجات التي كانت تُصَدَّر إلى مناطق عديدة حول حوض البحر المتوسط، وما وراءه. وكان لهؤلاء التجار شبه احتكار لتجارة البحر الأحمر، عندما صار البن اليمني يصل إلى مناطق عديدة من العالم، وليس في نطاق الدولة العثمانية فقط.

وقد راجت في مصر صناعات معينة مثل صناعة النسيج التي استطاعت أن تخترق تجارة النسيج الدولية منذ القرن السابع عشر، وشملت الأسواق قارات العالم القديم فضلاً عن أمريكا المكتشَفة حديثًا، وكانت الإسكندرية ضمن المراكز التي ازدهرت فيها صناعة وتجارة النسيج. وتؤكد مصادر القرن الثامن عشر كثافة عملية التصدير وتعدد الأسواق التي وصلت إليها الأقمشة المصرية. يقول دي ماييه De Maillet؛ قنصل فرنسا في مصر، أوائل القرن الثامن عشر: «كانت مصر تنتج كميات هائلة من الأقمشة الكتانية، وكميات كبيرة من الأقطان كانت ترسل إلى كافة أنحاء العالم». وقدَّم فانسليب Vansleb في نهاية القرن السابع عشر قائمة للمنسوجات المصرية المصدرة إلى فرنسا، تضمنت عدة أنواع من الأقمشة المصنعة في مناطق مختلفة في مصر، كان من أهمها الأقمشة الكتانية المصنعة في المنوفية والإسكندرية. وكانت ترسل هذه الأقمشة أيضًا إلى أنحاء مختلفة من العالم العثماني، وعلى رأسها إسطنبول.



المعماري الإيطالي أنطونيو لاشاك

وجولة بين أعماله المعمارية الباقية بالإسكندرية

كريمة نصر

أنطونيو لاشاك Antonio Lasciac (١٨٥٦-١٩٤٦م) معماري ومهندس، شاعر وموسيقي، رجل ذو موهبة وهواية، فقد ترك إرثًا يعد من الإنجازات المعمارية ليس فقط في التراث المعماري المصري بل على مستوى العمارة بشكل عام. فضلاً عن أثره الملموس في مجالي الموسيقى والشعر بوصفهما شهادة على شخصيته متعددة الجوانب.

ولد أنطونيو لاشاك في ٢١ سبتمبر ١٨٥٦م في مدينة جوريتسيا Gorizia[(١)] بإيطاليا، وقد ظهر اهتمامه بالعمارة في سن مبكرة؛ ولذلك فقد التحق بعد الانتهاء من دراسته المدرسية بكلية الفنون التطبيقية في مدينة فيينا في العمارة تحت توجيه المعماري الكبير فون فرستيل Von Ferstel. وقد حصل أنطونيو لاشاك على شهادته في العمارة وعاد إلى مدينته جوريتسيا؛ حيث تدرب في مكتب مجلس بلدية جوريتسيا في الفترة من عام ١٨٧٦م إلى عام ١٨٨٣م تحت إشراف المعماري جوزيف بريديجا Joseph Bridiga، وهناك بدأ مسيرته الطويلة المبدعة.



أنطونيو لاشاك.

(١) عاصمة مقاطعة جوريتسيا في إقليم فريولي فنيستيا جوليا في شمال شرق إيطاليا، تقع على الحدود بين إيطاليا وسلوفينيا، وكانت في ذلك الوقت؛ وقت مولده ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، تابعة للإمبراطورية النمساوية المجرية، حيث قامت تسوية عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م بين نبلاء المجر ومملكة الهابسبورج في محاولة للحفاظ على الإمبراطورية النمساوية القديمة التي ولدت عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، وقد تمتعت داخلها إمبراطورية المجر بسياسة ذاتية على عدة أصعدة، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى أصبحت جوريتسيا تابعة للجمهورية الإيطالية. وقد كان عنوان بيته المولود فيه في المدينة هو ٩٥ سان روكو San Rocco، وهو بيت آباء والدته الذي ما زال موجودًا حتى الآن.

انتقل لاشاك بعد ذلك إلى مصر وتحديدًا إلى مدينة الإسكندرية في عام ١٨٨٣م، وهو يبلغ من العمر آنذاك ستة وعشرين عامًا، وكان ذلك لعدم قدرته على إيجاد عمل أو تشجيع في بلده إيطاليا، لذا فقد اختار تَرْك مدينته جوريتسيا، وكان ذلك قرارًا مؤلمًا غمره بالحزن، ورغم ذلك نجد أن لاشاك ليس الوحيد الذي قرر ترك مدينته؛ حيث إن كثيرًا من المعماريين والمهندسين من أوروبا اختاروا العمل في الشرق الأوسط، فانتقل هو الآخر إلى هناك بعد أن كانت انتقالاته تقتصر على جوريتسيا وروما ونابولي. وبالتالي فقد أصبح لاشاك جزءًا من الهجرات التي ساهمت في تقديم مهندسين وبنائين وعمال ومقاولين إيطاليين انتقلوا من مدنهم الإيطالية نحو بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

أعمال لاشاك بمدينة الإسكندرية (١٨٨٣–١٨٨٨م)

تمثل أعمال أنطونيو لاشاك بمدينة الإسكندرية المرحلة الأولى من أعماله المعمارية بمصر. فقد جاء إلى مصر عام ١٨٨٣م بعد القصف البريطاني لمدينة الإسكندرية، وعمل بها حتى عام ١٨٨٨م لدى شركة اليوناني جورج زورو Georges Zouro لتصميم المنازل وهي شركة Société Anonyme des Immeubles d'Egypte، وقد صمم في الفترة ما بين عامي ١٨٨٣م و١٨٨٨م مجموعة من المنازل بشارع شريف للاستئجار، والتي تطل على الشارع الرئيسي للمدينة، كما شارك في إعادة بناء وتخطيط الحي الأوروبي أو ميدان محمد علي بالمنشية (ميدان القناصل) – الذي كان أكثر المناطق تأثرًا بضربات المدافع البريطانية – ووكالة منشة Galleria Menasce (١٨٨٣–١٨٨٧م)، وعمارة بريمي Primi Palazzo (١٨٨٦–١٨٨٧م)، كما صمم عمارة للجالية اليهودية بشارع النبي دانيال (١٨٨٦–١٨٨٧م)، وفيلا لوران Villa Laurens (١٨٨٧م)، ومبنى عمارة أجيون Palazzina Aghion بشارع النبي دانيال (١٨٨٧م). وبذلك كانت إقامته بالإسكندرية بداية موفقة سمحت له أن يكون مشهورًا ذا صيت واسع بين أوساط المعماريين في مصر، وبدأ يصنع اسمًا لنفسه من خلال أوائل مشاريعه التي شملت كافة التصنيفات (مبانٍ سكنية، عمارات، قصور، فيلات، مبانٍ عامة، مبانٍ تجارية).

ويتمثل تاريخ أنطونيو لاشاك المتبقي حاليًا بمدينة الإسكندرية في عشر منشآت، تنوعت أغراضها الوظيفية ما بين منشآت سكنية كالقصور والفيلات والعمائر السكنية؛ ومنشآت تجارية كوكالة منشة، وعمائر خدمية كمبنى السكة الحديد بميدان محطة مصر، بالإضافة إلى مقبرة عائلة سوارس.



ميدان القناصل (ميدان المنشية حاليًا).

قصر الأميرة فاطمة حيدر (قصر المجوهرات الملكية حاليًّا)





يقع قصر الأميرة فاطمة حيدر في ٢٧ شارع أحمد يحيى باشا بمنطقة زيزينيا. وقد أنشأت هذا القصر في البداية السيدة زينب فهمي ابنة علي باشا فهمي، وزوجة الأمير حيدر فاضل، وأخت عائشة فهمي، ووالدة الأميرة فاطمة الزهراء علي حيدر، وقد باعت السيدة زينب فهمي قصرها لابنتها الأميرة فاطمة الزهراء، ثم أتمته فاطمة الزهراء وأكملت زخرفته. ويرجع تاريخ البدء في بنائه إلى عام ١٩١٩م، وتم الانتهاء منه في عام ١٩٢٣م، وصمم على نسق طراز النهضة المستحدثة من الخارج وطراز زخارف الركوكو من الداخل. وتبلغ مساحة القصر؛ المبنى بالإضافة إلى الحدائق المحيطة به، ٤١٨٥ مترًا مربعًا. والمبنى عبارة عن دورين وبدروم، وهو مستخدم حاليًّا متحفًا للمجوهرات الملكية.

فقد عهدت السيدة زينب هانم فهمي إلى المعماري أنطونيو لاشاك بإنشاء قصرها، الذي اقتصر على الجناح الغربي آنذاك (عام ١٩١٩م)، ثم أكملت النبيلة فاطمة القصر بوضعه الحالي؛ حيث اشترت قطعة الأرض المجاورة لقصرها من جهة الشرق، فأضافت إليه الممر والجناح الشرقي والجراج، فتم بناء الممر سنة ١٩٢٣م طبقًا للتاريخ المسجل على ضلف الزجاج المعشق بالرصاص المصفوف على جانبيه، بينما أُنتهي من بناء الجناح الشرقي والقصر بالكامل سنة ١٩٢٥م، وقد سُجل ذلك على ضلف الزجاج المعشق بالرصاص لنافذتي ركني الجدار الشمالي الغربي للبهو الرئيسي للطابق الأول بالجناح الشرقي.

قصر الأميرة فاطمة حيدر.

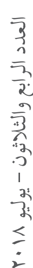


قصر الأميرة فاطمة حيدر.

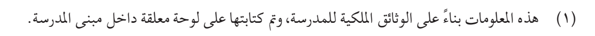
فيلا لوران Villa Laurens

تقع فيلا لوران في ٢ شارع الإقبال المتفرع من شارع هدى شعراوي. وقد أُنشئت في عامي ١٨٨٦م و١٨٨٧م بناءً على طلب من المسيو لوران؛ صانع السيجار الشهير في القرن التاسع عشر؛ بحيث تكون على نسق طراز النهضة الإيطالي المستحدث، في دورين وبدروم، ويشغلها حاليًّا مدرسة لوران الثانوية للبنات.

كانت الفيلا في الأساس ملكًا للمسيو لوران، وعقب وفاته آلت ملكيته إلى سيدة إيطالية، ثم تم تأجيره لمكتب طيران الجيش البريطاني، حتى تم إلغاء معاهدة ١٩٣٦م، ثم تركه الجيش البريطاني، وأخذته وزارة المعارف وحولته إلى «مدرسة لوران الثانوية النسوية الفنية»، واستمر المبنى كذلك حتى عام ١٩٦٩م، ثم أصبحت مدرسة تجريبية لمدة عام باسم «مدرسة لوران التجريبية»، ثم أصبحت بعد ذلك مخصصة كمدرسة ثانوي عام وسميت بـ«مدرسة لوران الثانوية بنات»[١].







(١) هذه المعلومات بناءً على الوثائق الملكية للمدرسة، وتم كتابتها على لوحة معلقة داخل مبنى المدرسة.

عمارات شارع شريف

ثلاث عمارات سكنية تجارية تقع في ٧، ٩، ١١ شارع شريف (شارع صلاح سالم حاليًا). صممها أنطونيو لاشاك لصالح شركة العقارات Société Anonyme des Immeubles، في الفترة من عام ١٨٨٣م إلى عام ١٨٨٨م على نسق طراز عصر النهضة الفرنسي المستحدث، وجميع العمارات عبارة عن أربعة أدوار علوية ودور أرضي.

تمثل عمارات شارع شريف المرحلة الأولى من أعمال لاشاك في مصر، والتي كانت متمركزة بالإسكندرية كما ذكرنا. فقد التحق بشركة العقارات Société Anonyme des Immeubles، والتي تولت تصميم العمارات كجزء من إعادة تعمير المنطقة حول المركز الأوروبي؛ حيث كان من أهم النتائج التي ترتبت على القصف البريطاني بالمدينة، هو انتقال طبقة الصفوة من هذا الميدان (ميدان المنشية) إلى المناطق المجاورة له مثل شارع شريف وشارع فؤاد.

ويلاحظ أن عمارات شارع شريف ذات حجم كبير، ويرجع ذلك لما كان شائعًا في المباني السكنية في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، خاصة بفيينا التي تدرب فيها لاشاك في مقتبل مشواره المعماري.





عمارات شارع شريف.

عمارة عائلة جرين

عائلة جرين Green عائلة يهودية، تمتلك مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، وبدورها كانت تتحكم في الحاصلات الزراعية، وتحتكر جزءًا كبيرًا من تجارتها منذ أوائل القرن العشرين حتى نهاية الثلاثينيات، ومع كل ما تمتلك هذه العائلة من ثروة زراعية وعقارية، فإنها لم تكن لها علاقات قوية أو وظائف هامة في الدولة. ومن أفراد هذه العائلة بالقاهرة، موسى جرين وولداه إميل وأدولف، وكانت هذه الأسرة من أصحاب الأملاك والإيرادات، وكانت تسكن في ١٠ شارع سليمان باشا. وقد توفي الوالد قبل منتصف الأربعينيات، وكذلك إيلي وألكسندر وديفيد جرين، الذين عملوا بالمحاماة، فقد توفي إيلي قبل منتصف الأربعينيات أيضًا، وعمل جوشوا جرين Joshua Green بالتجارة، كما كان حاصلاً على توكيلات لبعض المصانع وكان يسكن بالمعادي. وآخر من تبقى من هذه العائلة هم: جاك جرين الذي كان يعمل محاميًا في القاهرة في بدايات القرن العشرين، والأخوان رالف Ralph الذي كان من أصحاب الأملاك والإيرادات بالقاهرة، وفليكس جرين Felix Green الذي كان مهندسًا زراعيًا، وصاحب أملاك بالإسكندرية ومنها هذه العمارة، كما أنه في العشرينيات كان عضوًا في المجلس المحلي بالإسكندرية.

وتقع عمارة عائلة جرين في ٣٨ شارع محرم بك، حيث تطل إحدى الواجهات على شارع منشة والواجهة الأخرى على شارع محرم بك. وصمم أنطونيو لاشاك هذه العمارة في عامي ١٨٨٦م و١٨٨٧م على نسق الطراز المعماري الركوكو المستحدث، لصالح فليكس جرين، ونجد على المبنى الأحرف الأولى من اسمه FG، ويذكر أحد أحفاده أنها ملك عائلة جرينبرج والتي اشتهرت بـجرين Green. والعمارة عبارة عن دورين علويين ودور أرضي، وتستخدم كمبنى سكني تجاري.





عمارة جرين.



عمارة بريمي Primi Palazzo (الشهيرة بعمارة نوفل)

تقع عمارة بريمي في ١ شارع أحمد عرابي حاليًا (شارع توفيق سابقًا) بالمنشية، وهي من أملاك الأميرة نوجوان هانم؛ والدة شويكار هانم؛ زوجة الملك فؤاد الأول. وقد صممت على نسق طراز النهضة المستحدث، في ثلاثة أدوار علوية ودور أرضي. وكان الدكتور محمد عوض قد أشار إلى عمارة بريمي بأنها تقع في تقاطع شارع شريف مع شارع روسيت، ولكن هذا أمر التبس عليه لتشابه العمائر، وبالتدقيق والمقارنة سنجد أنه قصد عمارة شبيهة بها.

أما الآن فالعمارة ملك لورثة عبد الرحمن أفندي نوفل، وشهيرة باسم عمارة نوفل، وللأسف الشديد فقد ضاعت معالم الطابق الأرضي نتيجة للتجديد المستمر لواجهات المحلات ولبنك مصر فرع عرابي بالإسكندرية الموجود بالجزء الغربي من واجهة العمارة الشمالية.

والعمارة عبارة عن مبنى كبير ينقسم إلى قسمين لكلٍ منهما مدخله الخاص، ويعلو الطابق الأرضي ثلاثة طوابق ثم حجرات الغسيل بالسطح، والعمارة مبنية بالأحجار ومغطاة بطبقة سميكة من الملاط، ويظهر ذلك من خلال جزء من الملاط المتساقط ليظهر خلفه الأحجار.





عمارة بريمي الشهيرة بعمارة نوفل.

عمارة الجالية اليهودية

تقع عمارة الجالية اليهودية في ٦٩ شارع النبي دانيال، وقد شيدت في عامي ١٨٨٦م و١٨٨٧م، على نسق طراز النهضة المستحدث، في دورين علويين ودور أرضي، بالإضافة إلى بعض الغرف أعلى السطح. وكانت مستخدمة كمقر للجالية اليهودية آنذاك.

وقد شيد المبنى نتيجة لـتزايد أعداد اليهود الأوروبيين الذين هاجروا إلى مدينة الإسكندرية خلال الحرب العالمية الأولى، فتزايدت أعداد المعابد اليهودية بالمدينة حتى أشارت بعض المصادر إلى وجود تسعة وعشرين معبدًا في القرن التاسع عشر، ويعد معبد «الياهو هانبي» المجاور له أقدم معابد الإسكندرية والمعبد الرئيسي للطائفة اليهودية بها، وهو المعبد الوحيد الذي تقام به شعائر الصلاة.



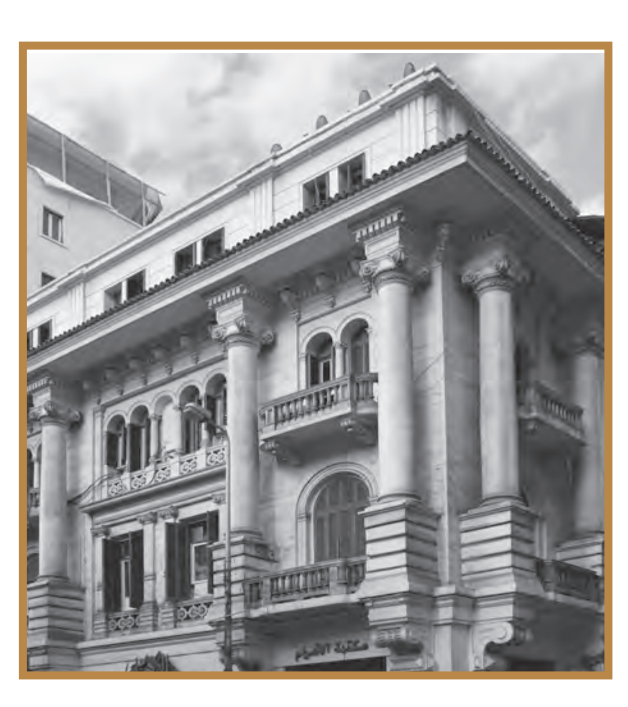
عمارة الجالية اليهودية.



عمارة أجيون Palazzina Aghion

كانت عائلة أجيون من العائلات اليهودية ذات النفوذ القوي في مدينة الإسكندرية؛ حيث كان الجد الأول يعمل موردًا للملابس لجيش نابليون، كما كان أحد أفراد هذه العائلة يعمل وزيرًا مستترًا للمالية في عهد الخديوي إسماعيل، وكان لهذه العائلة فضل كبير في إنشاء المستشفى اليهودي بالإسكندرية، وكانت أنشطتها الاقتصادية مرتبطة أساسًا بزراعة وتجارة القطن؛ حيث كانت هذه العائلة تمتلك مساحات شاسعة من الأراضي في الوجه البحري، وكذلك كان أفراد هذه العائلة يعملون في مجال البنوك.

تقع عمارة أجيون في ١٠ شارع فؤاد الأول (طريق الحرية حاليًّا)، وقد صممها المعماري أنطونيو لاشاك لصالح أحد أفراد عائلة أجيون في عام ١٨٨٧م، على نسق المرحلة الأخيرة من طراز النهضة وبداية الباروك، في ثلاثة أدوار علوية ودور أرضي، ويبدو أن الطابق الرابع أُضيف حديثًا؛ حيث يظهر بالصور القديمة ثلاثة طوابق فقط بالدور الأرضي، ويشغله حاليًّا مقر جريدة الأهرام.



عمارة أجيون؛ شارع فؤاد.

وكالة منشة Galleria Menasce

عائلة منشة اليهودية من أصل سفاردي، جاءت إلى مصر من المغرب عن طريق فلسطين منذ القرن الثامن عشر، وكان عميد هذه العائلة هو يعقوب دي منشة، المولود بـالقاهرة عام ١٨٠٧م، والمتوفى بالإسكندرية عام ١٨٨٧م، وقد بدأ حياته صرافًا وصاحب بنك في حارة اليهود بالقاهرة، ثم أصبح كبير الصرافين في عهد الخديوي إسماعيل، كما كان من أوائل رجال المال اليهود الذين تعاملوا مع التجارة الأوروبية، وارتقى إلى الطبقة الأرستقراطية حينما منحه إمبراطور النمسا والمجر لقب بارون عندما حضر لافتتاح قناة السويس. وفي عام ١٨٧١م، انتقل يعقوب دي منشة إلى الإسكندرية حيث أقام واستقر بها ونقل نشاطه المالي والاقتصادي إليها، وقد أحدث شرخًا في وحدة الطائفة في مصر حيث أنشأ طائفة مستقلة في الإسكندرية، وبنى عدة منشآت هامة بها. وفي عام ١٨٧٨م، انتهى النزاع الطائفي لصالحه، وأصبح هناك رئيس للطائفة في القاهرة، وآخر في الإسكندرية وقد تولى رئاستها يعقوب حتى توفي بالإسكندرية عام ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م، ثم تولى ابنه بخور الرئاسة خلفًا لأبيه، وأصبحت عائلة منشة أكبر عائلة ذات نفوذ في الإسكندرية.

أما وكالة منشة فهي تقع بميدان محمد علي بالمنشية، حيث تطل واجهتها الجنوبية، بينما يحدها من الشمال شارع نوبار باشا، ومن الشرق شارع السبع بنات، بينما تطل من الغرب على شارع القائد جوهر. وقد صممها المعماري أنطونيو لاشاك على

تفاصيل لشرفات عمارة أجيون بشارع فؤاد.



نسق طراز النهضة الإيطالي المستحدث، لصالح المصرفي الثري بخور ليفي دي منشة Behor Levi de Menasce كما هو مسجل بالنص التأسيسي على اللوحة الرخامية أعلى المدخل الشمالي المطل على شارع نوبار، وهو واحد من مؤسسي شركة Société Anonyme des Immeubles للعقارات[1]. ويرجع تاريخ البناء بعد ضرب الإسكندرية فيما بين عامي ١٨٨٣م و١٨٨٧م. وتتبع هذه الوكالة الآن الشركة المتحدة للإسكان والتعمير.



وكالة منشة؛ من الداخل.

ضريح عائلة سوارس Suares Mausoleum

عائلة سوارس هي عائلة يهودية من أصل إسباني، استقرت في مصر في بدايات القرن التاسع عشر. وتقع مقبرة عائلة سوارس في مقابر اليهود بمنطقة الشاطبي ضمن أربع وأربعين مقبرة أخرى. وقد صممها أنطونيو لاشاك لأحد أفراد العائلة في عام ١٨٩٩م على نسق الطراز الكلاسيكي المستحدث من طابق واحد. وتعد من أكثر المقابر المتميزة التي تعكس مدى ثراء العائلة، ويحيط بمدخل المقبرة من ثلاث جهات بائكة ذات أعمدة كورنثية، في حين يكتنف مدخل المقبرة عمودان من الجرانيت الوردي، ويحمل الجمالون اليوناني الذي كتب على عتبته Famille Suares، وبداخله لوحة بها أسماء كل المدفونين به، وتصوير بارز لنبي الله موسى عليه السلام.



وكالة منشة؛ من الخارج.

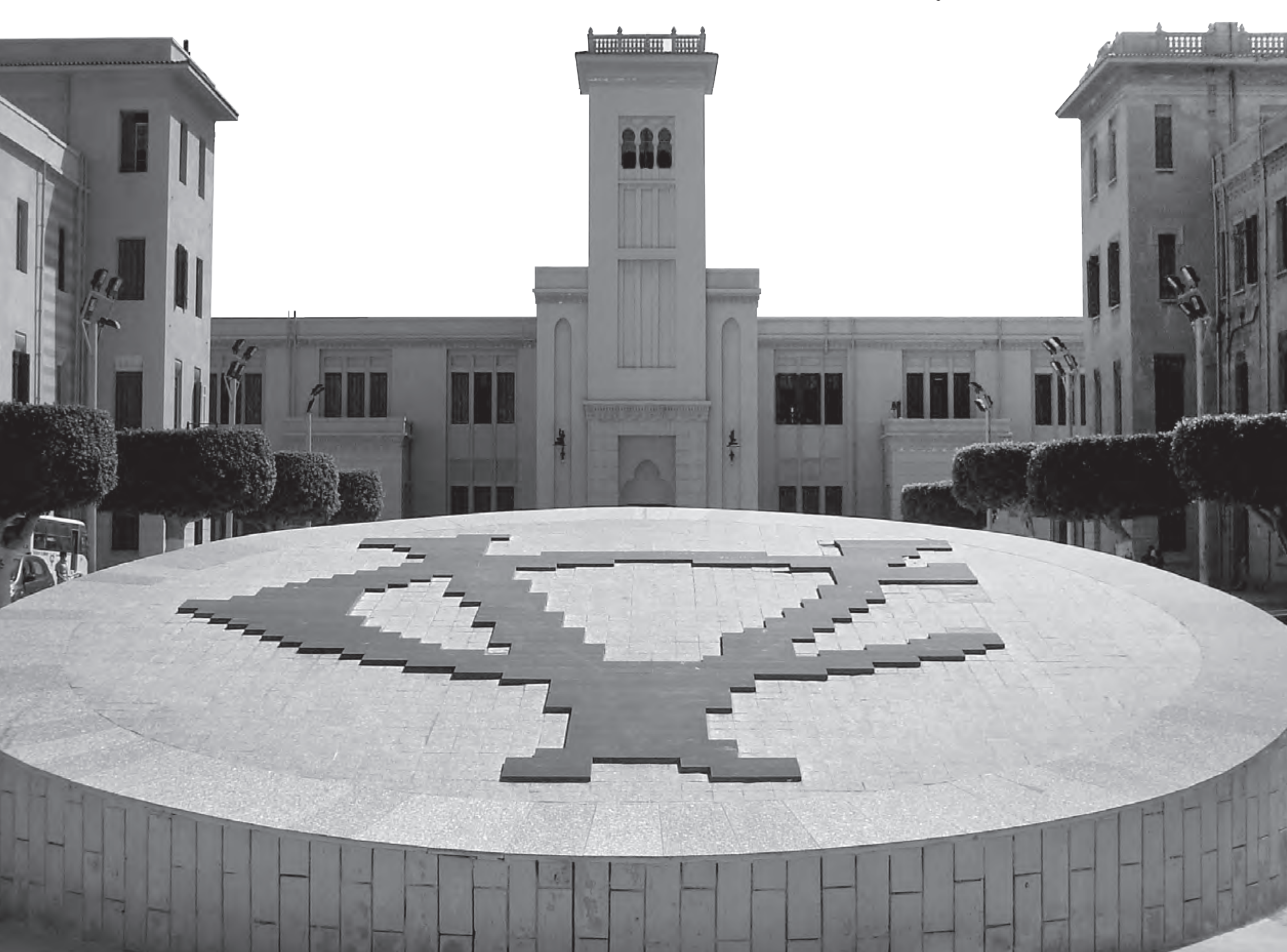
الواجهة الخارجية لوكالة منشة المطلة على ميدان محمد علي بالمنشية.

مدرسة فيكتوريا كوليدج

حينما يصنع التعليم عظماء القرن العشرين

داليا عاصم

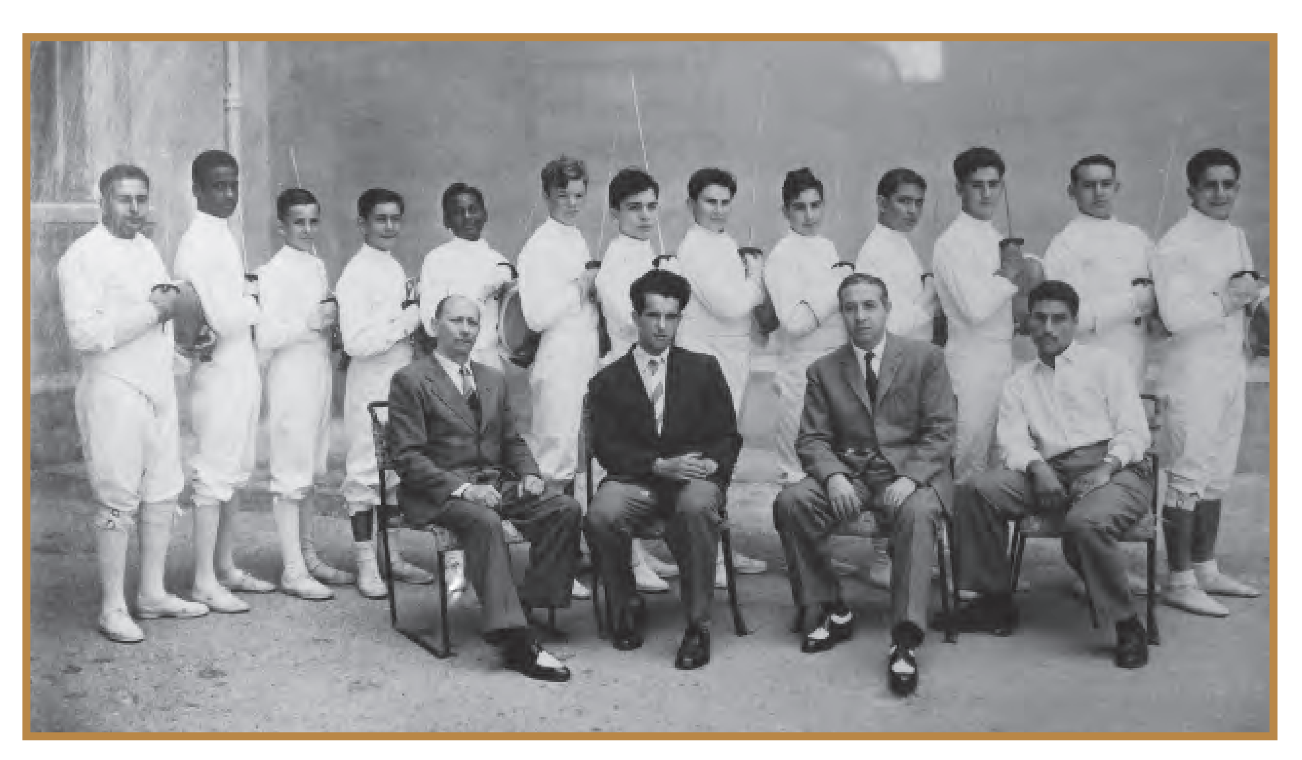
طالب أردني من نسل النبي الكريم ﷺ يمارس رياضة السلاح مع زميله السوداني من عائلة المهدي، وذاك يوناني يقود فريق كرة القدم، المكون من إيطاليين وأرمن وإنجليز وفرنسيين ولبنانيين (كانوا يعرفون بالشوام)، وطلاب أفارقة من إثيوبيا ونيجيريا، هكذا كان حال مدرسة فيكتوريا كوليدج ذات المائة وسبعة عشر عامًا.



لم تكن فيكتوريا كوليدج مجرد مدرسة وحسب، بل هي فصل من فصول التاريخ المصري والعربي والعالمي، سُطر خلاله أحوال مصر والعالم من حولها. وكانت المدرسة صورة لمجتمع الإسكندرية الكوزموبوليتاني بتنوعه، تلك المدرسة البريطانية الصارمة التي انصهرت بين جدرانها ثقافات من خمس وخمسين دولة، واحتضنت الأمراء والملوك واللاعبين الأساسيين في تاريخ القرن العشرين. فبين فصولها تفجرت موهبة المخرج العالمي يوسف شاهين، وبها صوَّر أول فيلم تسجيلي في حياته، وعلى مسرحها كبرت موهبة نجم السينما العالمي عمر الشريف؛ حيث قدم موهبته وهو لم يتجاوز اثني عشر عامًا، وتعرف إلى صديق مشواره الفني أحمد رمزي، وفي سكن الطلاب الداخلي كان يبيت الملك حسين؛ ملك الأردن الراحل، مستمتعًا برفقة زملائه الذين يلهون ببراءة، وفيها تخرج كبار السينمائيين مثل شادي عبد السلام وتوفيق صالح، كما درس على طاولاتها سيمون الثاني؛ آخر ملوك بلغاريا، حيث كانت أسرته في منفاها تقيم بالإسكندرية. كذلك احتضنت المدرسة الملياردير السعودي عدنان خاشقجي، والأمير عبد الإله بن الملك علي بن الشريف حسين الهاشمي، الذي تولى الوصاية على عرش العراق، والشريف زيد بن شاكر الذي كان رئيس وزراء الأردن، والصادق المهدي؛ رئيس وزراء السودان الأسبق، وعائلة الخرافي من الكويت، وقسطنطين؛ ملك اليونان، والكثيرين غيرهم.

تشييد فيكتوريا كوليدج

وُلدت فكرة تشييد مدرسة بريطانية عام ١٨٩٧م، في الوقت الذي كانت اللغة الفرنسية هي اللغة السائدة في المجتمع المصري. فقد طرأت على ذهن السير تشارلز كوكسون؛ القنصل العام البريطاني، فكرة تشييد مدرسة إنجليزية في الإسكندرية، وفكر في طرحها على عدد من أعضاء الجالية الإنجليزية والجاليات الأجنبية التي كانت تشكل مجتمع الإسكندرية الكوزموبوليتاني. فالتقى بالسير هنري باركر؛ رئيس الجالية البريطانية بالإسكندرية آنذاك، وإذا بهما يلتقيان بأعيان المجتمع السكندري آنذاك مقدمين لهم الفكرة، والتي لاقت حماسًا شديدًا من الجاليتين الإنجليزية واليهودية، ولكن أحدًا لم يتخذ خطوات جدية لتنفيذ الفكرة. وقد تحمس لفكرة تلك المدرسة عدد كبير من الأعيان ورجال الأعمال في الإسكندرية. فكان تأسيس المدرسة بشكل أساسي نوعًا من أنواع «البيزنس» يديره كبار رجال الأعمال في مصر آنذاك، لذا حرصوا على أن تكون المدرسة غير خاضعة لجهة سيادية أو بعثات دينية. فكانت التابوهات المحرمة لكل من اختار الدراسة بتلك المدرسة هي الدين والسياسة والعرق. وإذا بوفاة الملكة فيكتوريا؛ ملكة بريطانيا العظمى وإيرلندا، في يناير من عام ١٩٠١م، والتي خرج من نسلها ملوك أوروبا وحتى اليوم؛ تحيي فكرة تشييد شيء يخلد ذكراها لدى الجالية البريطانية. وبالفعل، اجتمع المساهمون بالمشروع وقرروا منح المدرسة اسم الملكة،



الملك حسين يتوسط فريق السلاح والشيش بمدرسة فيكتوريا عام ١٩٤٨م، ويظهر في الصورة الصادق المهدي.

لتحظى المدرسة طوال ما يزيد عن قرن بمجد يماثل مجد فيكتوريا الملكة. وقاموا بجمع تبرعات قدرت بثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعين قرشًا وخمسمائة وأربعة وأربعين مليمًا، ولكنهم كانوا في حاجة إلى مزيد من الأموال لاستكمال الإنشاءات.

ومن أجل ذلك، فكر عدد منهم في طرح الفكرة على اللورد كرومر؛ المفوض السامي البريطاني في مصر آنذاك، لكنهم صُدموا حينما رفض كرومر تخصيص مبلغ من السلطات البريطانية، وأسدى لهم نصيحة بأنه ما دام سيتم إنفاق أكثر من ثلاثة آلاف جنيه على المباني فإنه من الأجدى تأجير شقة أو منزل كبداية، وقال لهم عليكم بالاستعانة بأحد الموظفين الإنجليز بنظارة المعارف ليدير المدرسة لمدة عام على أن تدفع المدرسة راتبه. وهنا تدخل رجل الأعمال جورج ألدرسون متبرعًا بقطعة أرض في مواجهة الميناء الشرقي العتيق بمساحة خمسة وعشرين ألف متر مربع، وكانت تلك أرض الأزاريطة التي شهدت ولادة فيكتوريا كوليدج، وتبرع بمبلغ مالي كبير لاستكمال إنشاء مباني المدرسة، كان يقدر بحوالي ألفين وخمسمائة جنيه.

ووقع الاختيار على مستر تشارلز لياس Mr.Charles Lias؛ خريج كينجز كوليدج بجامعة كامبريدج بإنجلترا، ليصبح أول مدير لمدرسة فيكتوريا كوليدج وعلى مدار عشرين عامًا، والذي خلق فيها شخصية المدرسة وروحها التي استمرت على مدار أكثر من قرن. وتم العمل على قدم وساق. وأُوصي بتولي تشييد مباني الأزاريطة للمعماري Mr. H. Favarger، وشركة البناء McClure and Dorling. وتنامى إلى سمع كرومر انتهاء مشروع تشييد مدرسة بريطانية بالأزاريطة، فقرر أن يقوم بوضع حجر الأساس لها في ١٥ إبريل ١٩٠١م.

لم يكن خافيًا أن السلطات البريطانية استغلت فيكتوريا كوليدج لجذب العائلات المنخرطة في العمل السياسي في مصر والدول العربية والإفريقية، ممن يمكن الاعتماد عليهم في بسط المزيد من هيمنة الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها



الشمس، وكان ذلك يخدم سياستها وأيديولوجية الإمبريالية الجديدة، والتي بدأت منذ عام ١٨٧٠م، وكان هدفها السيطرة على إفريقيا. وأعدت قوائم بأسماء أبناء كبار العائلات لكي يتم إلحاقهم بالمدرسة البريطانية.

سرت أخبار افتتاح المدرسة البريطانية الجديدة، وتقدم الطلاب للمدرسة، وكان عددهم قبيل افتتاحها ستة وعشرين طالبًا، من بينهم أحد عشر طالبًا يهوديًّا، وثلاثة مصريين، وثلاثة يونانيين، وطالب بريطاني واحد فقط، والباقي شوام، كان من بينهم جورج أنطونيوس؛ أول مؤرخ للقومية العربية، وأشقاؤه مايكل وألبرت وكونستانتين أنطونيوس، وهم أبناء حبيب أنطونيوس؛ أحد كبار ملاك الأراضي الشوام بمصر. أما أول المصريين المنضمين لفيكتوريا فهم: حسن ويوسف سري أولاد إسماعيل بيه سري، الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للأشغال العمومية.

وفي صباح يوم الأحد الموافق الثاني من نوفمبر ١٩٠٢م، افتتحت مدرسة فيكتوريا كوليدج رسميًّا، وكانت المصروفات المقررة هي ثلاثة جنيهات في الشهر تشمل وجبة الغذاء، وتم تحديد الإجازة الإسبوعية للمدرسة من منتصف يوم السبت ويوم الأحد بأكمله. وفي السنة الثانية لافتتاح المدرسة كان عدد الطلاب سبعة وعشرين طالبًا، وفي العام الثالث استقبلت المدرسة سبعين طالبًا. ومع تضاعف الأعداد بشكل كبير، اجتمع مجلس الأمناء للبحث عن حل لتلك المشكلة، وقدم الحل كعادته مستر ألدرسون على طبق من فضة، والذي قام بشراء أرض في «ضاحية السيوف» – كما كانت تسمى في ذلك الوقت – مساحتها ثمانية عشر فدانًا. وطلب من مجلس الأمناء أن يتم نقل المدرسة لتتوسع وتستطيع استيعاب أكبر عدد من الطلاب، لكن أثار ذلك الحل جدلاً واسعًا بين الإدارة ومجلس الأمناء؛ فكيف يعقل أن يتم نقل المدرسة من مكان في قلب المدينة إلى منطقة مهجورة!

وفي صباح ٢٤ مايو ١٩٠٦م، شهدت «ضاحية السيوف» حدثًا تاريخيًّا عظيمًا، تخلده أمام غرفة التربية الفنية الفسيحة وأسفل المبنى الباهر الخاص بالمعامل؛ لوحة رخامية تذكارية محفور عليها بالحروف الإنجليزية «فيكتوريا كوليدج.. شيدت في ذكرى الملكة فيكتوريا لتقدم التعليم الحر لأبناء الطبقة الأرستقراطية من المصريين أو المقيمين بها، وتأهيلهم للمناصب القيادية في البلاد بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية أو الجنسية»؛ ففي ذلك اليوم، وضع اللورد كرومر حجر أساس المدرسة الجديدة والذي يوافق تاريخ وذكرى ميلاد الملكة فيكتوريا، في حضور مئات من الضيوف المرموقين وعلى رأسهم: قناصل الدول، وحاكم الإسكندرية أو محافظها وقتها مصطفى باشا عبادي، وبطريرك بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، والحاخام الأكبر بالإسكندرية، ويعقوب باشا أرتين؛ سكرتير وزارة الأشغال العمومية، والذي كان له دور هام في الإصلاحات التعليمية في مصر، وتشييد العديد من المدارس وتشجيع المصريين على تعليم أولادهم. كما كان من بين الحضور أيضًا رئيس المحكمة المختلطة، ورئيس ميناء الإسكندرية، مايكل سينادينو؛ نائب رئيس الجالية اليونانية بمصر وغيرهم.

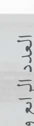
ابن الملكة فيكتوريا يفتتح المدرسة

في ٢٧ مارس ١٩٠٩م، أقيم حفل افتتاح ملكي للمدرسة في حضور دوق كونوه؛ ابن الملكة فيكتوريا، الذي رافقته زوجته الدوقة وابنتهما الأميرة باتريشيا. وكانت من عبقرية الإدارة أن تجعل تسليم الشهادات احتفالاً رسميًّا يتسلم فيه الطلاب شهاداتهم من يد الدوق شخصيًّا، والذي ألقى كلمة للطلاب، أعرب خلالها عن سعادته بافتتاح المدرسة التي تحمل اسم والدته الملكة، والتي تمنح خريجيها شهادات من أوكسفورد وكامبريدج، وحفزهم فيها على مواصلة التعلم والاجتهاد في طلب العلم، ثم قام بجولة لتفقد مباني المدرسة التي صممها المعماري الإيطالي السكندري هنري جورا، على الطراز الإنجليزي الممزوج بملامح فن العمارة الإسلامية، لتعبر عن طبيعة المدرسة العالمية.

وقد برع جورا باستغلاله لمساحة ثمانية عشر فدانًا تقع على بعد ثلاثمائة متر من البحر، في تصميم ستة أبنية، تضم فصولاً دراسية تسع اثنين وعشرين تلميذًا، ومكتبة رحبة، ومكاتب إدارية، وصالة طعام شاسعة تسع خمسمائة طالب، ومطبخًا عملاقًا ملحقًا بها، وسكنًا لطلبة القسم الداخلي، والمعامل التي جيء بكل معداتها من إنجلترا ولا تزال موجودة حتى الآن، وتطويع التصميم بحيث يتيح للطلاب الاستمتاع بمساحات شاسعة من الملاعب والحدائق وارفة الأشجار التي لا تزال تحتضن مجموعة تخلب الألباب من الأشجار النادرة والعتيقة التي لا مثيل لها. وكان يوجد بالمدرسة أربعة ملاعب قانونية لكرة القدم، فضلاً عن ملاعب أخرى لكرة الطائرة وكرة السلة وكرة اليد وملاعب للتنس والكريكيت، ولم يكن بها حين شيدت حمام السباحة الأوليمبي، ولا المسرح ولا الجمنازيوم، وقد شيد ذلك كله فيما بعد بناءً على تبرعات من كبرى العائلات السكندرية.

فيكتوريا كوليدج.. إيتون الشرق الأوسط

كانت مدرسة فيكتوريا كوليدج مدرسة الصفوة بحق، فجميع أنشطتها وأحداثها تصبح مثار حديث وثرثرة الهوانم والباشوات والبكوات. وبالفعل، استحقت لقب «إيتون الشرق»، بل كادت تتفوق على مدرسة إيتون البريطانية للبنين التي يفصلها نهر



التايمز عن بلدة ويندسور، وتأسست عام ١٤٤٠م بأمر من الملك هنري السادس. وهي مدرسة داخلية خاصة للبنين تخرج فيها ثمانية عشر من رؤساء الحكومة البريطانية، والأميران وليام وهاري؛ ابنا ولي العهد الأمير تشارلز.

كانت فيكتوريا كوليدج نموذجًا مثاليًّا للمؤسسات التعليمية في العالم، فكان يدرس اللغة العربية شيخ من الأزهر أو خريج دار العلوم، ويدرس اللغة الفرنسية مدرس فرنسي الأصل، ويدرس اللغة الإنجليزية إنجليزي الأصل متمكن منها وعلى درجة عالية من العلم والثقافة. وكانت العائلات الملكية في العالم العربي وفي أوروبا وإفريقيا ترسل أبناءها ليتم وضع خطة تعليمية لهم أشبه بالدورة التأهيلية لتمكنهم من الإلمام باللغات والعلوم والآداب والبروتوكولات الملكية، فكانت القصور الملكية العربية تلجأ إلى مدير فيكتوريا كوليدج لاستشارته في كيفية إعداد ملوك العرب، والكتب التي يجب أن يطلعوا عليها، حتى إن قصر عابدين طلب استشارة مستر رييد فيما يجب أن يتعلمه الأمير فاروق. كما كان كلٌّ من مستر رييد ومستر لياس يغذيان حلم الدراسة في أوكسفورد أو كامبريدج لدى الطلاب. فطلب السيد لياس مدرسين للالتحاق بالمدرسة من خريجي جامعة كامبريدج – التي كان ينتمي إليها – ويحث الطلاب على الالتحاق بها. بينما كان مستر رييد يطلب تعيين خريجي أوكسفورد، ويرسل خطابات توصية لطلابه تساعدهم في الالتحاق بها، وكان من بينهم أمين عثمان الذي طلب واسطة اللورد اللنبي؛ المفوض السامي، للحصول على خطاب توصية يضمن دخوله مدرسة Brasenose College العريقة في أوكسفورد، والتي تأسست في عام ١٥٠٩م، وتخرج فيها كبار الشخصيات العامة البريطانية، ومنهم على سبيل المثال ديفيد كاميرون؛ رئيس وزراء بريطانيا الأسبق.

وبرغم جودة التعليم وكل ما قدمته مدرسة فيكتوريا كوليدج لطلابها عن الثقافة الإنجليزية والتاريخ العالمي، فقد كان هؤلاء الطلاب يصطدمون بحجرة عثرة، وهي أنهم لا يعلمون شيئًا عن تراثهم وتاريخهم المصري والعربي. فقد تم خلعهم من جذورهم الثقافية وعاداتهم وتقاليدهم، فقد كان الطلاب يدرسون تاريخ أوروبا، وبالأخص أمجاد الإمبراطورية البريطانية وتاريخها والحروب العالمية وتاريخ العائلات الملكية في أوروبا، ولذلك كانوا يجدون أنفسهم بمعزل عن السياق التاريخي لبلادهم وموطنهم الأصلي، مما سبب للكثيرين منهم حالة الاغتراب، وكان من أشهرهم: المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد، والزعيم السوداني الصادق المهدي، والروائي السكندري وجيه غالي، الذين رفضوا الهيمنة البريطانية على هويتهم.

أول فريق كشافة في مصر

شهدت مدرسة فيكتوريا كوليدج ميلاد أول فريق كشافة يتم تكوينه في مصر وذلك عام ١٩١٢م، وقد تأسس مثل هذا الفريق لأول مرة في إنجلترا عام ١٩٠٧م على يد اللورد بادن باول، والذي كان موظفًا كبيرًا في الخارجية البريطانية. وقد كانت لفيكتوريا كوليدج الريادة في ذلك، وهو أمر انتقل منها إلى باقي المدارس في شتى أنحاء مصر. وكانت مواقع التخييم في حديقة سان ستيفانو وكازينو وشاطئ سيدي بشر، وفي المندرة بالقرب من حدائق قصر المنتزه.

مكتبة فيكتوريا كوليدج

تعتبر مكتبة مدرسة فيكتوريا كوليدج واحدة من أقيم المكتبات الموجودة في مصر، فهي تضم آلافًا من الكتب المتنوعة والتي يعود عمر بعضها إلى أكثر من مائة عام. وبدأت نواة تكوين تلك المكتبة العريقة عام ١٩٠٤م بإشراف مستر باركهورست؛ أول أمين للمكتبة، الذي استطاع الحصول على إهداء مادي سخي من مستر ألدرسون، الذي كان دائمًا صاحب فضل في وجود تلك المدرسة العريقة، وأيضًا جمع عددًا من الإهداءات من مختلف أطياف المجتمع السكندري الذي كان معروفًا بنهمه للثقافة. وبالفعل، اقتنت المدرسة مئات الكتب، التي تزايدت بعد ذلك، وتم إضافة الموسوعة البريطانية كاملة، والعديد من دوائر المعارف بالإنجليزية والفرنسية واللاتينية. ويصل عدد الكتب حاليًّا إلى أكثر من مائة ألف كتاب في مختلف المجالات.



طلبة من فريق الكشافة.

مسرح بيرلي هول

بدأ النشاط المسرحي عام ١٩٣٧م، وذلك بعد أن قام الزوجان مستر ومسز بيرلي بإهداء مدرسة فيكتوريا كوليدج قاعة مجهزة لتصبح مسرحًا فخمًا، أطلق عليه اسم «بيرلي هول» تشبيهًا بـ«ألبرت هول»، وأصبح يشهد سنويًّا مسرحية للكاتب الإنجليزي شكسبير، وكان يشترك فيها أحيانًا بعض المدرسين الإنجليز والطلاب من مختلف الجنسيات، وأخرج هذا المسرح المواهب الكامنة لدى عمر الشريف (ميشيل شلهوب آنذاك)، وأحمد رمزي (أحمد بيومي آنذاك)، ويوسف شاهين، وتوفيق صالح، وشادي عبد السلام، وإبراهيم الكرداني. وقد زار المسرح عمر الشريف ويوسف شاهين بعد شهرتهما العالمية، وكانا يتفقدان كل شبر فيه.

تعليم العربية

كانت القاعدة التي لا تقبل الكسر في فيكتوريا كوليدج هي عدم التفوه ببنت كلمة عربية، ولكنها اهتمت جدًّا بتدريسها لجميع طلابها، ومنذ افتتاحها درس طلابها العربية على أيدي شيوخ من الأزهر، إلى أن تم فيما بعد الاستعانة بمدرسين من خريجي دار العلوم، وكان مستر لياس البريطاني؛ أول مدير للمدرسة، ضليعًا في اللغة العربية، وكان يعلم الطلاب الترجمة الدقيقة من العربية إلى الإنجليزية والعكس. وكانت إدارة المدرسة حريصة على توفير مدرسين لتدريس اللغة العربية للمصريين والعرب والمتحدثين بالعربية، وتدريس العربية للأجانب.

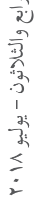
طرق العقاب

كان العقاب ضربًا بالعصا والكتابة المتكررة؛ سياسة متبعة في تلك المدرسة البريطانية الصارمة التي خرَّجت أجيالاً من العباقرة في شتى المجالات، والذين كانوا يتلقون عقابهم الشديد إذا ما خالفوا تعاليم المدرسة أو أهملوا في أناقتهم وزيهم المدرسي أو نظافتهم الشخصية، أو إذا تناولوا طعامهم بشكل غير لائق، أو إذا تأخروا عن طابور المدرسة، وإذا تغيبوا عن الدراسة، أو إذا شوهدوا يسلكون سلوكًا سيئًا حتى لو خارج المدرسة في الطرقات أو في وسائل المواصلات، وكان تدخين السجائر سلوكًا يستوجب الرفت حتى لو لم يكن الطالب مرتديًا زي المدرسة، أو إذا لم يحترموا معلمهم أو الطالب القائد (الهيد بوي) أو لم يتعاملوا معه بالطريقة اللائقة. ووفقًا لقواعد المدرسة الإنجليزية، فإن العقاب يقع كذلك على من يتحدثون العربية. فكان العقاب إما الضرب بالعصا، وهو عقاب شهير جدًّا، وكان يحمل نوعًا من الإهانة للطالب الذي قطعًا كان قد ارتكب جرمًا كبيرًا تخطى فيه حدود اللياقة، فكان الطالب ينحني ليتلقى ثلاث ضربات بالعصا على مؤخرته من ناظر المدرسة في مكتبه، وكان هذا العقاب الشنيع له صيته بين مدارس الإسكندرية؛ إذ لم يكن موجودًا إلا في فيكتوريا كوليدج. ولكن لنتوقف هنا لحظة؛ لأن إدارة المدرسة كانت حريصة على أن يكون ذلك العقاب بعيدًا عن أعين الطلاب وفي سرية حفاظًا على كرامة الطالب. أما وسيلة العقاب لمن يتحدث اللغة العربية داخل حرم فيكتوريا كوليدج أو أية لغة أخرى غير الإنجليزية، فهي أن يقوم بكتابة مضاعفات المائة من مائة إلى خمسمائة، فمثلاً إذا تحدث بالعربية في المدرسة





الملكة نور مع الملك حسين الذي يحتضن عم حسين أبو خير؛ أقدم سعاة المدرسة، حيث جمعت بينهما ذكريات جميلة في القسم الداخلي.



اللورد بادن؛ مؤسس الحركة الكشفية العالمية والضابط بالجيش البريطاني، أثناء زيارته لمدرسة فيكتوريا بالإسكندرية، يتوسط الصورة بزيه العسكري. وفي الصورة أيضًا يظهر مستر بارك هاوس وعدد من معلمي وطلاب المدرسة.

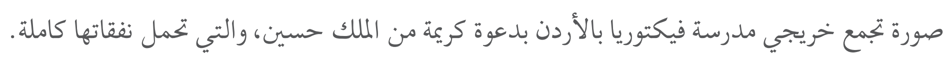


الملك حسين يستعد لمباراة الكريكيت، وفي الخلفية يظهر المخرج العالمي الراحل يوسف شاهين.



الملك حسين في مدرسة فيكتوريا بالإسكندرية يكرم طلابها المتفوقين، ويلتقي بالمعلمين والفراشين أثناء زيارته لها عام ١٩٨٣م.





صورة تجمع خريجي مدرسة فيكتوريا بالأردن بدعوة كريمة من الملك حسين، والتي تحمل نفقاتها كاملة.



كان عليه أن يكتب ثلاثمائة جملة في كراسة يقول فيها: «لن أتحدث العربية في المدرسة مرة أخرى»، أو قد يكلف الطالب بكتابة خمسمائة سطر ينقلها عن كتاب ضخم، قد يكون قاموسًا أو فهرس تليفونات، أو أن يدفع من مصروفه المقنن وفقًا لقواعد المدرسة غرامة مالية يوقعها عليه المعلم أو المدير. وإذا ارتكب طالب خطأ سلوكيًّا فعقابه – مثل معسكرات الجيش – هو حرمانه من الخروج من المدرسة يوم الخميس للترفيه عن نفسه.

ومن أشهر المواقف التي عوقب فيها طلاب، الموقف الذي يرويه أحد أبرز الفيكتوريين القدامى وهو ميشيل ماركو، الذي قص علينا حكاية صديق يوناني له كان يدعى كاسيكاليس الذي يقطن حاليًّا بمرسيليا، وكان يكبره بعامين، يقول: «كان كاسكاليس حارس مرمى، وجاء يومًا وهو تارك شعره فيما يشبه موضة الخنافس، فإذا بمستر بارك هاوس يمسك بماكينة قص شعر حصانه، ويحلق له شعره أمامنا حتى أصبح على الزيرو». فقد كان ممنوعًا منعًا باتًّا أن يتباهى الطالب بشعره أو يضع الطالب أي نوع من أنواع العطور، فكانت تربية منضبطة جدًّا.

كذلك يتذكر ماركو – الذي كان «هيد بوي» – موقفًا حدث للملك حسين أثناء وجوده في فيكتوريا كوليدج، وهو أن مدير المدرسة آنذاك طلب من الملك حسين أن يقوم بتنظيف ملعب كرة القدم بالمدرسة، وطلب من ماركو أن يقوم بإعطائه الأوامر لينفذها، وبالفعل يقول ماركو: «كان الملك حسين قمة في الانضباط وقال لي: yes sir، أذكر جيدًا أنه جمع بعض أوراق الأشجار المتطايرة ونفذ الأمر، فلم يكن هناك أي استثناء في تطبيق قواعد فيكتوريا كوليدج، لا أمراء ولا ملوك». والغريب أن الملك حسين لم يتأفف يومًا من صرامة المدرسة، بل بالعكس كان عاشقًا لها رغم مكوثه عامين فقط بها لكي يستكمل تعليمه في لندن.

وكان الرفت عقابًا فوريًّا لمن يثبت أنه مشاغب وصانع للمشاكل، وقد تعرض له إدوارد سعيد، ومنصور حسن، برغم تفوقهما العلمي والدراسي، وبرغم ذلك كتب عنها إدوارد سعيد جزءًا لا يستهان به في مذكراته، وظل منصور حسن يتباهى بانتمائه لها حتى قبيل وفاته بأيام قليلة. والمثير في فيكتوريا كوليدج أنه برغم صرامتها، فقد أجمع جميع الخريجين على أن التعليم فيها كان متعة لا يمكن مضاهاتها بأي متعة أخرى، ويودون لو عاد بهم الزمان وتوقف لكي يظلوا في كنفها.

فيكتوريا في مهب الحروب العالمية

كانت بداية تأثير الحروب على طلاب فيكتوريا كوليدج، حينما نشبت حرب البلقان الأولى (أكتوبر ١٩١٢م – مايو ١٩١٣م)، التي نشبت بين الدولة العثمانية واتحاد البلقان، الذي تألف من






بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الأسود، وفوجئ الطلاب بأن دولهم الأم في حالة حرب، بينما هم يدرسون في ذات الفصل ويتقاسمون نفس عنبر النوم!

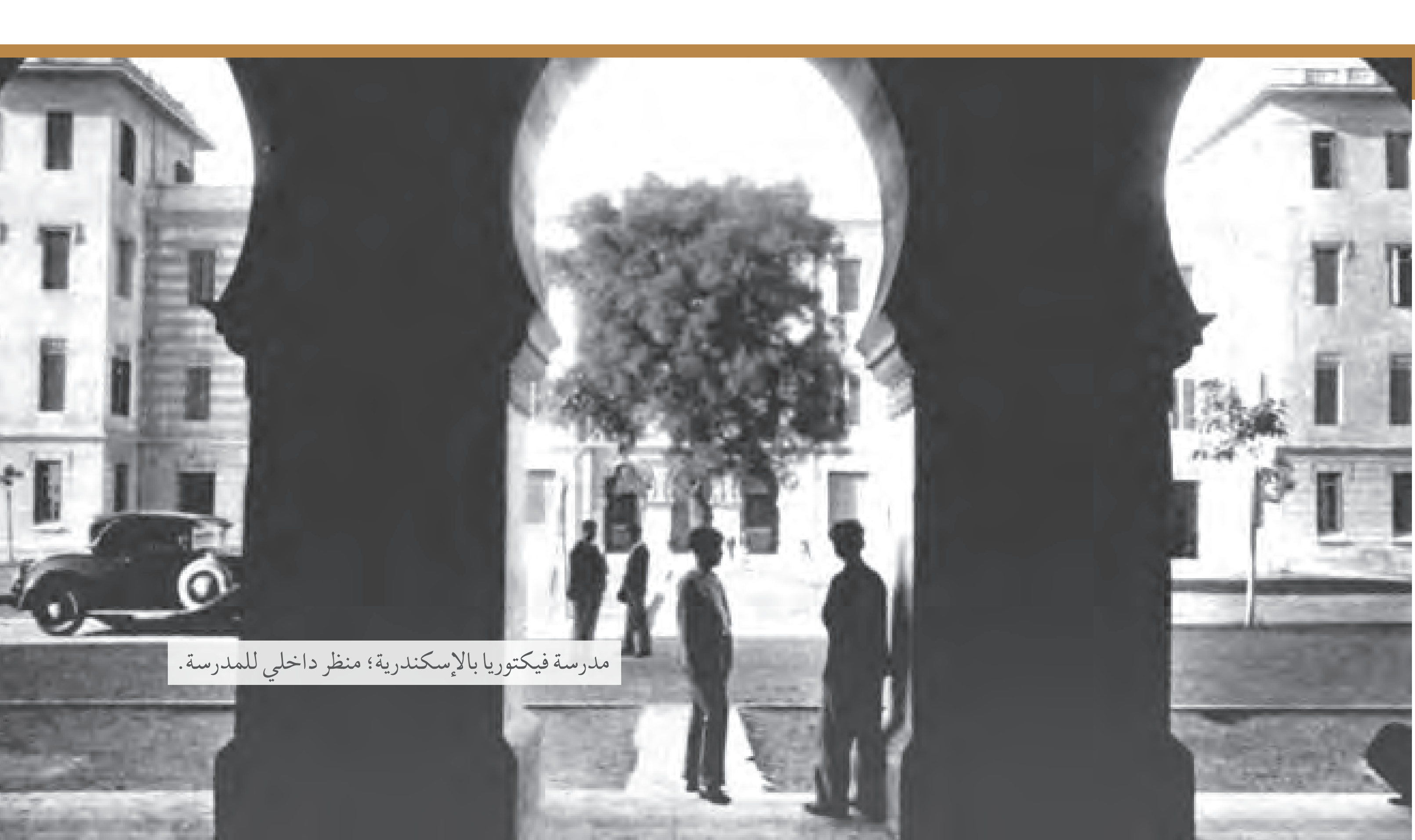
الحرب العالمية الأولى

في فبراير ١٩١٥م، زار المدرسة السير هنري ماكماهون. وفي مارس، كانت المدرسة مكتظة بالقوات الفرنسية الاستطلاعية، وتحولت المدرسة في إبريل إلى مستشفى، وعاد الطلاب إلى مباني المدرسة القديمة في الأزاريطة التي كان يطلق عليها في ذاك الوقت «المزاريطة». وقد فقدت المدرسة خلال تلك الفترة العديد من طلابها ومدرسيها الذين تطوعوا لخدمة جيوش بلادهم؛ لذا تم إلغاء بعض المواد والأنشطة، وكانت المدرسة تستعين بمعمل المدرسة المرقسية بالإسكندرية.

وفي شهر مارس، اندلعت الشرارة الأولى لثورة ١٩١٩م، وكانت المظاهرات التي صاحبتها قد أثارت العديد من التساؤلات لدى الطلاب الصغار، الذين لم يفهموا حينها لماذا قد يثور الشعب ضد الإنجليز في حين أنهم يرون في معلميهم الإنجليز القدوة الحسنة؟! ولأول مرة سُمعت هتافات ضد الإنجليز «يسقط الاحتلال ويحيا سعد»، وبدأت تساؤلات الطلاب تلح على معلميهم الإنجليز، فهم حائرون لا يعلمون هل ينبغي أن يكونوا مع الثورة أم ضدها؟! وكان هذا بسبب أفقهم المتفتح، مما جعلهم ينشغلون بكل صغيرة وكبيرة.

وكان الطلبة المقيمون بالقسم الداخلي ينتظرون الأخبار بلهفة، فكانوا ينتظرون الطلاب أثناء دخولهم فناء المدرسة ليتابعوا أخبار ثورة ١٩١٩م. لكن المدرسة كانت على حياد في تلك المسألة لحساسية الموقف، ولكن مع إلحاح الطلاب، أعلن مستر رييد موقفه الرافض للثورة؛ فقد كان ضد الثورات والديماجوجية ومع الأرستقراطية، ونظرًا لما يمثله للطلاب من قدوة فقد انحاز بعض الطلاب لرأيه.

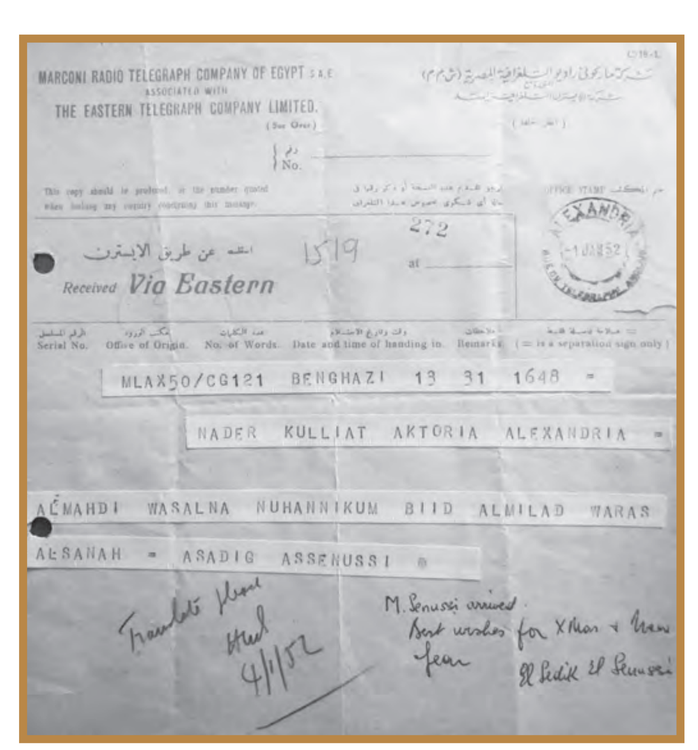
وقد انبهر بعض طلاب المدرسة بالثقافة والفكر البريطانيين والانتصارات والقوة العسكرية البريطانية وكل ما يخص بريطانيا العظمى. وكان هذا ما عبر عنه – كشاهد على العصر – إدوارد عطية اللبناني الأصل، الذي كان من الرعيل الأول من خريجي فيكتوريا كوليدج؛ وذلك حين كتب عن حياة الطلاب وعلاقتهم بمديريهم الإنجليزي بأسلوب أدبي رائع في كتابه «عربي يروي قصته» الصادر في لندن عام ١٩٤٦م، فيروي عطية العلاقة الحميمية التي خلقها مستر رييد مع الطلاب في القسم الداخلي حينما كان يقضي معهم كل ليلة من عشر إلى خمس عشرة دقيقة، يلقي النكات ويتبادل الضحكات والذكريات مع طلابه قائلاً: «حينما كان يأتينا مستر رييد في زيارته المسائية إلى عنبر النوم، كنا جميعًا نلتف حوله نتسامر ونضحك، من منا كان يشعر بأنه مصري أو أرمني يتحدث لمدرس بريطاني؟! كنت أسمع عن أن الإنجليز يحتقرون المصريين وأن المصريين يكرهون الإنجليز، ولكن هنا لم يكن هناك كراهية أو ازدراء. كان هناك ود ومودة واحترام.. نعم كان هذا من طالب لمعلمه وليس من شرقي إلى غربي».



مدرسة فيكتوريا بالإسكندرية؛ منظر داخلي للمدرسة.



مستر رييد Reed في مكتبه بمدرسة فيكتوريا، وهو المكتب الذي يتعاقب عليه المديرون حتى الآن.



MARCONI RADIO TELEGRAPH COMPANY OF EGYPT S.A.E.
ASSOCIATED WITH
THE EASTERN TELEGRAPH COMPANY LIMITED.
(See Over)

Received Via Eastern

MLAX50/CG121 BENGHAZI 13 31 1648 =

NADER KULLIAT AKTORIA ALEXANDRIA =

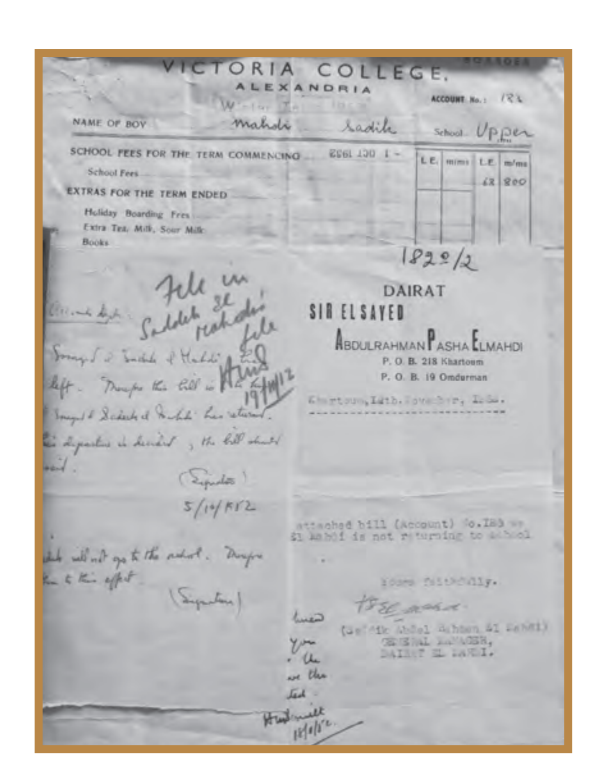
ALMAHDI WASALNA NUHANNIKUM BIID ALMILAD WARAS

ALSANAH = ASADIG ASSENUSSI =

M. Senussi arrived.
Best wishes for Xmas + New Year
El Sadik El Senussi

4/1/52

تلغراف بتاريخ ٤ يناير ١٩٥٢م يخطر المدرسة بوصول المهدي السنوسي للبلاد، ويهنئ الإدارة بعيد الميلاد ورأس السنة الجديدة.



VICTORIA COLLEGE
ALEXANDRIA

NAME OF BOY Mahdi Sadik School Upper

SCHOOL FEES FOR THE TERM COMMENCING

School Fees

EXTRAS FOR THE TERM ENDED

Holiday Boarding Fees
Extra Tea, Milk, Sour Milk
Books

1822/2

File in Saddek El Mahdi file

DAIRAT
SIR EL SAYED
ABDULRAHMAN PASHA ELMAHDI
P. O. B. 218 Khartoum
P. O. B. 19 Omdurman

attached bill (Account) ... is not returning to school

Yours faithfully.

GENERAL MANAGER,
DAIRAT EL MAHDI.

ملف أوراق السيد الصادق المهدي بمدرسة فيكتوريا من لحظة دخوله إلى المدرسة إلى أن غادرها بعد عامين.

VICTORIA COLLEGE.

Form of Application.

1. Pupil's name in full..	Ayesha Osman
2. Date of Birth	December 14th 1927
3. Nationality and Religion	Egyptian - Moslem
4. Date of entering School	October 5th 1933
5. Name and Address of Parent or Guardian ... (State relationship to pupil)	Amin Osman (father) Palais, Ramleh
6. State if Boarder or Dayboy.. ... ... (if Dayboy, does he lunch at School or at home?)	
7. CLASSIFICATION :— Division of School ... ... Form	
8. Extras mentioned in prospectus :— (*a*) Music (Violin or Piano)... ... ... (*b*) School Omnibus.. ... ... (*c*) Boxing... ... ... (*d*) Scout ... ... (*e*) Cub	
9. State if Private Tuition required, and in what subject	
10. State address to which accounts are to be sent and in what language	Palais, Ramleh

I hereby request the Council of Victoria College to admit the above-named boy as a pupil at the College and I undertake full responsibility for the payment at the due dates of all School fees and other sums due in respect of his education and for expenses incurred on his behalf.

(*Signature of Parent or Guardian*).

Amin Osman

NOTES.

استمارة دخول عائشة ابنة أمين عثمان باشا لمدرسة فيكتوريا، وهي موقعة منه بصفته ولي أمرها بتاريخ أكتوبر ١٩٣٣م.





فريق المسرح عام ١٩٣٠م، وتبدو روعة تصميم ملابس الشخصيات.

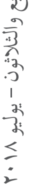
ومن الأمور التي يجب أن تستوقفنا في ذكريات إدوارد عطية ما صدمه حينما زار المدرسة لأول مرة، وهي أن الطلاب برغم ثقافتهم الإنجليزية فإنهم كانوا يرتدون الطربوش، وقد كان يتوقع أن تكون هيأتهم كالإنجليز. وكذلك اختباره قبل قبوله بالمدرسة في الكتابة باللغة الفرنسية، وكانت صدمته الكبرى أن يكون الهيد بوي (قائد الطلاب) بالمدرسة الإنجليزية مصريًّا مسلمًا، وكان هو أمين عثمان باشا، الذي أصبح – كما ذكر في كتابه – أحب إليه من كل الشوام في العالم، وكيف كان محبوبًا من جميع الطلاب. وقد التحق إدوارد عطية بفيكتوريا كوليدج في أكتوبر ١٩١٨م، وكانت الحرب لا تزال رحاها دائرة، وكوَّن العديد من الصداقات مع طلاب أرمن ومصريين ومالطيين، ويونانيين، وشوام ويهود، وحسب وصفه: «كنا كعائلة كبيرة واحدة».

المدرسة إبان الحرب العالمية الثانية

عاودت فيكتوريا كوليدج الرحيل من مكانها الذي أصبح مستشفى عسكريًّا إنجليزيًّا لعلاج الجنود والمتطوعين للحرب، فقد استغلت الإمبراطورية البريطانية مدينة الإسكندرية كقاعدة استراتيجية في الحربين العالميتين. وانتقل مقر المدرسة – وفقًا لطلب إدارتها من السلطات الإنجليزية – إلى كازينو وفندق سان ستيفانو، ورغم اعتراض إدارة الفندق وقتها فإن السلطات الإنجليزية طلبت من محافظ الإسكندرية إصدار قرار بذلك. وبدأ الطلاب مع المعلمين في جمع اللوازم المدرسية والملفات والأوراق مع الكتب وأدوات الطعام وأنابيب الاختبار ومعدات المعامل، وشدوا الرحال إلى كازينو سان ستيفانو، بعد تحول مدرستهم إلى مشفى عسكري، تفوح منه رائحة الموت ويسمع منه أنين الجرحى. وبالفعل، احتل طلاب فيكتوريا كوليدج سان ستيفانو الذي كان من أرقى وأفخم أماكن الترفيه في الإسكندرية، منذ أن افتتحه الخديوي توفيق في ٢٦ يونية ١٨٨٧م. ومن الطرائف التي حدثت على إثر انتقال فيكتوريا كوليدج إلى الفندق، هو أن ذهل النزلاء بوجود مناضد مدرسية في أحد أركان المطعم المخصص للفرقة الموسيقية. وهكذا تحولت كافة مرافق وخدمات الفندق إلى فصول وغرف مدرسين. وتم رفع العلم البريطاني على مباني سان ستيفانو!

فيكتوريا كوليدج.. إلى القاهرة هربًا من الغارات

عانت مدينة الإسكندرية من ويلات الحرب العالمية الثانية، وهي الحرب الأكثر ضراوة في تاريخ البشرية، وقاست من غارات قوات المحور الجوية، فكانت الغارات الإيطالية الألمانية تقض مضاجع السكندريين، فما كان من مستر رييد بسرعة بديهته إلا أن طلب من المجلس الثقافي البريطاني توفير مكان لنقل الطلاب



المدرسة من الداخل.

إلى مدينة القاهرة. وبالفعل، تم نقلهم إلى المدرسة الإيطالية في شبرا؛ الحي الشعبي الشهير بالقاهرة. وقد كانت المدرسة تابعة للجالية الإيطالية والتي تم الاستيلاء عليها كباقي الممتلكات الإيطالية في مصر من قبل القوات الإنجليزية. ولقيت إقبالاً كبيرًا، وتضاعف تعداد الطلاب عشرات المرات وأصبح أربعمائة وتسعة وعشرين طالبًا، وخمسين طالبًا بالقسم الداخلي، ممن فضل ذووهم أن يظلوا بالقاهرة، وكان من بينهم منصور حسن.

وفي افتتاح المباني الجديدة لفيكتوريا كوليدج بالقاهرة في حي المعادي، في ٢٦ مايو ١٩٤٩م، ألقى وزير التعليم المصري آنذاك علي أيوب بك، خطبة قال فيها إن فيكتوريا كوليدج تعتبر نموذجًا للأمم المتحدة، وقال ميجور فانر Fanner؛ رئيس مجلس إدارة مدرسة فيكتوريا كوليدج بالقاهرة، إنه بحلول عام ١٩٤٧م وصل عدد الطلاب إلى خمسمائة طالب، وخمسين طالبًا بالقسم الداخلي، وهو الحد الأقصى الذي يمكن أن تستوعبه المدرسة من الطلاب.

وبنهاية أكبر نزاع مسلح في التاريخ، انتهت حالة الطوارئ بفيكتوريا كوليدج أيضًا، وكأنها مرآة تعكس ملامح التاريخ، فعادت المدرسة إلى مدينة الإسكندرية واستقرت بمبانيها في السيوف عام ١٩٤٥م، وكان تعداد طلابها آنذاك ستمائة وثلاثة وسبعين طالبًا، وكان عدد طلاب القسم الداخلي مائة وتسعة وستين طالبًا.

حرب ١٩٤٨م

لم تكد فيكتوريا كوليدج تلتقط أنفاسها اللاهثة من تبعات الحرب العالمية إلا وقد نشبت حرب ١٩٤٨م، والتي كان لها أثر كبير على الطلاب اليهود والفلسطينيين داخل فيكتوريا كوليدج، ولكن تعسر أهالي الطلاب الفلسطينيين ماديًّا وقت الحرب كان أمرًا كارثيًّا، وبالرغم من ذلك فإن سجلات المدرسة لم تبرز تسرب الطلاب الفلسطينيين، بل يبدو أن المدرسة قد وقفت إلى جانبهم في محنتهم برغم موقف بريطانيا المعروف إزاء فلسطين آنذاك. وهنا يحسب لإدارة المدرسة مسألة الحياد والالتزام بالتربية والتعليم.



العدوان الثلاثي

في تلك الحقبة من تاريخ مدرسة فيكتوريا كوليدج، كان مستر هيربرت وليام باريت Barritt قد تولى إدارة المدرسة في الفترة من عام ١٩٤٧م إلى ١٩٥٦م، وظل مديرًا لها حتى العدوان الثلاثي. ثم غادر إلى إنجلترا مرة أخرى.

وقد تعرضت المدرسة تدريجيًّا إلى أفول نجمها وسط غياب التنوع والتعددية والكونية التي كانت تتميز بها عن سائر المدارس والمعاهد التعليمية، ونستطيع أن نجزم بأن فيكتوريا ما بعد ١٩٥٦م قد أصبحت كيانًا آخر مبهمًا بالنسبة لفيكتوريا ما قبل ١٩٥٦م. ففضلاً عن عدم إقبال العائلات العربية الكبرى على إرسال أبنائها للتعليم في مصر بسبب الحرب؛ فإن المنافسة التي تعرضت لها من المدارس الأخرى كانت شديدة، كما وصمتها الشائعات بأنها معقل للجواسيس. وفي منتصف الستينيات، بدأ تبدل حال المدرسة وربما بداية الأفول؛ فقد فجر شعورُ الطلاب بتهتك القوانين الصارمة للإدارة الإنجليزية الكبتَ الموجود داخلهم تجاهها، مما دفعهم لكسر جميع القواعد والتقاليد. فأصبح من المعتاد أن تحدث مشاجرات ومشادات بين الطلاب والإدارة. وتكسرت الحواجز التي كانت بين المدرسين والطلاب، فأصبح الطلاب يمارسون الشغب الذكوري بحرية كبيرة، مما أدى لتوتر العلاقة بين المعلمين والطلاب في كثير من الأحيان. وبدأت تسري روح المحافظة إلى مجلس الآباء والمعلمين، فبدأ الآباء يطالبون بتشييد مسجد بمدرسة فيكتوريا كوليدج، وكان ذلك نتيجة صعود الوازع الديني إلى جانب النزعة القومية أيام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكان الظرفان التاريخي والسياسي دافعين إلى أن يتقدم الحاج نوفل؛ أحد كبار التجار في الإسكندرية آنذاك، والمعروف بتدينه وورعه، بطلب للمجلس بإنشاء المسجد، فلم يواجه برفض، وسط استغراب بعض الطلاب الذين لم يعتادوا وجود مكان لإقامة الشعائر الدينية داخل فيكتوريا كوليدج؛ الصرح التعليمي العريق. وكان الطلاب المقيمون بالمدرسة بالقسم الداخلي هم الأكثر سعادة بوجوده. وتتابعت التغيرات الجذرية على فيكتوريا كوليدج، وتولت أول مديرة إدارة فيكتوريا كوليدج، وكانت مسز ليتسا فلورينتس اليونانية الأصل، بعدها تم تأميم المدرسة مما تسبب في هجرة كثير من الجاليات الأجنبية من مصر، وتبعتها الكثير من الدول العربية، فقد تخلخلت البنية الطبقية في الوطن العربي، وكان عنفوان الهيمنة البريطانية في مصر قد بدأ يخفت تدريجيًّا منذ عام ١٩٤٨م وحتى ظهور حركة الضباط الأحرار التي أدت لقيام ثورة ١٩٥٢م.

تأميم فيكتوريا كوليدج

كان عام ١٩٥٦م نقطة تحول في مقدرات الكثير من المؤسسات والهيئات الأجنبية، ونقطة تحول كبرى في تاريخ مدرسة فيكتوريا كوليدج؛ إذ تولى فيكتوريا كوليدج أول مدير مصري وهو أحمد حلمي، بعد أن تحول اسمها إلى مدرسة النصر، وأصبحت مدرسة تابعة لنظام التعليم المصري.

وكان من التغيرات التي تبعت تلك التغيرات السياسية والاجتماعية بمصر عقب عام ١٩٦٧م، دخول مادة التربية الدينية كمقرر رسمي ضمن المناهج التعليمية، واعتباره مادة نجاح ورسوب، وكان ذلك تغيرًا جذريًّا في فيكتوريا كوليدج التي لم تكن تعتبر التربية الدينية مادة نجاح ورسوب، وكانت تدرس فقط للطالب الذي يطلب والداه ذلك، باعتباره أمرًا اختياريًّا. وإذا بالطلاب في المدرسة يقسَّمون وفقًا للديانة؛ فكان الطلاب المسلمون يظلون بالفصول في حين ينضم المسيحيون إلى اليهود في فصل منفصل آخر، وأحيانًا كان بعض الطلاب اليهود أو المسيحيين يبقون في حصة الدين الإسلامي، إما لتحسين اللغة العربية أو حبًّا في البقاء مع زملائهم.

وفي نهاية الستينيات، تم تعديل لائحة القبول بالمدرسة ليتم قبول الفتيات، وتصبح المدرسة مدرسة مشتركة، واستمرت هكذا إلى أواخر الثمانينيات؛ حيث تم إلغاء لائحة قبول الفتيات وعادت فيكتوريا كوليدج مرة أخرى مدرسة للبنين فقط؛ وذلك نظرًا لزيادة المشكلات التي حدثت بسبب اختلاط الطلبة والطالبات. وتضم فيكتوريا كوليدج حاليًّا ما يقرب من خمسة آلاف طالب، وتحافظ المدرسة على أن يكون الحد الأقصى للطلاب في الفصل الواحد خمسًا وأربعين طالبًا فقط.





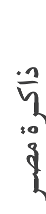
مدرسة فؤاد الأول بالإسكندرية

(١٩٣٤-١٩٣٩م)

مبنى تراثي يجسد هوية مدينة متعددة الثقافات [(١)]

الدكتور أحمد منصور

- منحها الملك فؤاد الأول الأرض بإيجار رمزي، وأطلق اسمه عليها.
- أوفد الملك فاروق مندوبًا من القصر الملكي لحضور حفل الافتتاح.
- زارها رئيس وزراء مصر علي باشا ماهر.
- كان والد «مو إبراهيم»؛ مؤسس جائزة الحكم الرشيد بين رؤساء إفريقيا، من بين أعضاء مجلس الإدارة.
- تبرع لبنائها أبناء النوبة من مصر والسودان، وكذلك غير المصريين.



---

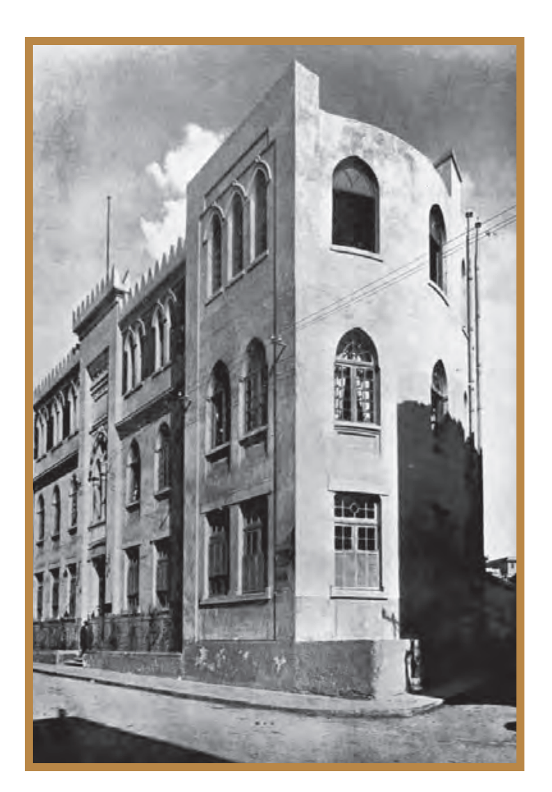
(١) أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لمجلس إدارة جمعية النهضة النوبية والعاملين بالمدرسة، وأخص بالذكر الأستاذ حسين عبد المجيد؛ رئيس مجلس إدارة جمعية النهضة النوبية، والأستاذ شاكر جعفر؛ عضو مجلس الإدارة على دعمهما المتواصل لإنجاز هذه الدراسة، وإتاحتهما المادة الأرشيفية والصور الفوتوغرافية. كما أتقدم بالامتنان لجهود الزميل الدكتور إسلام عاصم في مشاركته الفاعلة في الزيارة الميدانية للمدرسة، ومناقشاته المثمرة أثناء مرحلة الكتابة والتسجيل. كما أتوجه بالشكر للزميل الأستاذ حسام عبد الباسط لمراجعته الوصف الخارجي لواجهة المدرسة، وكذلك أتوجه بالشكر للزميل المهندس محمد مهينة، لتزويدي برقم حفظ المدرسة في قائمة المباني التراثية بالإسكندرية.



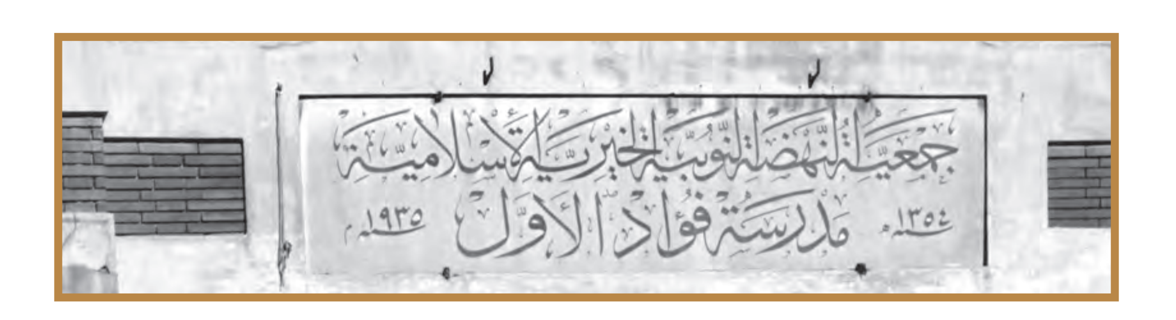
تأسست جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، بهدف نشر العلوم والمعارف والآداب، وذلك من خلال إنشاء المدارس لمختلف المراحل التعليمية في بادئ الأمر. فقد أسست الجمعية مدرستين: المدرسة الأولى هي مدرسة شملت رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية، وموقعها هو الشارع الذي يحمل اسمها «شارع مدارس النهضة النوبية» بمنطقة غربال، بحي محرم بك – الإسكندرية. أما المدرسة الثانية فهي «مدرسة فؤاد الأول»؛ وهي موضوعنا اليوم. فقد تأسست المدرسة في عام ١٩٣٥م في عهد الملك فؤاد الأول، وافتتحت في ٨ أكتوبر ١٩٣٩م في عهد ولي عهده وابنه الملك فاروق، وبحضور مندوب القصر الملكي الموفد من الملك فاروق، وحسين باشا صبري؛ محافظ الإسكندرية. وشُيدت مدرسة فؤاد الأول في ٧٥ شارع شجرة الدر، بمنطقة غربال بحي محرم بك. ومبنى المدرسة مدرج في قائمة المباني التراثية والتي يحميها القانون رقم ١٤٤ لسنة ٢٠٠٦م؛ وذلك لأنه ذات طابع معماري متميز.



لوحة رخامية تحمل أسماء مؤسسي جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية وأعضاء مجلس الإدارة.



مدرسة فؤاد الأول بالإسكندرية.





بناء مدرسة فؤاد الأول

تبدأ قصة تأسيس وبناء مدرسة فؤاد الأول عندما شرعت إدارة جمعية النهضة النوبية في تدشين مشروع ضخم لبناء مبنى تُنقل إليه مدارس الجمعية بأقسامها، لتكون مقرًّا دائمًا للنوبيين في مدينة الإسكندرية. وبالفعل، بدأت المراسلات بين جمعية النهضة النوبية وقلم الأملاك الأميرية بالإسكندرية ووزارة المعارف العمومية بشأن تخصيص قطعة أرض بثمن رمزي لصالح مشروع بناء المدرسة. ولكن مصلحة الأملاك الأميرية رفضت تخصيص الأرض بثمن رمزي، وأصرت على بيع قطعة الأرض المطلوبة بثمنها الأساسي وهو مائة وستون قرشًا (١٦٠ قرشًا) للمتر الواحد. ولكن جمعية النهضة النوبية الإسلامية استطاعت أن تحصل على دعم القصر الملكي؛ حيث اعتمد الملك فؤاد في ٢٢ يناير ١٩٣٤م قرار مجلس الشيوخ ومجلس النواب بقانون تأجير قطعة أرض المدرسة من الدولة لصالح الجمعية، بإيجار رمزي لصالح بناء المدرسة. وجاء نص القانون كما يلي:

«نحن فؤاد الأول ملك مصر

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتي نصه وقد صدقنا عليه وأصدرناه:

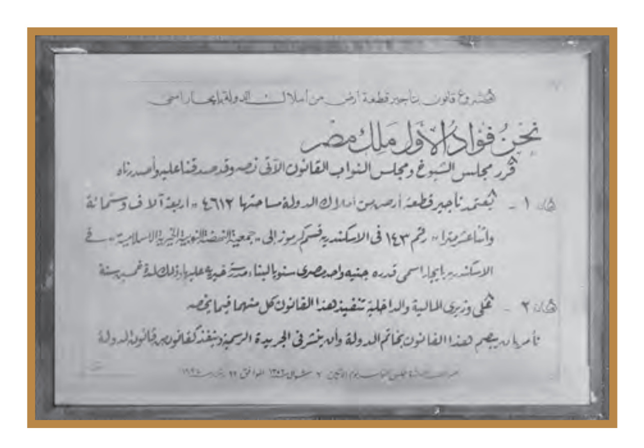
مادة ١: يعتمد تأجير قطعة أرض من أملاك الدولة مساحتها ٤٦١٢ (أربعة آلاف وستمائة واثنا عشر مترًا) رقم ١٤٣ في الإسكندرية، قسم كرموز إلى «جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية» في الإسكندرية بإيجار اسمي قدره جنيه واحد مصري سنويًّا لبناء مدرسة خيرية عليها وذلك لمدة خمسين عامًا.

مادة ٢: على وزيري المالية والداخلية تنفيذ هذا القانون، كلٌّ منهما فيما يخصه.

نأمر بأن يبصم هذا القانون بخاتم الدولة، وأن ينشر في الجريدة الرسمية، وينفذ كقانون من قانون الدولة.

صدر بسراي القبة في غرة ذي القعدة سنة ١٣٥٢هـ/ ١٥ فبراير سنة ١٩٣٤م».

وبالفعل تسلمت الجمعية قطعة الأرض المذكورة في ١٢ يوليو سنة ١٩٣٤م، لكن طرأت مشكلة على السطح، وهي أن بلدية الإسكندرية قررت في ذلك الوقت فتح شارع يمر بوسط المدرسة ويقسمها لشطرين، فتقدمت الجمعية بالتماس للبلدية لإلغاء الشارع المذكور، وبالفعل تم إلغاء فتح الشارع المذكور، وهو شارع مينا حاليًّا.



مشروع قانون بتأجير قطعة أرض من أملاك الدولة بإيجار اسمي

نحن فؤاد الأول ملك مصر

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتي نصه وقد صدقنا عليه وأصدرناه

مادة ١ - يعتمد تأجير قطعة أرض من أملاك الدولة مساحتها ٤٦١٢ «أربعة آلاف وستمائة واثنا عشر مترًا» رقم ١٤٣ في الإسكندرية قسم كرموز إلى «جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية» في الإسكندرية بإيجار اسمي قدره جنيه واحد مصري سنويًا لبناء مدرسة خيرية عليها وذلك لمدة خمسين سنة

مادة ٢ - على وزيري المالية والداخلية تنفيذ هذا القانون كل منهما فيما يخصه

نأمر بأن يبصم هذا القانون بخاتم الدولة وأن ينشر في الجريدة الرسمية وينفذ كقانون من قوانين الدولة

قانون تخصيص الأرض لصالح المدرسة.

إذن ملكي بإطلاق اسم «الملك فؤاد الأول» على المدرسة

تقدمت جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية بطلب إلى الديوان الملكي بأن يطلق اسم الملك فؤاد على المدرسة، ومن ثمَّ يقام حفل وضع حجر الأساس تحت الرعاية السامية، وذلك تيمنًا بالاسم الملكي الكريم، ولما للملك من فضل كبير في تقدم الجمعية بما يحبوها به من العطف السامي. وجاء الرد بالموافقة؛ إذ وافق الملك فؤاد وصدر الإذن الملكي بتسمية المدرسة باسم «مدرسة فؤاد الأول»، كما تبرع الملك فؤاد بمبلغ مائة جنيه مصري مساعدة لبناء المدرسة، مما كان له أثر عظيم في نهوض الجمعية ودفع بناء المدرسة.



الإذن الملكي الكريم

ديوان كبير الأمناء

٢٩

حضرة المحترم الرئيس الفخري لجمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية

رفعت إلى المسامع العلية الملكية الملتمس المقدم من جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية بأن توضع تحت الرعاية السامية حفلة وضع الحجر الأساسي لبناء مدرستها الجديدة يوم الأحد ١٧ فبراير المقبل وقد صدر النطق السامي الكريم بالقبول والإذن بإطلاق اسم جلالته الكريم على هذه المدرسة

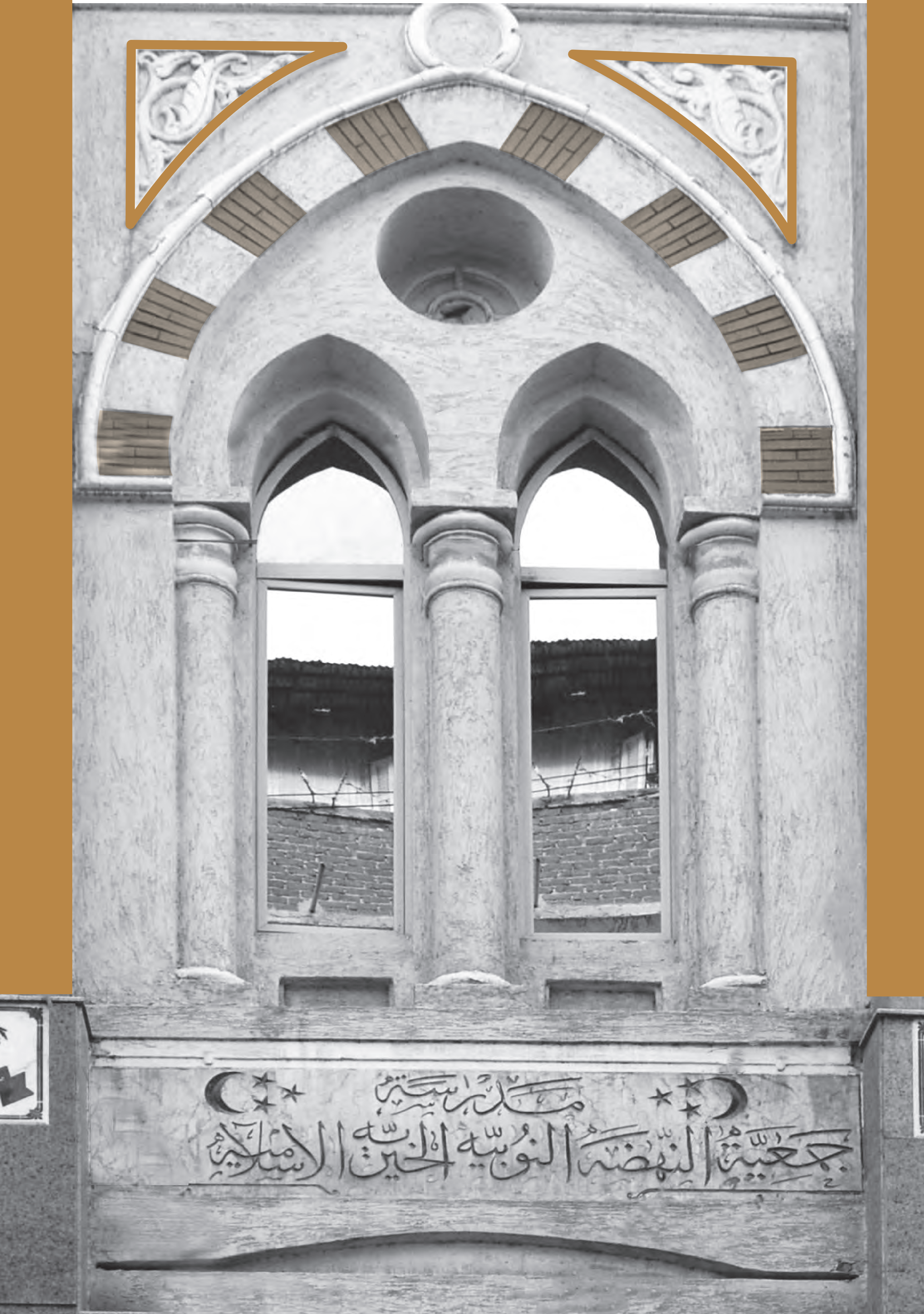
وتقبلوا وافر الاحترام

تحريرًا في ٢٧ يناير سنة ١٩٣٥

سعيد ذو الفقار
كبير الأمناء

إذن ملكي بإطلاق اسم الملك فؤاد الأول على المدرسة.




مدرسة
جمعية النهضة النوبية الخيرية الاسلامية

وفي هذا المقام، يجب ألا يفوتنا الإشارة إلى اهتمام الملك فؤاد بتطوير التعليم في مصر، فبعد اعتلائه عرش مصر أولى الاهتمام بالتعليمين العالي والثانوي، وكذلك اهتم بتعليم البنات. فقد كان له السبق في تحويل الجامعة المصرية التي أنشئت عام ١٩٠٨م من جامعة أهلية إلى جامعة رسمية تحمل اسم «جامعة فؤاد الأول». كما أصدر مرسومًا ملكيًّا في عام ١٩٣٢م بإنشاء أول مجمع للغة العربية في العالم العربي أطلق عليه «مجمع اللغة العربية الملكي». لذا نجد أن اسم الملك فؤاد قد أطلق على أكثر من مدرسة على مستوى مصر، على سبيل المثال نجد أن مدرسة «سوهاج الثانوية العسكرية» كانت تسمى بـ «مدرسة فؤاد الأول»، وقد أنشئت عام ١٩٢٨م. وكذلك «مدرسة الحسينية الثانوية» في شارع عبده باشا بالعباسية، والتي كانت تسمى هي الأخرى بـ «مدرسة فؤاد الأول». ولم يقتصر الأمر على إطلاق اسم الملك فؤاد على بعض المدارس، لكنه قام بافتتاح العديد من المدارس «الدولية»، مثل افتتاحه لمدرسة كلية سان مارك بالإسكندرية في عام ١٩٢٨م.

حفل وضع حجر الأساس

في تمام الساعة الثالثة عصر يوم الأحد الموافق ١٧ فبراير ١٩٣٥م، وُضع حجر الأساس لمدرسة فؤاد الأول أو «مدرسة جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية» بالإسكندرية – وهو الاسم الحالي للمدرسة – وبذلك بدأت الجمعية أولى خطواتها لتأسيس وبناء مدرسة فؤاد الأول بإقامة حفل وضع حجر الأساس، وبدعوة كبار رجال الدولة والشخصيات السكندرية الشهيرة في ذلك الوقت لحضور هذا الحفل. فقد أوفد الملك فؤاد الأول السيد عبد الرحمن متولي؛ وكيل محافظة الإسكندرية، نائبًا عنه لحضور هذا الحفل، كما حضر الحفل الأمير عمر طوسون[١]، والسيد محمد فهمي الناضوري[٢]، والسيد سليمان بك يسري[٣]؛ وكيل



الملك فؤاد الأول.

(١) كان أمراء الأسرة المالكة يشاركون بصفة مستمرة في دعم وجمع التبرعات للعديد من الجمعيات الخيرية التي كانت تعمل في خدمة المجتمع المصري خلال تلك الفترة. وقد تنوعت صور الدعم الذي قدمه أمراء الأسرة المالكة إلى هذه الجمعيات الخيرية، إما عن طريق المشاركة الفعلية في عضوية تلك الجمعيات أو تولي رئاستها، سواء كانت تلك الرئاسة شرفية أو رئاسة فعلية، أو عن طريق مساندة تلك الجمعيات ماديًّا بالتبرع لها بالأموال أو بوقف بعض الأوقاف عليها، أو مساندتها معنويًّا عن طريق المساهمة في بعض أنشطتها وتشجيع القائمين بأمرها سواء بالزيارة أو الدعم والاهتمام.

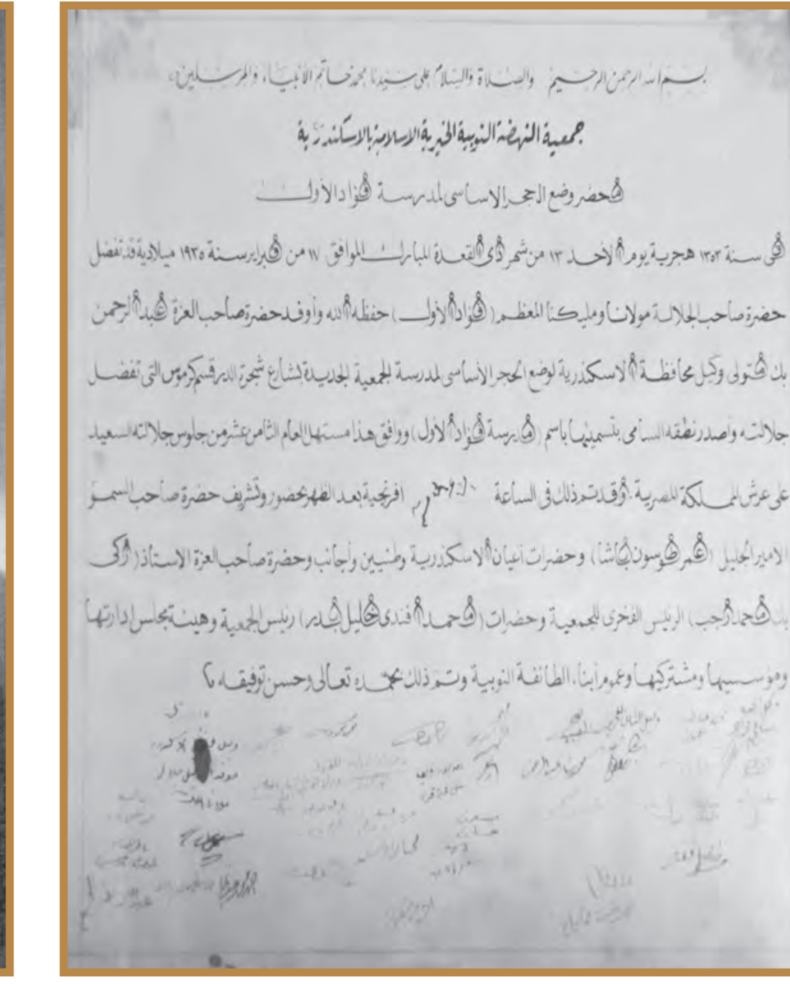
(٢) يطلق لقب الناضوري على إحدى أسر مدينة الإسكندرية العريقة في الحسب، وهو لقب مشتق من مدينة «الناضور». وهي مدينة تقع في الريف المغربي بين الجزائر والمغرب. وقد نزحت أسرته إلى مصر بسبب استيلاء الإسبان على بلدته. وكان السيد محمد فهمي الناضوري من كبار تجار الإسكندرية حتى صار «شيخ بندر التجار». ويقع منزله بالشارع الذي يحمل اسمه في منطقة الجمرك. وقد تولى علاوة على منصبه التجاري، بعض المناصب الشرفية الأخرى، مثل عضوية القومسيون البلدي (عضو المجلس المحلي)، وفض المنازعات التجارية بالمحاكم المختلطة. وقد دفن في مسجد سيدي المَنيّر الذي يقع في منطقة سوق الجمعة.

(٣) تخرج في كلية الحقوق، ثم عين وكيلاً لنيابة المنشية. ثم تدرج في المناصب حتى أصبح مستشارًا بمحكمة الاستئناف المختلطة. كما كان وكيلاً لمجلس إدارة جمعية الإسعاف من عام ١٩٢٤م حتى عام ١٩٥٥م، ثم رئيسًا لها من عام ١٩٥٦م إلى عام ١٩٥٩م. كما عُين عضوًا ببلدية الإسكندرية عام ١٩٥٠م، ثم وكيلاً لها. وقد تولى رئاسة جمعية العروة الوثقى الإسلامية بالإسكندرية من عام ١٩٥١م إلى عام ١٩٦٠م. كما كان وكيل جمعية الشبان المسلمين بالشاطبي عند افتتاحها عام ١٩٥٧م. وكان نائبًا لرئيس جمعية الهلال=

جمعية العروة الوثقى، والسيد محمد بك حسن الشامي؛ عضو مجلس البلدية السابق، والسيد فليكس جرين؛ عضو البلدية السابق[١]، والسيد رينهارت؛ تاجر الأقطان[٢].

جمع التبرعات لبناء المدرسة الجديدة

دشنت جمعية النهضة النوبية دعوة عامة في جميع أرجاء البلاد للمساهمة وجمع التبرعات للمشاركة في تكاليف بناء المدرسة؛ حيث يعتبر مشروع بناء المدرسة مشروعًا خيريًّا للجميع. ولا يقتصر على أعضاء جمعية النهضة النوبية فقط، بل امتد الأمر ليشمل كل القرى النوبية في مصر والسودان، فضلاً عن أن الجمعية أصدرت خطابات لجمع التبرعات، مرفق بها تذاكر أو إيصالات من فئة الخمسة قروش وفئة العشرة قروش لجمع التبرعات من البسطاء في جميع أنحاء البلاد، للمعاونة في إقامة هذا الصرح العلمي.



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية

محضر وضع الحجر الأساسي لمدرسة فؤاد الأول

في سنة ١٣٥٣ هجرية يوم الأحد ١٣ من شهر ذي القعدة المبارك الموافق ١٧ من فبراير سنة ١٩٣٥ ميلادية قد تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا ومليكنا المعظم (فؤاد الأول) حفظه الله وأوفد حضرة صاحب العزة عبد الرحمن بك متولي وكيل محافظة الإسكندرية لوضع الحجر الأساسي لمدرسة الجمعية الجديدة بشارع شجرة الدر قسم كرموز التي تفضل جلالته وأصدر نطقه السامي بتسميتها باسم (مدرسة فؤاد الأول) ووافق هذا مستهل العام الثامن عشر من جلوس جلالته السعيد على عرش المملكة المصرية. وقد تم ذلك في الساعة [illegible] افرنجية بعد الظهر بحضور وتشريف حضرة صاحب السمو الأمير الجليل (عمر طوسون باشا) وحضرات أعيان الإسكندرية وطنيين وأجانب وحضرة صاحب العزة الأستاذ (زكي بك محمد رجب) الرئيس الفخري للجمعية وحضرات (محمد أفندي خليل بدر) رئيس الجمعية وهيئة مجلس إدارتها ومؤسسيها ومشتركيها وعموم أبناء الطائفة النوبية وتم ذلك بحمده تعالى وحسن توفيقه

توقيعات الحاضرين لوضع حجر الأساس.



الأمير عمر طوسون.

=الأحمر بالإسكندرية في الأربعينيات من القرن العشرين ثم رئيسًا لها في الخمسينيات. وقد توفي عام ١٩٦٠م، وقد أطلق اسمه على أحد الشوارع القريبة من محطة مصر تخليدًا لذكراه، وهو الشارع المعروف باسم المطافي.

(١) كان أغلبية يهود الإسكندرية من ذوي الأصول الأجنبية، فكان لهم مجتمعهم الخاص بهم، لكن هذا لا ينفي أنه كانت لهم علاقات بأهل الإسكندرية من مختلف الفئات: مثل عمليات البيع والشراء بين الأهالي واليهود. بالإضافة إلى ذلك، كان لليهود نشاط واضح في مجلس بلدية الإسكندرية، فنجد أن فليكس جرين من يهود الإسكندرية، والذي ولد عام ١٨٧٤م وتوفي عام ١٩٤٥م، كان عضو مجلس بلدية الإسكندرية في عام ١٩٢٦م، نائبًا عن دائرة أرباب الأملاك. وأنشأت عائلته معبدًا لليهود في منطقة محرم بك عام ١٩٠١م، وهو معبد «كتر توراه» بالشارع الذي سمي باسم العائلة بالإضافة إلى المدرسة، وكان رئيس مأوى «الياهو هنابي» الملحق بالمعبد الذي يحمل نفس الاسم.

(٢) نشط يهود الإسكندرية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين في مجال التجارة وخاصة تجارة الأقطان، وأسس ألفريد رينهارت محلجًا للقطن.





وفي سبيل تشجيع زيادة قيمة التبرعات، قررت الجمعية بأن تنقش أسماء المتبرعين بمبلغ عشرة جنيهات وما فوق ذلك؛ على لوحة رخامية بمدخل المدرسة، يُنقش عليها بماء الذهب أسماء المتبرعين؛ تسجيلاً لتبرعاتهم القيمة ودورهم البارز في بناء المدرسة. وقد جاء التبرع بالجنيه المصري على هذا النسق:



الاكتتاب العام لبناء المدرسة الجديدة
لجمعية النهضة النوبية الخيرية الاسلامية بالاسكندرية

(وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وأسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم)

حضرة المحترم ______

بعد التحية: نتشرف بأن نرسل لحضرتكم طي هذا ____ كرنيه بمبلغ ____ مصرى ولنا الأمل الكبير في همتكم المعهودة لبث روح الغيرة والمروءة في حضرات المحسنين الذين يعطفون على أعمال الخير وتمهيد السبيل لنفع بني الانسان. وأننا نناشدهم في شخصكم الكريم أن لا يتوانوا في تقديم ما تجود به أنفسهم قل أو كثر فأن القليل مع القليل يصير كثيرا. وأن القرش الذى يسخو به ذو الجود في هذا المشروع هو قطعة يقدمها في بناء هذا المعهد العلمي الذى هو مهد لجيل الغد ومنبت لغرس ثمار التربية في نفوس فلذة الاكباد

فكما أن مدرسة الجمعية الحالية قد شيدت بمساعدات أصحاب الهمم والمروءة وصارت صرحا فخما ناطقا بما لهم عليه من الفضل شاملا لعدد كبير من التلاميذ يبلغون ٦٥٠ من الأبناء المحتاجين الى العلم حتى ضاق بهم، فالجمعية تود أن يساهم كل ذى خير في هذا العمل الجليل الا وهو الاعانة في بناء المدرسة الجديدة على قطعة الارض التى منحتها الحكومة للجمعية لتكون نزلا صالحا لايواء العدد الوفير من ناشئة البلاد. كما أنها تقصد باشتراك أفراد الأمة جميعا في هذا العمل اقتداء بالرسول الكريم حينما دعا كبار قريش عند وضع الحجر الأسود في بناء الكعبة الشريفة وقد بسط رداءه الشريف ووضع الحجر فيه وأمرهم بأن يأخذ كل منهم بطرف من الرداء حتى أقاموا هذا الحجر في موضعه وبهذا صار لكل قبيلة شرف الاشتراك في وضعه. فعلى هذه السنة الشريفة وهذه القدوة الحسنة تتقدم الجمعية وعندها الأمل الكبير في كل فرد من أفراد الأمة بأن يبسط يده للأخذ بناصر هذا العمل ليكون له فضل المشاركة فيه

لحى على الفلاح. حى على الباقيات الصالحات. (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا). و(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من خير فأن الله به عليم)

فبأسم الانسانية التى تودون لها هذا الصنيع الذى يظل منقوشا على جدران بيت العلم دالا على ما لكم فيه من عظيم الأثر. نقدم لكم وافر الشكر مع جليل التقدير والاحترام ؟

الاسكندرية في ______ سنة ١٩٣   رئيس الجمعية

الرجا اعادة الجزء التالى ولكم الشكر ؟

حضرة المحترم رئيس جمعية النهضة النوبية الخيرية الاسلامية بالأسكندرية

بعد التحية: أحيطكم علما بأنى استلمت ____ كرنيه قيمتها ____ جنيه مصرى المرفق بخطابكم لجمع التبرعات بموجبها لبناء المدرسة الجديدة للجمعية. وأتعهد بدفع قيمتها عند أتمام تحصيلها أو أرجاعها عند طلب الجمعية ؟

______ في ______ سنة ١٩٣   الامضاء

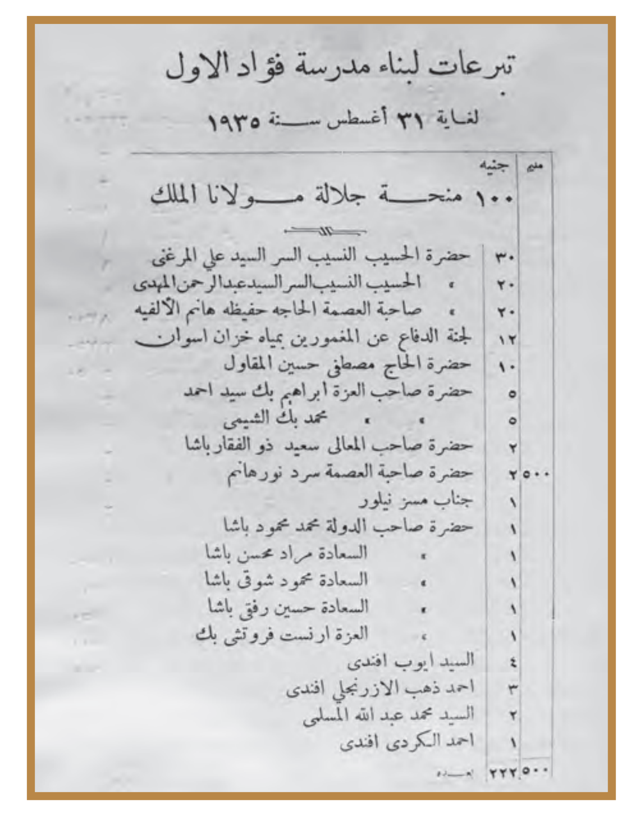
وثيقة الاكتتاب العام لبناء مدرسة فؤاد الأول بالإسكندرية.

- مائة جنيه، منحة من الملك فؤاد الأول؛ ملك مصر.
- ثلاثون جنيهًا، من السر السيد علي الميرغني[١].

(١) السيد علي الميرغني (١٨٧٣–١٩٦٨م): هو السيد علي، ابن السيد محمد عثمان الثاني المعروف بالأقرب، ابن السيد محمد الحسن، ابن الأستاذ محمد عثمان الميرغني الختم، وأمه آمنة بنت النور، من قبيلة الإنقرياب ببربر. توفيت والدته بسواكن وعمره نحو تسع سنوات. ينتسب إلى الأشراف. وكان زعيمًا دينيًّا وسياسيًّا. ولد في جزيرة مساوي في شمال السودان، واستقرت أسرته في كسلا وسواكن، لكنه انتقل إلى مصر بعد وفاة أبيه السيد محمد عثمان الميرغني، وصار تحت رعاية عمه السيد محمد سر الختم الميرغني. وتبدأ قصة شياخة الطريقة الختمية بالسيد محمد عثمان الميرغني الختم، وهو مؤسس الطريقة، ويلقب أبناؤه بسر الختم، أي حفظة أسرار الختم. وتعتبر من الطرق الصوفية حديثة النشأة نسبيًّا (١٨١٧م)، واهتمت بالدعوة في المدن والمجتمعات المستقرة. وتتميز الطريقة الميرغنية بالروحانية والوسطية؛ حيث تقوم على التوحيد والصلاة على رسول اللّٰه. وقد جمعت الطرق الصوفية بين الإرشاد والتبشير، وظل أثرها مكرسًا على نشر الإسلام ورفعة شأنه خاصة في إفريقيا، ووجهوا قدرًا كبيرًا من الدعوة في المناطق الوثنية في إفريقيا؛ حيث استطاعت أن تستقطب عددًا من سكان الشرق للطريقة الختمية، وهي سبب دخول الإسلام في إفريقيا. وتمتلك الطريقة مقار للحضرة الأسبوعية في القاهرة كل يوم جمعة بعد أداء شعائر صلاة الجمعة في مسجد الحسين. ويقع المقر الرئيسي للطريقة الميرغنية في القاهرة في منطقة في باب الوزير لأن والد السيد محمد عثمان دفن في هذه المنطقة، وقد أصبح قبره مزارًا، وكان من أثر ذلك أن زاد نفوذ المراغنة بالقاهرة، وخاصة بين النوبيين المقيمين بمصر. أما في الإسكندرية فتقع دار الميرغني في شارع الميرغني ودار الضيافة، حيث ينتشر المثل الشهير (اشتغلنا ما اشتغلنا سيدي الميرغني يأكّلنا). استخلصت المعلومات السابقة من المقابلة الشخصية مع الأستاذ حسين عبد المجيد؛ رئيس مجلس إدارة جمعية النهضة النوبية، والأستاذ شاكر جعفر؛ عضو مجلس إدارة جمعية النهضة النوبية.

- عشرون جنيهًا، من السر السيد عبد الرحمن المهدي[٢].
- عشرون جنيهًا، من الحاجة حفيظة هانم الألفي[٣].
- عشر جنيهات، من الحاج مصطفى حسين.
- عشر جنيهات، من ماهر حسن فراج أفندي.

بالإضافة إلى ذلك، قررت الجمعية نقش اسم كل من يتبرع في المستقبل بعشرة جنيهات وما يزيد تخليدًا لذكراه. وفي الحقيقة، ساهم بالقسط الأكبر في هذا العمل الخيري أعيان السودان وموظفوه؛ فقد كانت تبرعاتهم المشفوعة بكلمات المساندة كفيلة بتقوية صلات الود وروابط الإخاء بين النوبيين والسودانيين في الإسكندرية وبين ذوي أرحامهم في السودان. ومن ناحية أخرى، سعت جمعية النهضة لتشجيع أصحاب المعالي والسعادة والعزة؛ موظفي السراي الملكية، على التبرع لبناء المدرسة؛ حيث بذل أحمد أفندي الكردي؛ الأمين الخاص للملك فؤاد، جهودًا عظيمة لمساعدة هذا المشروع، وذلك بجمعه ما يزيد عن الستين جنيهًا من موظفي السراي الملكية.



تبرعات لبناء مدرسة فؤاد الاول

لغاية ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٥

مليم	جنيه	
	١٠٠	منحة جلالة مولانا الملك
	٣٠	حضرة الحسيب النسيب السر السيد علي المرغنى
	٢٠	« الحسيب النسيب السر السيد عبد الرحمن المهدى
	٢٠	« صاحبة العصمة الحاجه حفيظه هانم الألفيه
	١٢	لجنة الدفاع عن المغمورين بمياه خزان اسوان
	١٠	حضرة الحاج مصطفى حسين المقاول
	٥	حضرة صاحب العزة ابراهيم بك سيد احمد
	٥	« « محمد بك الشيمى
	٢	حضرة صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا
٥٠٠	٢	حضرة صاحبة العصمة سرد نور هانم
	١	جناب مسز نيلور
	١	حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا
	١	« السعادة مراد محسن باشا
	١	« السعادة محمود شوقى باشا
	١	« السعادة حسين رفقى باشا
	١	« العزة ارنست فروتشى بك
	٤	السيد ايوب افندى
	٣	احمد ذهب الازرنجلي افندى
	٢	السيد محمد عبد الله المسلمى
	١	احمد الكردى افندى
٥٠٠	٢٢٢	بعده

جدول تبرعات بناء مدرسة فؤاد الأول حتى تاريخ ٣١ أغسطس ١٩٣٥م.

(٢) سياسي سوداني، ولد بأم درمان بعد وفاة والده الإمام محمد أحمد المهدي ببضعة أسابيع وذلك في ١٣ يوليو ١٨٨٥م. وحفظ القرآن الكريم في سن باكرة. وخلال فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨م) بزغ نجم عبد الرحمن المهدي كزعيم سياسي ورجل مال. وبعد نهاية الحرب كان ضمن الوفد الذي سافر إلى بريطانيا بقيادة السيد علي الميرغني عام ١٩١٩م، فكان أصغر أعضاء الوفد سنًّا.

(٣) حفيظة هانم رستم حلمي الألفي هي واحدة من سيدات زمن الخير، حرم يوسف بك نجيب، توفيت في عام ١٩٢٦م. أنفقت مالها على الأعمال الخيرية، فوهبت أموالها وأملاكها لصالح الجمعية الخيرية الإسلامية لبناء مستشفى العجوزة، وإسعاف القاهرة، وجمعيات المحافظة على القرآن الكريم، والطلبة الواردين لطلب العلم بالجامع الأزهر.

المدرسة كمبنى تراثي

تلعب المباني التراثية في مدينة الإسكندرية دورًا هامًّا في تشكيل هوية المدينة وصورتها البصرية؛ حيث تركت كل حقبة زمنية معالم لها أثر واضح في جعل أفراد المجتمع المصري بصفة عامة والسكندري بصفة خاصة مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالمكان الذي يعكس الزمان، ويشكل هوية المدينة، ويرسخ الذاكرة الجمعية للمجتمع. فحفلت مدينة الإسكندرية بشوارع مليئة بمقومات هذه الهوية حيث التراث المعماري يجمع بين الطرز المعمارية الإيطالية، والفرنسية، ونثرات من المدينة التركية، والطراز الإسلامي المستحدث المتميز بالمزج بين مبادئ التصميم المعماري في أوروبا في القرن التاسع عشر وتصميم العمائر المملوكية في مصر. فقد ظهر هذا الطراز في مصر في النصف الأول من القرن العشرين ليكون طرازًا وطنيًّا محليًّا يعبر عن العمارة المحلية المصرية ومواجهًا للطراز الأوروبي الغربي، وظهر هذا الطراز مع ظهور الحركات السياسية الوطنية الهادفة إلى مجابهة الاحتلال وإظهار الشخصية الوطنية المصرية. ويتم في هذا الطراز استخدام العناصر المعمارية والزخرفية الفنية الخاصة بالعمارة الإسلامية القديمة وتطويعها واستخدامها بصورة حديثة وجديدة تتلاءم مع استخدام المبنى ووظيفته. كذلك يظهر في هذا الطراز العناصر المعمارية المميزة للعمارة الإسلامية مثل العقود المدببة، والعقود ذات الثلاثة مراكز، والكوابيل الحاملة للبلكونات، والكرانيش المحمولة على مقرنصات، والأعمدة المزدوجة ذات التيجان الإسلامية، إلى جانب استخدام الحليات والزخارف الهندسية والنباتية المستنبطة من العمارة الإسلامية المملوكية ولكن في صورة حديثة تتلاءم مع استخدام المبنى. كذلك يظهر في هذا الطراز استخدام الطوب الأحمر السورناجا الخاص بالواجهات، وذلك بالألوان المختلفة مثل الأحمر والبرتقالي والأصفر في تكوينات هندسية زخرفية جمالية.

مبنى المدرسة من الخارج

يتجلى الطراز الإسلامي المستحدث في واجهة المدرسة، والتي صممت منذ البداية لتؤكد روح العصر السائد في ذلك الوقت، والذي يؤكد على تمازج التراث والهوية المصرية. تطل واجهة المدرسة (الواجهة الجنوبية الغربية) على شارع شجرة الدر، وتتوسطها كتلة المدخل. يكتنف المدخل قسمين: الجنوبي والغربي، وهما متماثلان، ويبرزان عن كتلة المدخل بحوالي مترين.

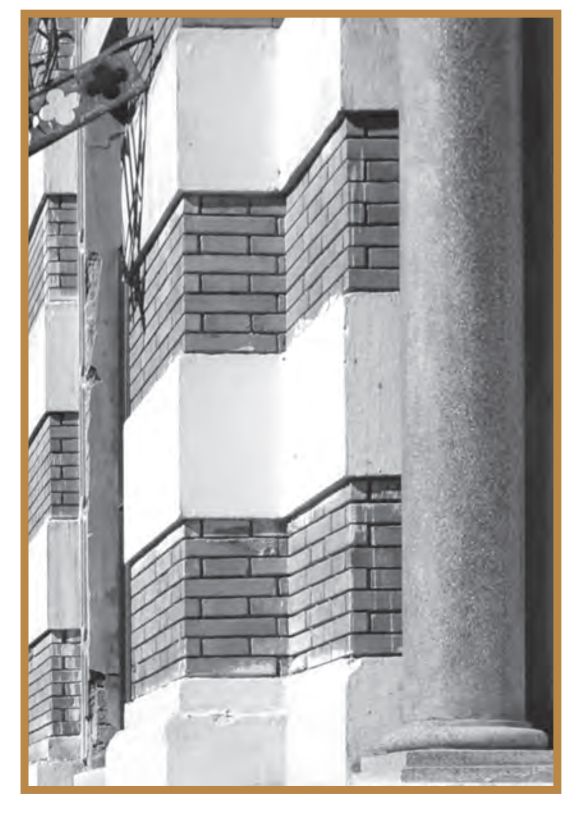


مبنى المدرسة من الخارج.

يتم الصعود لهذا المدخل من خلال درج ذي جناحين[1] يؤديان إلى دركاة للدخول (بهو الاستقبال)، ويعتبر هذا سمة من سمات المداخل المملوكية. لكن للأسف الشديد أغلق هذا البهو المستدير وتم تجهيزه ليصبح مكتبًا لمدير المدرسة، مما يعتبر تعديًا على التصميم الأصلي للمدرسة – حيث تعتبر المدرسة مبنى تراثيًّا بحكم قانون التراث – ومخالفة صريحة لمبادئ الحفاظ على المباني التراثية. علمًا بأن بهو الاستقبال يحتوي على لوحتين بأسماء المتبرعين والمؤسسين لجمعية النهضة النوبية، مما تعذر إدراجها في هذا المقال.

تتميز واجهة المدرسة باستخدام قوالب الطوب الأحمر الخاص بالواجهات، وذلك بالألوان المختلفة مثل الأحمر والأصفر في تبادل زخرفي جمالي. ويستدعي هذا الأسلوب الجمالي أسلوب زخرفة واجهات المباني في العصر المملوكي، والذي يطلق عليه «المشهر» أو «الأبلق»، وينفذ هذا الأسلوب بتناوب الألوان ومنها الأحمر والأصفر سواء كان في الحجر أو الرخام. وقد انتشر هذا الأسلوب في واجهات الكثير من المباني من نفس الفترة، سواء في القاهرة أو في الإسكندرية، مثل دار الكتب المصرية، وجمعية المهندسين المصريين بالقاهرة، وبنك مصر بالإسكندرية.

وقد قسمت واجهة المدرسة إلى مجموعة من الدخلات الطولية الغائرة بشكل بسيط على جانبي المدخل الرئيسي، شُغلت كلها بنوافذ مستطيلة، وعُقد أعلى النوافذ الموجودة بالطابق الأول بعقد عاتق لتخفيف الضغط، ونوافذ الطابق الثاني عقدت من أعلى بعقود مدببة، وشُغلت بجفوت لاعب وميمات، وشُغلت شرفات كلٍّ منها بحواجز حجرية، شُغلت بزخارف نباتية من أوراق ثلاثية محورة.





صورتان لبعض التفاصيل المعمارية من مبنى المدرسة.



واجهة المدرسة من الخارج.



(١) ظهر السُلَّم ذو الجناحين في مدرسة السلطان حسن ومسجد المؤيد شيخ.

يتوسط المدخل كتلة الواجهة، وهو عبارة عن باب خشبي يكتنفه عمودان من الجرانيت الوردي، يعلوه اللوحة التأسيسية للمدرسة. وقد كتبت اللوحة بخط الثلث بمداد أسود على لوحة رخامية، ما نصه: «جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية: مدرسة فؤاد الأول سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م». وتؤرخ هذه اللوحة لفترة تأسيس المدرسة في عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م في عهد الملك فؤاد، أي قبل وفاته بعام. ويعلوها عقد متجاوز على شكل حدوة الحصان، وهو تأثير أندلسي ظهر في العمائر الإسلامية على مختلف العصور. ويحدد هيئة هذا العقد جفت لاعب بميمات دائرية في كوشتي العقد، ويعلو العقد طراز مستطيل الشكل ثم يعلوه حطتان من المقرنصات. أما الدور الثالث من الواجهة فيشغله نافذتان توأميتان ذواتا عقد مدبب، ترتكزان على عمود من الحجر مشترك في المنتصف. ويحيط بهما إطارات هندسية من جفت لاعب ميم سداسي بين النوافذ.

أما القسمان الجنوبي والغربي فهما متطابقان في التصميم في توافق وتوزان تامين، مما يمنح تلك الواجهة نوعًا من الاتزان؛ حيث يعتبر التماثل والتناظر سمة من سمات وخصائص العمارة الإسلامية.

التصميم الداخلي لمبنى المدرسة

في التصميم الأولي للمدرسة والذي نشر في تقرير مجلس إدارة جمعية النهضة النوبية لعام ١٩٣٤-١٩٣٥م، كان تصميم المدرسة مكونًا من دور أرضي ودور أول علوي، ويظهر ذلك من خلال التصميم الخارجي أو الداخلي للمدرسة، لكن التصميم النهائي للمدرسة يبين ثلاثة أدوار.



مبنى المدرسة من الخارج حيث السلم المزدوج.

مدخل المدرسة.

ويتكون التصميم الداخلي للمدرسة من دور أرضي، وثلاثة أدوار علوية، تحتوي على اثنين وعشرين فصلاً دراسيًّا. صممت على شكل ثلاثة أضلاع متصلة ببعضها بعضًا (شكل حرف U)، تحصر بينها صحن داخلي يفتح على الدور الأرضي.

وينفتح المبنى الداخلي على فناء كبير يستخدم في ممارسة كافة التمارين الرياضية، وكان يعتبر مكان التجمع الرئيسي لممارسة النوبيين للرياضة في الإسكندرية. ويتوسط هذا الفناء نافورتان كانتا تستخدمان لتوفير مياه الشرب لتلاميذ المدرسة.

ويضم الفناء في نهايته حديقة كانت مركزًا هامًّا لطلبة المدرسة للتعرف على أنواع النباتات المختلفة وتعلم فنون التربية الزراعية، ودراسة كيفية صناعة بعض المواد الغذائية في المنزل مثل حلوى المربى أو الزبادي، لكن تم تشييد على أرض هذه الحديقة مجموعة من الفصول الدراسية.

وقد افتتحت المدرسة رسميًّا في عهد الملك فاروق في عام ١٩٣٩م، أي بعد جلوسه على عرش مصر بثلاث سنوات، وقد وضعت لوحة تذكارية لهذا الغرض في المدرسة. كذلك أوفد مندوبًا خاصًّا لحضور حفل الافتتاح الذي أقامته الجمعية بهذه المناسبة، وقد ورد ذكر هذا الافتتاح في سجلات مجلس إدارة جمعية النهضة النوبية.

لقد أصبحت المدرسة بعد افتتاحها محط اهتمام وزيارة الشخصيات البارزة في الدولة المصرية مثل زيارة علي باشا ماهر؛ رئيس وزراء مصر للمدرسة، وكذلك زيارة علي زكي العرابي؛



مبنى المدرسة من الداخل.



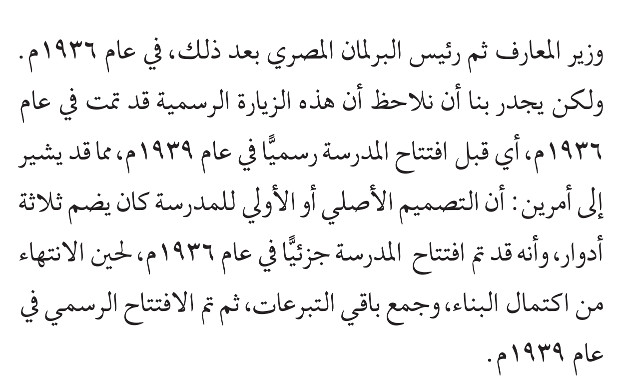
لوحة تذكارية لافتتاح المدرسة.



زيارة الوفد الموفد نيابة عن الملك فاروق لزيارة مدرسة فؤاد الأول بالإسكندرية.



صورة تذكارية لزيارة رئيس الوزراء علي باشا ماهر لمدرسة فؤاد الأول بالإسكندرية، أثناء تجوله وتفقده للمدرسة وسير العملية التعليمية بداخلها.



وزير المعارف ثم رئيس البرلمان المصري بعد ذلك، في عام ١٩٣٦م. ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن هذه الزيارة الرسمية قد تمت في عام ١٩٣٦م، أي قبل افتتاح المدرسة رسميًّا في عام ١٩٣٩م، مما قد يشير إلى أمرين: أن التصميم الأصلي أو الأولي للمدرسة كان يضم ثلاثة أدوار، وأنه قد تم افتتاح المدرسة جزئيًّا في عام ١٩٣٦م، لحين الانتهاء من اكتمال البناء، وجمع باقي التبرعات، ثم تم الافتتاح الرسمي في عام ١٩٣٩م.

لقد حرصت مجالس إدارة الجمعية منذ تأسيسها عام ١٩٠٩م على التقاط صور تذكارية لها في فناء المدرسة الأول، ونذكر هنا أن مجلس إدارة جمعية النهضة النوبية في عام ١٩٦٧م كان يضم اثنين من العلامات البارزة في تاريخ الجمعية والمدرسة؛ الأول هو فتحي أحمد إبراهيم؛ والد «مو إبراهيم»؛ مؤسس جائزة الحكم الرشيد في إفريقيا، والثاني هو جعفر عطية عثمان؛ والد الأستاذ شاكر عثمان؛ عضو مجلس إدارة الجمعية الحالي، ويعتبر بمثابة مؤرخ جمعية النهضة النوبية ومدرسة فؤاد الأول.

تاريخيًّا، فإن مدرسة فؤاد الأول بالإسكندرية «مدرسة النهضة النوبية»؛ أحد الأمثلة الناجحة المستمرة والشاهدة على دور جمعية النهضة النوبية الخيرية الإسلامية التي تأسست عام ١٩٠٩م في دعم مسيرة التعليم في الدولة المصرية؛ حيث استطاعت أن توفر خدماتها التعليمية بنجاح على مدار سنوات طويلة للمصريين والسودانيين على حدٍّ سواء.





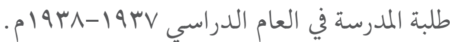
هيئة مجلس إدارة جمعية النهضة النوبية بالإسكندرية، ٣ فبراير ١٩٦٧م.



واجتماعيًّا، تعتبر مدرسة فؤاد الأول دليلاً على قوة رابطة أبناء النوبة الذين هاجروا واستقروا في مدينة الإسكندرية بعد بناء خزان أسوان في عام ١٩٠٢م، ثم كانت رعاية القصر الملكي للمدرسة في عهد الملك فؤاد بإطلاق الاسم الملكي عليها، واشتراك طوائف مختلفة من المجتمع السكندري آنذاك في تكاليف البناء (القصر الملكي، الطريقة الميرغنية، السيدة حفيظة هانم الألفي، الشركات التجارية بالإسكندرية، أبناء النوبة والسودان، العاملين في قصر القبة وقصر عابدين، القرى النوبية... إلخ).

أما تراثيًّا ومعماريًّا؛ فتتميز مدرسة فؤاد الأول بأنها بنيت وأسست على طراز معماري متميز، وهو الطراز الإسلامي المستحدث؛ أحد أهم سمات التصميم المعماري في بداية القرن العشرين، لتعكس روح الوطنية المصرية في مدينة الإسكندرية متعددة الثقافات. فقد عكست المدرسة نموذجًا قائمًا لتكاتف الفئات المجتمعية المختلفة في مدينة الإسكندرية، مجسدة هوية المدينة، ليصبح التراث هو القوة الفاعلة والمؤثرة. ولهذا السبب، قامت لجنة حصر المباني التراثية بتضمينها ضمن مجلد التراث تحت رقم ٥٤٥ و٥٤٦، وأصبحت في حماية قانون التراث رقم ١٤٤ لسنة ٢٠٠٦م شاهدًا حيًّا نابضًا بهوية المدينة التي كانت وستظل ملتقى الثقافات.




طلبة المدرسة في العام الدراسي ١٩٣٧–١٩٣٨م.



ملعب محافظة الإسكندرية الرياضي

عراقة التاريخ والعمارة



الدكتور إسلام عاصم عبد الكريم

إن إستاد الإسكندرية – الذي كان يطلق عليه رسميًّا «ملعب فؤاد الأول الرياضي»، وكان يطلق عليه شعبيًّا «ملعب البلدية» – لهو صرح رياضي عريق يحمل بين جنباته جزءًا هامًّا من تاريخ الدولة المصرية. قد يعتقد البعض أنه ملعب رياضي لا يتعدى دوره الأنشطة الرياضية التي تقام فيه، وإن كان هذا الأمر بالفعل هو ما يناط بإستاد الإسكندرية فإن تاريخ إنشائه وما ارتبط به، جعله ملعبًا رياضيًّا فريدًا من نوعه؛ حيث ارتبط على مر تاريخه بالسياسة والمجتمع، وعرف قدره الملوك والرؤساء وافتخروا به وارتبط به السكندريون في كل مناسباتهم السعيدة.

كانت مدينة الإسكندرية هي الأولى في العالم التي تُرفع فيها راية الألعاب الأوليمبية الحديثة؛ تلك الراية التي صممها باعث الأوليمبياد الحديثة الفرنسي البارون بيير دي كوبرتين Pierre de Coubertin، وكان قد تعرف على الرياضي أنجلو بولاناكي – أول من شارك باسم مصر في دورات رياضية دولية، حتى إنه في عام ١٩٠٢م شارك في بطولات العدو لمائتي متر في الإسكندرية وأثينا وسميرنا ليكون قد شارك في مدة ستة أشهر في ثلاث قارات، كسر فيها الرقم الأوليمبي، ليطلق عليه حينها «غازي القارات» – الذي انتهت حياته الرياضية عام ١٩٠٦م، وهو العام الذي تعرف فيه على دي كوبرتين، فرشحه في عام ١٩٠٨م لعضوية اللجنة الدولية للأوليمبياد ممثلاً مصر.

بدأ بولاناكي تكريس جهوده لتطوير الرياضة في مصر، فنظم بطولات في مختلف الألعاب ما بين القاهرة والإسكندرية، وقام بتقديم طلب إلى رئيس بلدية الإسكندرية عام ١٩٠٩م لتخصيص قطعة أرض جنوب طريق أبي قير لإنشاء ملعب رياضي عليها في الوقت الذي تسمح فيه الظروف بذلك، وكان هذا الطلب قبل أن يتم تعيينه في عام ١٩١٠م عضوًا رسميًّا في اللجنة الدولية للأوليمبياد ممثلاً مصر. واستطاع في نفس العام تكوين الاتحاد المصري للرياضة واللجنة الأوليمبية المصرية برعاية الخديوي عباس حلمي الثاني، والأمير عمر طوسون الذي أصبح أول رئيس للجنة الأوليمبية المصرية.

ويعد بولاناكي صاحب فكرة إنشاء إستاد البلدية الرياضي، فقد كان رمزًا للكفاح والسعي الدءوبين وراء الحلم. وبالرغم من إحالة طلبه الأول إلى الأشغال العمومية للنظر في إمكانية التنفيذ، فقد تقدم بطلب آخر في نهاية العام نفسه ليؤكد فيه على طلبه الأول، فيعزز بذلك رغبته في أن تتقدم مدينة الإسكندرية بطلب استضافة الألعاب الأوليمبية لعام ١٩١٦م.

وقد رحب مجلس البلدية بما قدمه بولاناكي، وقام فلاديمير نيكوزوف بك V. Nichosoff بوضع تخطيط الملعب بصفته رئيس المهندسين الرسميين في البلدية. وبناءً على توجيهات بولاناكي، ورغبة في الإسراع في التنفيذ؛ نظم بولاناكي احتفالاً رياضيًّا كبيرًا في إبريل عام ١٩١٤م في الشاطبي بمناسبة مرور عشرين عامًا على استئناف الألعاب الأوليمبية في العصر الحديث، ورفعت في حفل ختامه وبحضور خديوي مصر عباس حلمي الثاني لأول مرة في العالم الراية الأوليمبية التي كان قد صممها كوبرتين عام ١٩١٣م، لتكون مصر هي صاحبة هذا الشرف الكبير؛ حيث لم تظهر هذه الراية إلا بعد هذه المناسبة بست سنوات في بلجيكا، وظلت راية الأوليمبياد الرسمية حتى يومنا هذا.




البوابة الرئيسية بإستاد الإسكندرية من داخل الإستاد.




ALTIVS

ولكن للأسف ولسوء الحظ تعطل كل شيء أُعد له، وتجمد الوضع بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى، وتحول الأوضاع السياسية في مصر تحولاً جذريًّا؛ بحيث أصبحت مصر سلطنة خاضعة للحماية البريطانية طوال سنوات الحرب، وعُزل حاكمها الخديوي عباس حلمي الثاني، وتولى مكانه السلطان حسين كامل الذي وافته المنية في عام ١٩١٧م، فتولى خلفًا له السلطان فؤاد الأول.

وبعد انتهاء الحرب، وتحديدًا في أكتوبر ١٩١٨م؛ قام بولاناكي بتنظيم حدث رياضي كبير في الإسكندرية بصفته رئيس الاتحاد الرياضي المصري، وحضر هذا الحدث الرياضي السلطان فؤاد الأول الذي عرض عليه حينها فكرة إنشاء الإستاد، وهو الأمر الذي عضده بقوة السلطان فؤاد الأول حينها، وقرر فتح باب الاكتتاب من أجل جمع التبرعات والمساهمات المادية للبدء في تنفيذ حلم بولاناكي وحلم مدينة الإسكندرية الرياضي. وبعد عام كامل، أعلن أن السلطان فؤاد الأول تبرع بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه من حسابه الشخصي من أجل إنشاء الإستاد، وكذلك تبرع الأمير عمر طوسون بمبلغ ألفي جنيه، وتبرع بولاناكي بمبلغ ألف جنيه، وكذلك تبرع جان كازولي بمبلغ ألفين وخمسمائة جنيه، والمسيو خريمي بمبلغ خمسمائة جنيه. بعدها أعلنت البلدية عن استرجاع ما كان قد خصص لمشروع الإستاد وهو مبلغ خمسمائة جنيه، الذي كان قد خصص لتخطيط عام ١٩١١م، ثم أضافت مبلغ عشرين ألف جنيه، ولكن نفقات إنشاء الملعب وصلت إلى مائة وثلاثين ألف جنيه، التي لم تكن متوفرة بالرغم من التبرعات السابقة إلا بعد أن تم عمل «يانصيب» بلغت إيراداته ثلاثة وثلاثين ألف جنيه، بالإضافة إلى ما تعطيه الدولة سنويًّا للجنة من إيراد ضريبة المراهنات.

وقد اقترح بولاناكي بعد ذلك تكوين لجنة تشرف على هذا المشروع الضخم يرأسها السلطان فؤاد الأول، وبعضوية أمين يحيى باشا، ورئيس بلدية الإسكندرية هوبكنسون باشا، والسيد ماكلين؛ رئيس مهندسي البلدية في ذلك الوقت. على أن يبدأ العمل في أكتوبر ١٩٢١م بتسوية الأرض التي خصصت للملعب.

وفي عام ١٩٢٢م، شُكلت لجنة أخرى من محافظ الإسكندرية، ومدير عام بلدية الإسكندرية، وبولاناكي، وفان دن بوش؛ النائب العام لدى المحاكم المختلطة، ورئيس مهندسي البلدية إرنسترونج، وماكس رولو ودسبرج من أعضاء المجلس البلدي، الذين سعوا لتملك الأرض التي خصصت من قبل، ولكن الأمر انتهى إلى تغيير الموقع والحصول على قطعة أرض مناسبة تنازلت الحكومة عنها، ومساحتها خمسة وستون ألف متر مربع، فبدأت الإنشاءات



مدخل المقصورة الرئيسية للإستاد.

فيها عام ١٩٢٦م، وتم الانتهاء من أهم مباني الإستاد وهو الملعب الرياضي في عام ١٩٢٨م. وتم تحديد الافتتاح بمناسبة عقد أول دورة ألعاب إفريقية في إبريل ١٩٢٩م، رغم أنه كان مخططًا لها أن تعقد عام ١٩٢٧م وتم تأجيلها بناءً على طلب مصر للانتهاء من بناء الملعب الرياضي الرائع.

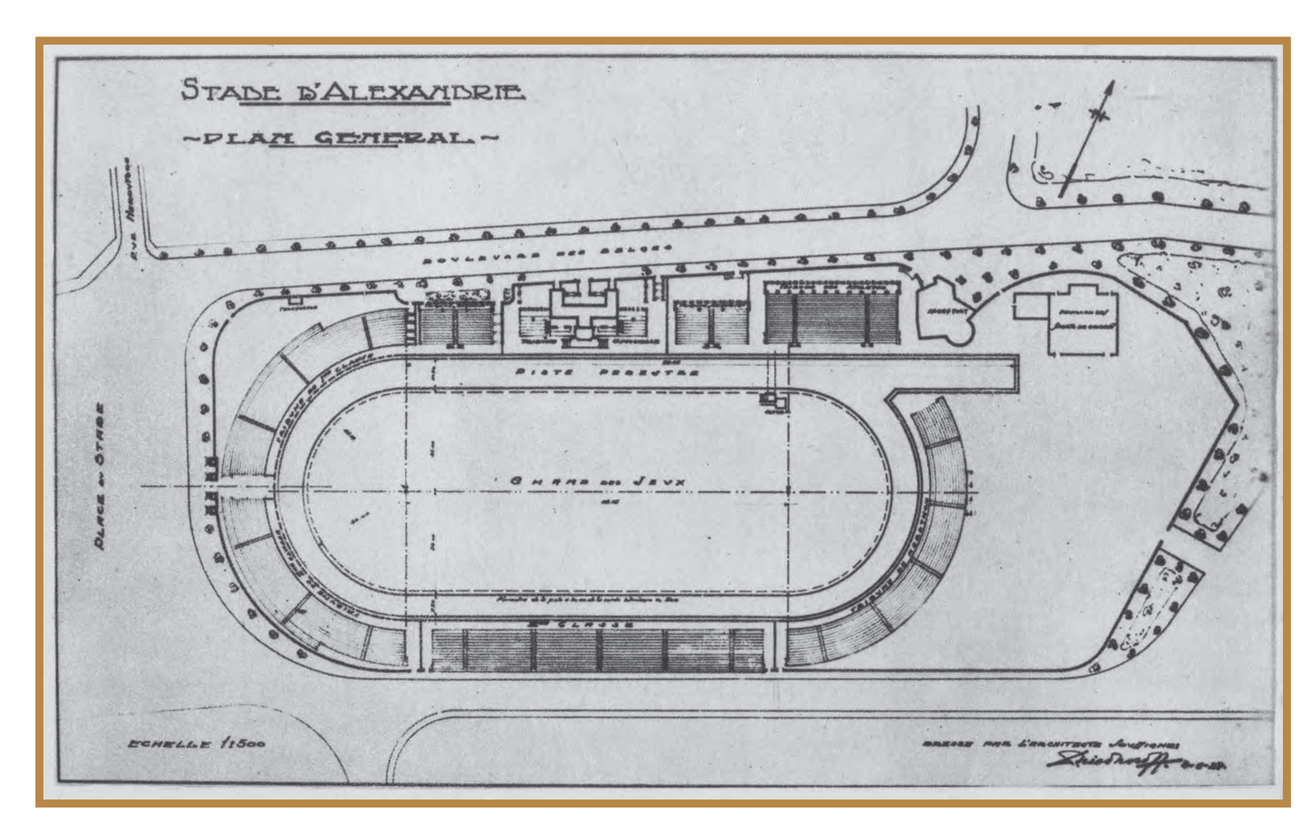
وبالفعل، انتهى العمل في الملعب الرياضي الذي كان يسع حينها لخمسة وعشرين ألف متفرج، وكان يتكون من ميدان واسع تحيط به المدرجات من كل الجوانب، والتي خصصت للطبقات المختلفة، فخصصت للدرجتين الأولى والثانية خمسة آلاف مقعد لكلٍّ منهما، أما الدرجة الثالثة فخصص لها أربعة آلاف مقعد، بالإضافة إلى ملعب كرة قدم وملعب تنس وحلبة سباق ومكان للملاكمة والشيش وغير ذلك من أماكن مخصصة للرياضات الأخرى. وكان تحت المدرجات أماكن الاستراحة وتغيير الملابس والتدليك والاستحمام. وفي وسط المدرجات، تم بناء المقصورة الملكية من دورين؛ اشتمل الدور السفلي على صالون من طراز عصر النهضة، واشتمل الدور العلوي الذي كان فيه جناح الملكة على صالون من طراز لويس الرابع عشر.

وبعد إلغاء الحماية البريطانية على مصر في ٢٢ فبراير ١٩٢٢م، أصبحت مصر ولأول مرة دولة ذات استقلالية في العصر الحديث، فأصبح لها وزير خارجية، وحمل حاكمها – وهو أحمد فؤاد الأول لقب «صاحب الجلالة» الذي لم يكن من حقه قبل ذلك حيث كان من حق ملكة بريطانيا – فأثار هذا التحول التاريخي الهام في قلوب القوى الاستعمارية الخوف من أن يتجمع شباب إفريقيا حول هدف واحد من خلال تلك التجمعات الرياضية، الأمر الذي قد يؤدي إلى حركات استقلالية مماثلة، ولذلك كان ثمة ضغط سياسي لإلغاء هذه الدورة، ونجحوا في ذلك بالفعل ولم تقم الدورة إلا في عام ١٩٦٥م في برازافيل بجمهورية الكونغو بدعم من الزعيم جمال عبد الناصر.

كان إلغاء الدورة صدمة كبيرة وحزينة؛ للآمال التي علقها المجتمع المصري عليها، لذا قام بولاناكي بطلب إقامة دورة لألعاب البحر المتوسط تجمع كل بلدان حوض البحر المتوسط وتقام في الإسكندرية، وكلفت بلدية الإسكندرية بولاناكي أن يتقدم بطلب عقد هذه الدورة – الأولى من نوعها – في عام ١٩٣٠م أو ١٩٣١م، أو أن تستضيف الإسكندرية دورة الألعاب الأوليمبية عام ١٩٣٦م.

منظر عام للإستاد من الخارج.





مسقط أفقي لتصميم الإستاد.









ميدالية الألعاب الإفريقية الأولى في الإسكندرية عام ١٩٢٩م.



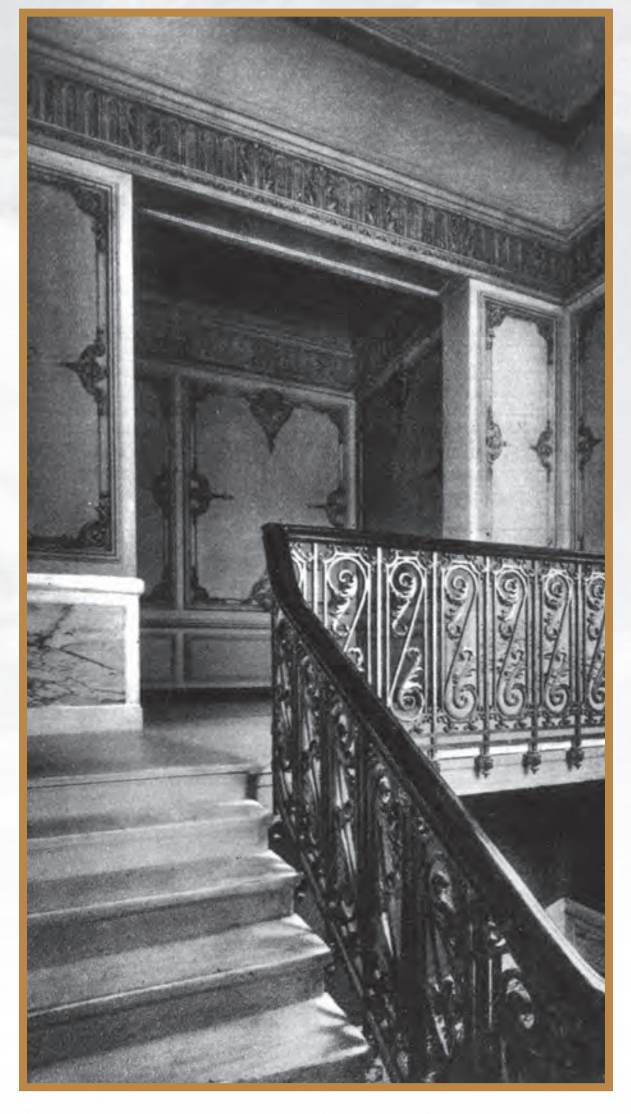
إحدى قاعات الاستضافة الملحقة بالمقصورة الداخلية لإستاد الإسكندرية الرياضي.



المقصورة الرئيسية من داخل الإستاد.



المقصورة من داخل أروقة المقصورة الرئيسية.



السلم الداخلي بالمقصورة الرئيسية بإستاد الإسكندرية من الداخل.



المقصورة الرئيسية من خارج الإستاد.



منظر عام للمقصورة الرئيسية من داخل الإستاد.

منظر عام من الداخل؛ إستاد الإسكندرية.

وقد ظل طلب مصر باستضافة أوليمبياد ١٩٣٦م، قائمًا إلى عام ١٩٣٢م، ولكن بولاناكي استقال من عضوية اللجنة الأوليمبية ممثلاً مصر، ليمثل بعدها اليونان في نفس اللجنة، بعد أن خدم الرياضة في مصر لمدة تزيد عن ثلاثين عامًا. ولم تقم دورة ألعاب البحر المتوسط إلا في عام ١٩٥١م بفضل جهود محمد طاهر باشا؛ رئيس اللجنة الأوليمبية المصرية وعضو اللجنة الدولية الأوليمبية، وأجمع أعضاء اللجنة الدولية الذين حضروا البطولة أن إستاد بلدية الإسكندرية هو الأجمل في العالم من حيث عمارته الرائعة والتسهيلات المهيأة الموجودة بداخله.

أعدت العدة إذن لافتتاح أول دورة للألعاب الإفريقية – كما ذكرنا سابقًا – فقد كان كل شيء معدًّا بالفعل؛ الميداليات التذكارية، والميداليات التي كان من المنتظر أن تهدى للفائزين، بل وصدر طابع بريدي لهذه المناسبة التي كان مقدر لها أن تقام في إبريل ١٩٢٩م، ولكن الأمر – للأسف الشديد – لم يتم، وراحت الصحف تحاول إقناع الشعب أن مصر بالرغم من عدم تحقيقها الهدف فإنها فازت بإنشاء ملعب رياضي أوليمبي متفرد، رسم تخطيطه المهندس نيكوزوف على الطراز اليوناني الروماني الذي يتوافق مع الغرض من المبنى وتاريخ المدينة العريق. وهي حقيقة كانت ربما لا ترضي آمال الشعب المصري الحر آنذاك، ولكن إذا نظرنا إلى الملعب اليوم فإننا سنجد أنه يعد أحد أهم رموز الإسكندرية المعمارية التي تحمل تاريخ وعراقة فترة هامة في تاريخ مصر عامة وتاريخ مدينة الإسكندرية خاصة؛ إذ سيظل دائمًا شاهدًا على كفاح مصر من أجل إفريقيا ومن أجل التحرير.

مراسم الافتتاح الرسمي

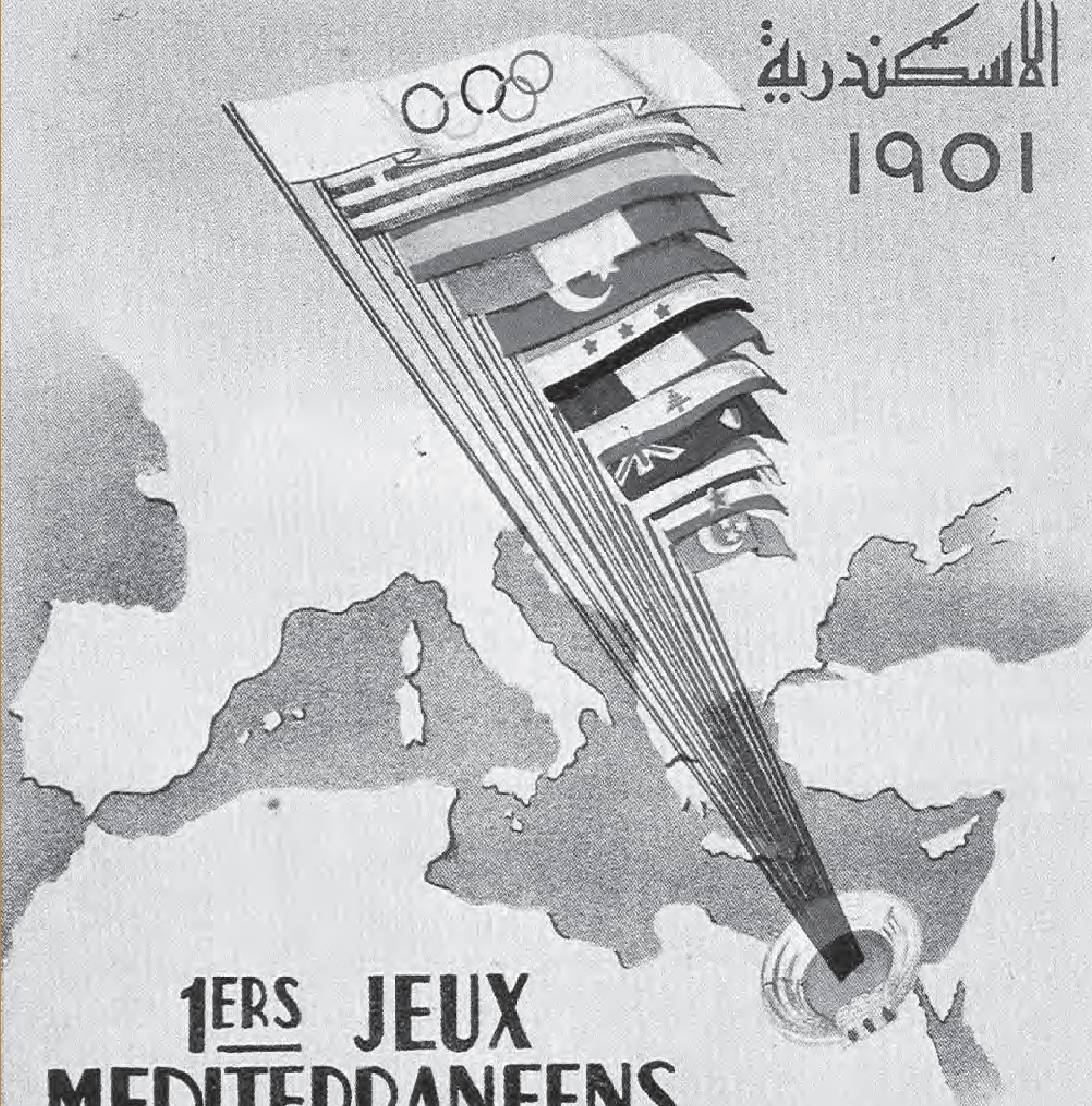
افتتح الملعب وفي أعلى بوابته الرئيسية المصممة على طراز أقواس النصر الرومانية، نقش كتابي، نصه: «بلدية إسكندرية ميدان الرياضة البدنية شيد في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول سنة ١٩٢٩ ميلادية»، ووضع على يمين ويسار البوابة من الداخل اللوحة التأسيسية للملعب، ولوحة أهم المتبرعين، واللجنة التي أشرفت على الإنشاء.

وفي ظهر يوم الأحد ١٧ نوفمبر ١٩٢٩م، تحرك الركب الملكي من قصر رأس التين إلى الملعب في الساعة الواحدة والنصف ظهرًا لبدء مراسم الافتتاح بحضور كل رجال الدولة؛ من محمد توفيق نسيم باشا؛ رئيس الديوان العالي، ورئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا، والمندوب السامي البريطاني سير لورين، ومحافظ الإسكندرية، ورئيس مجلس البلدية أحمد صديق بك. ووصل الملك فؤاد في الساعة الثانية إلا خمس دقائق، فاتجه وكبار مرافقيه إلى المقصورة الملكية، التي كان على جانبيها يجلس القناصل والقضاة وكبار الأعيان، وبدأ الاحتفال في تمام الساعة الثانية ظهرًا باستعراض الاتحادات الرياضية، فكان كل اتحاد تتقدمه رايته ورايات الأندية التي تكونه، واستمر هذا الاستعراض لمدة ساعة تقريبًا، وكانت الاتحادات التي مرت بالترتيب هي: الاتحاد المصري للزوارق، ثم الاتحاد المصري للجمعيات الرياضية، ثم الاتحاد المصري لكرة القدم، ثم الاتحاد المصري للتنس، ثم اتحاد الملاكمة، ثم مرت راية الألعاب الرياضية بالجيش المصري، ثم اتحاد المبارزة، ثم المدارس الأجنبية بالإسكندرية، ثم المدارس الحكومية بالإسكندرية.

ومن أهم ما يميز هذا الملعب عن غيره في العالم أنه الوحيد الذي يحوي آثارًا قديمة؛ حيث يقع جزء من سور مدينة الإسكندرية القديم في ركنه الجنوبي الغربي، وهو ما يطلق عليه بوابة الزهري، والتي كانت تمثل أحد أبواب السور القبلي للمدينة، ويستحق الأمر الصادر بالحفاظ عليه؛ حيث تم إدماج هذا السور بسور الملعب نفسه، ويرجع هذا الأثر على أغلب الآراء إلى العصر المملوكي، وإن كانت بعض أحجاره ترجع للعصر الروماني؛ وبذلك فقد دُمج التاريخ المصري في سور الملعب.

لعله من الهام بعد تلك النبذة التاريخية عن ملعب محافظة الإسكندرية الرياضي العريق، أن نذكر أنه احتضن أول بطولة لألعاب البحر المتوسط في أكتوبر ١٩٥١م، وتم عمل إضافات وتجديدات بلغت تكلفتها حينها مائتين وخمسين ألف جنيه؛ حيث أُنشئ حوضان للسباحة وكرة الماء يتسع مدرجاهما لأربعة آلاف ومائتي متفرج، كذلك أُنشئ ملعب لكرة السلة يتسع لأربعة آلاف ومائتي شخص، كما تم إضاءة ملعب كرة القدم وحلبة السباق بقوة ثمانمائة ألف شمعة، كما زودت الأبواب بآلات دوارة لتنظيم الدخول، بالإضافة إلى زيادة عدد دورات المياه وتزويدها بالمياه الساخنة.

كما احتضن أول دورة للألعاب العربية في الفترة من ٢٦ يوليو إلى ١٠ أغسطس ١٩٥٣م. ولعل آخر البطولات العالمية التي أقيمت عليه هي بطولة كأس العالم لكرة القدم للشباب في سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٠٩م. وما بين أولى البطولات وآخرها تاريخ طويل وتفاصيل تاريخية رائعة، فكم من ملك وحاكم زار هذا الملعب الذي كان وما زال مصدر فخر حكام مصر؛ حيث زاره ملك إيطاليا الأخير «فيكتور إيمانويل الثالث» في فبراير ١٩٣٣م، كما زار الملعب الإمبراطور محمد رضا بهلوي؛ إمبراطور إيران، في مارس ١٩٣٩م، الذي تزوج أخت الملك فاروق؛ الأميرة فوزية، في نفس الشهر.



الدورة الاولى الألعاب البحر المتوسط ١٩٥١م.



تصريح دخول مجاني بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٥١م لحضور الدورة الأولى لألعاب البحر الأبيض المتوسط.



طابع بريد صادر بمناسبة تنظيم الدورة الأولى لألعاب البحر الأبيض المتوسط.





ميدالية الدورة الأولى لألعاب البحر الأبيض المتوسط في الإسكندرية عام ١٩٥١م.



وقد أراد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر أن يكون للإسكندرية نصيب وافر من زياراته وخطاباته، فاختار أن يحتفل بعيد ثورة ١٩٥٢م في هذا الملعب العريق، ففي مقصورته وقف يخطب في ٢٦ يوليو ١٩٦٢م احتفالاً بمرور عشرة أعوام على قيام الثورة المجيدة. وفي نفس اليوم ولكن عام ١٩٦٦م، وقف يحتفل بمرور عشرة أعوام على إعلان تأميم قناة السويس، الذي جاء أيضًا على أرض الإسكندرية.

لم يكن ملعب محافظة الإسكندرية قط مكانًا قاصرًا على الرياضة فقط، بل كان منشأة هامة لها رمزية سياسية واجتماعية وثقافية؛ فهو رمز لتعددية الجنسيات والثقافات التي كانت تتعايش في سلام على أرض الإسكندرية؛ فصاحب فكرة إنشائه من أصل يوناني، ومهندسه من أصل روسي، وملاك شركتي المقاولات اللتين اشتركتا في الإنشاءات من أصول إيطالية، وعمل فيه ولعب على أرضه المصريون، وتنافس فيه العديد من أبناء بلدان حوض المتوسط والقارة الإفريقية، بل والعالم أجمع.





إحدى بطولات العدو في إستاد الإسكندرية.



إحدى بطولات السباحة المقامة في إستاد الإسكندرية.







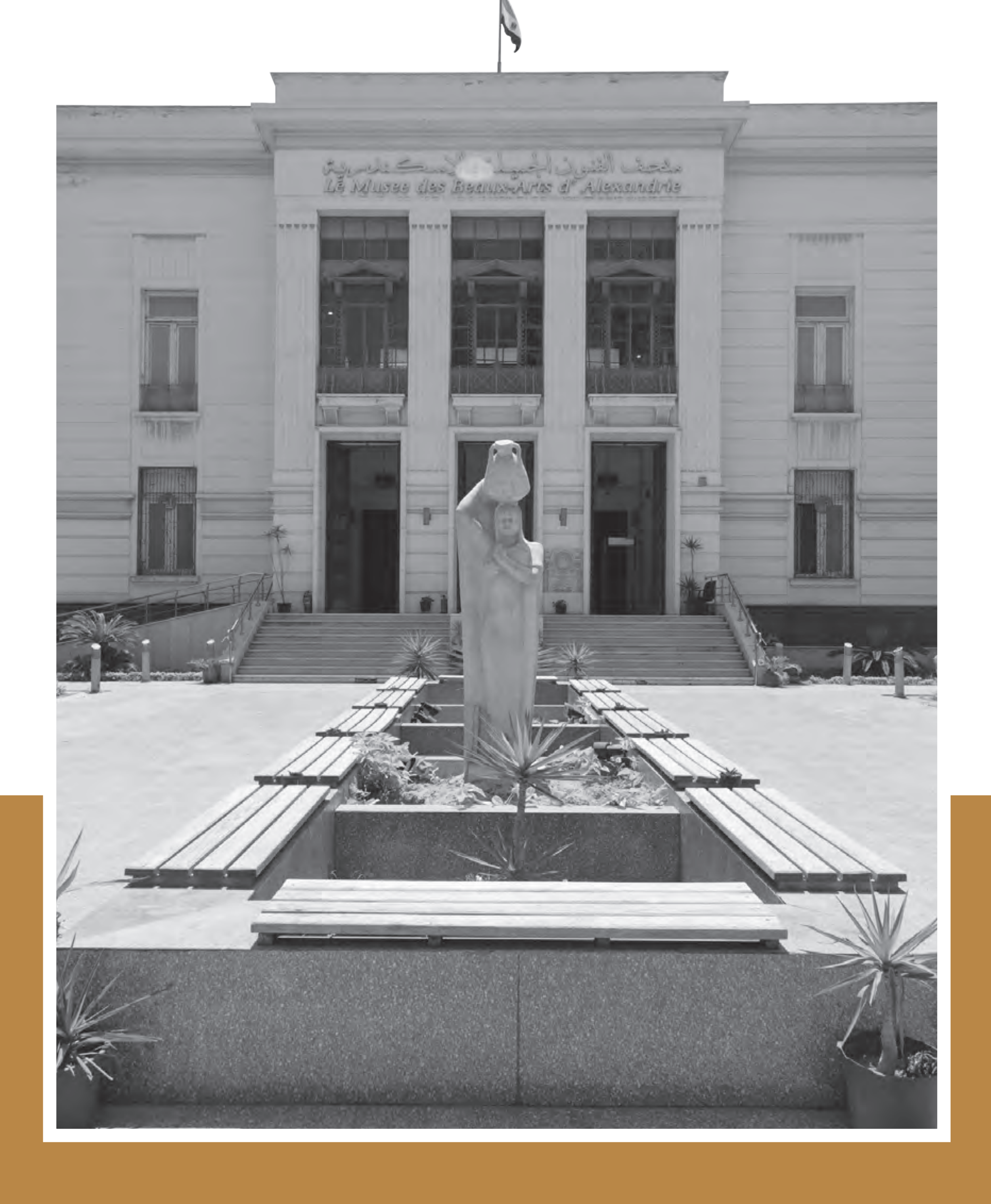
الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في إستاد الإسكندرية لحضور مجموعة من الفعاليات والأنشطة الرياضية المقامة به.



متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية

الشاهد الأهم على تاريخ الفن التشكيلي في مصر

إعداد: علي سعيد حجازي
مدير متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية
تصوير: حسن ماضي
المصور بوحدة التصوير الفوتوغرافي، إدارة الأستوديو، مكتبة الإسكندرية



يعتبر متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية واحدًا من أهم المتاحف الفنية في مصر والعالم العربي بل في إفريقيا والشرق الأوسط، ويكتسب أهميته هذه لكونه شاهدًا على فترة مهمة من فترات التحول السياسي في مصر، ولعدة أسباب أخرى نختصرها في بعض النقاط التالية؛ أولاً: لأنه أول متحف بُني خصيصًا لهذا الغرض في إفريقيا والشرق الأوسط، وثانيًا: لأنه متحف شامل يؤرخ لحركة تاريخ الفن الكلاسيكية العالمية في عصر النهضة الأوروبية بمراحلها المختلفة، وثالثًا: لأنه يحتوي على توثيق دقيق لحياة المصريين وطبائعهم في القرن الماضي من خلال بعض أعمال الفنانين المُستشرقين، ورابعًا: لأنه يُعتبر بانوراما متكاملة لتاريخ الفن التشكيلي المصري الحديث والمعاصر، فهو يجمع بين الأصالة والمعاصرة في آنٍ واحد. هذا من ناحية التاريخ والمقتنيات، أما من ناحية التواصل الاجتماعي وانصهاره داخل المجتمع السكندري، فقد استطاع المتحف الحصول على جائزة التواصل المجتمعي من اللجنة الوطنية للمجلس الدولي للمتاحف(ICOM) لعام ٢٠١٦م، من خلال المعارض والأنشطة والفعاليات المختلفة في الفترة الأخيرة، ونرصد بعض التفاصيل عن تاريخ وإنشاء المتحف ومصادر مقتنياته، والدور الحقيقي للمتحف في نشر الوعي الثقافي في مصر وبالأخص في مدينة الإسكندرية.

تاريخ الإنشاء

منذ ما يقرُب من مائة وأربعة عشر عامًا بدأت حكاية المتحف، ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت الإسكندرية مركزًا وقِبلة لكبار التجار الأجانب، وكان أغلبهم مولعًا باقتناء الأعمال الفنية لكبار الفنانين على مستوى العالم، وخاصة الفنانين الأجانب الذين عاشوا في مصر، وفي الإسكندرية تحديدًا. ومن بين هؤلاء التجار الألماني إدوارد فريد هايم الذي قام بعمل نبيل كان بمثابة اللّبنة الأساسية لإنشاء متحف الفنون الجميلة؛ ففي عام ١٩٠٤م، أهدى للمحافظة (بلدية الإسكندرية آنذاك) ثروته من الأعمال الفنية التي كانت تُقدّر بمائتي وعشرة أعمال فنية، بالإضافة إلى خمسمائة جنيه ذهبي، وقد اشترط على البلدية وقتها في حالة عدم إقامة المتحف بأن تعود هذه الثروة من الأعمال إلى موطنه الأصلي في ألمانيا، وتحديدًا إلى متحف مدينة دوسلدورف. وكي لا تضيع الثروة، وتنفيذًا لهذا الشرط؛ استأجرت البلدية شقة بشارع فؤاد لعرض الصور. ولكن بعد وفاة إدوارد فريد هايم، تم تخزين المعروضات وانتقلت من مكان لآخر، إلى أن استقر بها الحال في بدروم مستشفى الرمد.

وفي عام ١٩٢٦م، قام البارون شارل دي منشا؛ التاجر الإنجليزي الشهير، بإهداء قصره في حي محرم بك في الشارع المسمى باسم عائلته «شارع منشا» ليكون مكتبة ومتحفًا للصور. وتشكلت لجنة لبحث أمور المتحف وتصميمه وعرض الأعمال الموجودة بالفعل واقتناء أعمال أخرى، وضمت اللجنة أهم الفنانين التشكيليين والروّاد الأوائل للفن التشكيلي المصري، وهما الرائدان محمد ناجي ومحمود سعيد، بالإضافة للسيد شارل زهار؛ المسئول الكبير في البلدية والمثقف المعروف وقتها. وقد عقدت اللجنة حوالي عشر جلسات، كانت تبحث فيها قبول اقتناء الأعمال من الأثرياء، ومخاطبة متحف الفن الحديث بالقاهرة لاستعارة العديد من الأعمال الفنية لإثراء المتحف، إضافةً لمجموعة فريد هايم الموجودة بالفعل؛ حيث كان متحف الفن الحديث وقتها تابعًا لوزارة المعارف، وكان يشغل منصب وزير المعارف وقتها الأديب الكبير طه حسين الذي وافق على الفور على إعارة مجموعة قيّمة من أعمال المتحف إلى المتحف الناشئ (متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية).

تولّى إدارة المتحف في بادئ الأمر السيد شارل زهار؛ حيث كان حاصلاً على شهادة من متحف اللوفر بباريس في علم المتاحف، وتم تغيير اسم المتحف ليصبح «متحف فاروق الأول للفنون الجميلة»، وكانت هذه التسمية من الذكاء أن جعلت العديد من التجار ورجال الأعمال الأثرياء يهدون بعض ما يملكون من أعمال فنية لإدارة المتحف لكونه أصبح متحفًا ملكيًّا يحمل اسم ملك مصر، وهذا ضمان كافٍ لأن يتم تخليد الأعمال وتخليد أسماء المتبرعين أيضًا. ولكن في عام ١٩٤٠م وفي أحداث ضرب الإسكندرية في الحرب العالمية الثانية؛ أصيب المبنى بقذيفة مباشرة أحدثت أضرارًا بالغة. وفي عام ١٩٤٥م، وُضع تصميم لمبنى كبير يضم مكتبة البلدية ومتحفًا للصور، وقد تم الانتهاء من المبنى عام ١٩٤٩م والبدء في تجهيزه كمتحف، إلى أن تم استصدار قرار في عام ١٩٥٢م بتحويل المبنى لإدارة صحية، الأمر الذي انتفض من أجله كل مثقفي مصر إلى أن ألغي القرار، ولكن سرعان ما قامت ثورة ١٩٥٢م فتوقفت التجهيزات لفترة حتى تم تغيير اسم المتحف من «متحف فاروق الأول للفنون الجميلة» ليعود لتسميته الأولى «متحف الفنون الجميلة»، ليفتتح المتحف في ٢٦ يوليو عام ١٩٥٤م بحضور مجلس قيادة الثورة وهو الوقت الذي توافق مع العيد الثاني لثورة يوليو.

رأس فتاة؛ من أعمال أحمد عبد الوهاب.

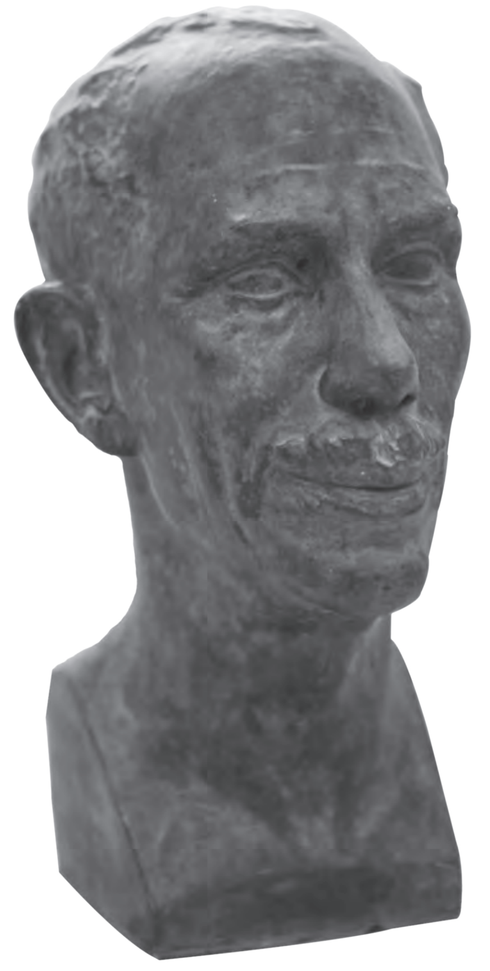
تَبنّى متحف الفنون الجميلة الحدث التشكيلي الأكبر في مصر – الذي يعد أهم الأحداث التشكيلية العالمية – وهو «بينالي الإسكندرية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط». ويرجع الفضل في فكرة إنشائه لمدير عام بلدية الإسكندرية وراعي الثقافة في الإسكندرية آنذاك حسين بك صبحي، وتم افتتاح الدورة الأولى منه عام ١٩٥٥م بحضور الرئيس جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة في حدث عالمي جلل في هذه الفترة؛ وذلك لاشتراك مجموعة من دول حوض البحر المتوسط فيه، وهي (إسبانيا، إيطاليا، فرنسا، اليونان، يوغوسلافيا، سوريا، لبنان). وقد ظل بينالي الإسكندرية يقام كل عامين كشاهد على حركة الفنون التشكيلية في مصر والعالم، واشترك فيه كبار الفنانين العالميين على مر السنين، وكانت آخر دوراته في عام ٢٠١٤م على أمل عودته مرة أخرى كأحد أهم الأحداث العالمية.







قاعات الدور الأرضي بمتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية.



الدكتور علي باشا إبراهيم رائد النهضة الطبية في مصر؛ من أعمال الفنان محمود مختار من الرخام، من مقتنيات متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية.



من مقتنيات متحف الفنون.





صورتان لقاعتين بالدور الأرضي بمتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية.



بعض اللوحات الموجودة بالدور الأرضي بمتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية.

المقتنيات

يحتوي متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية على مجموعة نادرة من الأعمال الفنية الهامة من مدارس وعصور مختلفة، نلقي الضوء على أهمها من خلال مصادر ورودها للمتحف؛ حيث اعتمد المتحف في ورود الأعمال الفنية على أربعة مصادر أساسية:

المصدر الأول: كانت النواة الأصلية للمتحف تلك الأعمال الفنية المهداة من الألماني إدوارد فريد هايم كما ذكرنا سابقًا. وفي بحثنا المتواصل عن معلومات أكثر تخص هذا الرجل صاحب الفضل الأكبر في إنشاء المتحف، لم نعرف شيئًا عنه سوى أنه كان يمتلك «جاليري» له شأن في هذه الفترة؛ لكونه كان يمتلك هذه المجموعة النادرة من الأعمال الفنية، والأعمال تنتمي للعديد من المدارس الأوروبية مثل الباروك والركوكو، بالإضافة لأعمال من المدرسة الرومانسية، حيث قُدّر عددها بمائتي وعشرة أعمال فنية.

المصدر الثاني: تمثل في وهب مجموعة من الأثرياء ومقتني الأعمال الفنية لبعض الأعمال التي يملكونها للمتحف بغرض تخليدها وتخليد أسمائهم أيضًا، وكانت معظمها لفنانين أجانب عاشوا في مصر وخاصة في الإسكندرية. وقد حدث هذا مع بداية الفكرة في إنشاء المتحف، وخاصةً بعد تحديد مقر للمتحف بإهداء البارون «منشا» قصره للبلدية، وازدادت الرغبة في التبرع بعد إطلاق اسم الملك فاروق على المتحف؛ لأنه وبطبيعة الحال كان سيتمتع برعاية ملكية خاصة لولا قيام ثورة يوليو في هذه الأثناء.

المصدر الثالث: تمثل في بعض الأعمال المستعارة من متحف الفن الحديث بالقاهرة؛ حيث قامت اللجنة المعنية بشئون متحف الفنون الجميلة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي بطلب من الأديب طه حسين؛ وزير المعارف، وهو إمداد المتحف بمجموعة من الأعمال الفنية لتساعد في إنشاء متحف بالإسكندرية، وهو الطلب الذي لبّاه طه حسين على الفور وتمت الإعارة، التي أصبحت بمثابة إهداء أو هبة بالتقادُم.

المصدر الرابع: تمثل في مجموعة أعمال المستشرقين التي وهبها محمد محمود خليل (١٨٧٧-١٩٥٣م) للمتحف، وكان محمد محمود خليل سياسيًّا مصريًّا، ووزيرًا للزراعة عام ١٩٣٧م، ورئيس مجلس الشيوخ عام ١٩٣٩م، وقد كان له دور مهم في الحياة الثقافية في مصر، كما كان راعيًا للحركة الفنية التشكيلية، ومُقتنيًا لأعمال فنية شهيرة، وقد أوصى بتحويل قصره بالقاهرة إلى متحف بعد وفاته، وهو ما تم بالفعل . كما أهدى متحف الفنون



جان بروجيل Jan Brueghel
زهور؛ زيت على قماش، ٩٠ × ٧٦٫٥ سم
(من مجموعة فريد هايم).



فاهان هوفيفيان Vahan Hovivian (١٨٩٩-١٩٨١م)
كنّاس؛ زيت على سيلوتكس، ٢٢ × ٣١٫٥ سم
(من مجموعة الأرمن، إهداء من الأجانب الذين عاشوا بمصر).



محمد ناجي Mohamed Naghi (١٨٨٨-١٩٥٦م)
لعب النبوت؛ زيت على قماش، ٨٠ × ١٠١ سم
(من مجموعة الفن المصري الحديث).



الجميلة هذه المجموعة لطبيعة المتحف الكلاسيكية؛ حيث كان يتميز متحفه بالقاهرة كذلك بعرض أعمال رواد المدرسة الانطباعية.

خدمات متحف الفنون الجميلة للجمهور

يُقدم متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية العديد من الخدمات الفنية والثقافية غير القابلة للربح، فنجد الجانب الإرشادي، وفيه يقوم أمناء المتحف بتقديم كافة المعلومات عن الأعمال الفنية المعروضة للزائرين بشكل يتناسب مع ثقافة كل متلقٍّ سواء كان متخصصًا أو غير متخصص، ولكافة الفئات العمرية.

كما نجد الجانب التعليمي، وفيه يقوم المتحف بتنظيم برامج تدريبية في مبادئ علم المتاحف والإدارة المتحفية للكليات الفنية في الجامعات المختلفة، كجامعة الإسكندرية وجامعة فاروس، وذلك في إطار منهج وضعته إدارة المتحف خصيصًا كمبادرة تطوعية منها، كما وضعت برنامجًا متخصصًا للتربية المتحفية للأطفال، يقوم بتدريسه المتخصصون من أمناء المتحف، بهدف تنمية روح الإبداع والتذوق الفني لدى الأطفال في الأعمار المختلفة، هذا بالإضافة إلى استقبال المتحف للعديد من الزيارات الأكاديمية لكليات الفنون المختلفة، التي تساعدهم في معرفة المقتنيات داخل المتحف وتاريخها، بالإضافة إلى تاريخ المتحف والمتاحف الأخرى في مصر والعالم.

أما في مجال الأنشطة المتخصصة، فيقدم المتحف كل جديد يتعلق بمجال الورش الفنية المتخصصة لطلبة الكليات الفنية والموهوبين بشكل عام، وأهالي منطقة محرم بك والإسكندرية بشكل خاص، وقد أتيحت هذه الورش لمختلف الفئات العمرية؛ بدءًا من الأطفال في عمر أربع سنوات مرورًا بالنشء والشباب والكبار. أما الندوات والمحاضرات فهي من أهم الأنشطة التي يقدمها متحف الفنون الجميلة، فيقوم المتحف بتنظيم محاضرات وندوات تثقيفية في العديد من مجالات الفنون، و يقوم بإلقائها والإشراف عليها أساتذة متخصصون في كل المجالات؛ من أساتذة كليات الفنون، والفنانين المستقلين من أصحاب التجارب الهامة والجادة في الفن التشكيلي والموسيقى والأدب والشعر. كما يقوم المتحف بتنظيم الفعاليات الفنية الكبرى، التي تتعدد الأنشطة الثقافية فيها بين الورش الفنية والندوات التثقيفية واللقاءات الجماهيرية والمعارض الفنية. ويقوم المتحف كذلك باختيار أهم الفنانين على الساحة التشكيلية لإقامة معارض لهم، وربطها بورش فنية وندوات مصاحبة للاستفادة القصوى من تجارب الفنانين. وتتم سياسة العرض على أربعة محاور:



محمد ناجي Mohamed Naghi (١٨٨٨–١٩٥٦م)
صيد السمان ١٩٣٣م؛ زيت على قماش، ٨١,٥ × ١١٦ سم



حسين بيكار (١٩١٣–٢٠٠٢م)
بيت من دهميت ١٩٦٢م؛ زيت على أبلاكاج ٤٣ × ٥٥,٥ سم



مارجريت نخلة (١٩٠٨–١٩٧٧م)
الذهب الأبيض؛ زيت على قماش، ٨٢ × ١١٩ سم



- عرض التجارب الكاملة لأهم الفنانين الراحلين، بحيث يكون الحدث مواكبًا لذكرى ميلاد أو وفاة الفنان؛ وذلك في إطار تعريف شباب الفنانين بالتجارب الهامة في تاريخ الفن المصري الحديث والمعاصر.
- التعرض لأهم الفنانين المعاصرين ممن تتميز تجاربهم بالغِنى الفني، شريطة أن يكونوا قد أضافوا للحركة الفنية الكثير في جميع مجالات الفن التشكيلي.
- إلقاء الضوء على شباب الفنانين من أصحاب التجارب الشابة الناشئة، وإعطائهم الحافز للاستمرار في تجاربهم الفنية باعتبارهم فناني المستقبل.
- إقامة معارض ومسابقات الأطفال الموهوبين، بالتعاون مع العديد من المراكز الرسمية والخاصة.



لوحة خيال الظل.



سيدتان من الجبس الملون، اسم العمل «النزهة» للفنان أحمد عثمان؛ أول عميد لكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية، ومن النحاتين الرواد.



من مقتنيات متحف الفنون.







بعض اللوحات الموجودة بقاعة المستشرقين، الدور الأول العلوي بمتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية.

إحدى قاعات الدور الأول العلوي بمتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية.



ذاكرة الخطوط العربية في مدينة كزموبولتانية

الدكتور محمد حسن إسماعيل

شهدت مدينة الإسكندرية افتتاح أول متحف للخط العربي داخل جمهورية مصر العربية، وهو أمر يجب أن نتوقف عنده قليلاً؛ لأنه ليس بالأمر السهل تأسيس «متحف» في هذه الظروف السياسية والاقتصادية الدقيقة التي تمر بها مصر والمنطقة بأكملها. لم يكن تأسيس متحف الخط العربي مصادفة؛ فمصر تمتلك رصيدًا هائلاً من القطع الخطية رائعة الجمال تشهد لمصر طوال تاريخها بالتفرد، سواء في الفترة الفاطمية أو الأيوبية أو المملوكية أو العثمانية، وانتهاء بمدرسة الخط العربي بالقاهرة التي تأسست في عهد الملك فؤاد في سبتمبر ١٩٢٢م.

وقد تم تأسيس المتحف داخل مُجمع فني مقام منذ عام ١٩٤٩م، يضم المجمع في الأصل متحفًا للفنون الجميلة، ومكتبة بلدية الإسكندرية، وتم تكليف المهندس فؤاد عبد المجيد بتصميمه، وافتتحه رسميًّا مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٤م، ومن ضمن تأسيس متحف الفنون الجميلة تم بناء مبنى إداري لموظفي المتحف ومكتبة البلدية. وهذا المبنى الإداري هو ما تم تحويله ليكون أول متحف للخط العربي بمصر في مشروع أُعلن عنه رسميًّا عام ٢٠٠٩م. وهو أمر ألقى بظلال غير جيدة على الشكل العام للمتحف؛ فضيق مساحة المبنى الإداري، وكونه غير مصمم في الأصل ليكون متحفًا؛ قد تسبب في صعوبة عمل عرض متحفي يليق بأول متحف للخط العربي في مصر، ويليق بمجموعة لوحات تمثل قمة الجمال الخطي وتميزه.

يتكون المبنى الإداري الذي تحول لمتحف من دورين؛ تم تخصيص الدور الأول منه لمجموعة الفنان السكندري محمد إبراهيم (١٩٠٩-١٩٧٠م)؛ مؤسس أول مدرسة أهلية لتعليم الخط العربي بمصر، والذي ربطته علاقات قوية مع أهم المهتمين والمقتنين للأعمال الفنية الخطية، أمثال الأمير محمد علي بن توفيق؛ ولي عهد مصر ومؤسس قصر المنيل، وكثير من كبار فناني الخط العربي في عصره. ومجموعة المتحف من لوحات محمد إبراهيم ومقتنياته كانت تمثل معرضًا فنيًّا أقامه سنة١٩٧٠م، قبل وفاته بشهور قليلة، وتوفي دون أن يسترجع لوحاته ومعروضاته من متحف الفنون الجميلة، وظلت في مخازن المتحف إلى أن تم عرضها رسميًّا سنة ٢٠٠٣م، في ترينالي الخط العربي، بجهود من الدكتور مصطفى عبد الوهاب؛ مدير متحف الفنون الجميلة حينئذٍ، وصاحب فكرة تأسيس متحف للخط العربي. وعمومًا، فمجموعة محمد إبراهيم تضم مجموعة قطع خطية مميزة ونادرة، إلى جانب لوحاته الشخصية المختلفة بأحجامها وأفكارها المتعددة كما سيأتي تفصيله.

والمجموعة الثانية المكونة لمتحف الخط العربي بالإسكندرية، هي مجموعة «خبيئة الغوري» التي اكتشفها مصادفة الفنان عز الدين نجيب داخل وكالة الغوري عام ١٩٩٣م، وقت أن كان مديرًا عامًّا لمراكز الحرف التقليدية، وكان مقر مكتبه بمبنى وكالة الغوري بقلب القاهرة. وعلى الرغم من الأهمية الفنية لهذه الخبيئة، وأنها جذبت انتباه المسئولين بجامعة الدول العربية، والذين علموا بها عبر مركز التوثيق العربي هناك – والكلام حسب رواية الفنان عز الدين نجيب – وقاموا بإعادة فحص الخبيئة وتقييمها كاملة وتصويرها بشكل محترف، وتم اعتبارها تراثًا عربيًّا نادرًا؛ فإنه لم يُنشر دليل علمي عن تلك المجموعة وأهميتها، يعرض بأسلوب عصري جماليات وتفرد هذه المجموعة الخطية. وقد عُرضت الخبيئة للمرة الأولى بمتحف الفن المصري الحديث بالأوبرا عام ١٩٩٦م، ثم عرضت مرة ثانية عام ٢٠٠٠م بمتحف الفن الحديث أيضًا، ثم عرضت عام ٢٠٠١م بمتحف الجزيرة.

وتعد مجموعة «خبيئة الغوري» كنزًا هامًّا، وواحدة من أندر لوحات الخط العربي، وترسم بجلاء كامل تاريخ «الخطاطة العربية» في مصر خلال منتصف القرن السادس عشر، وبالتحديد عام ١٥٥٨م – وهو تاريخ أقدم قطعها – خلال العصر العثماني حتى القرن العشرين. وتنوعت هذه المجموعة لتشمل أعمال أشهر وأبرع الخطاطين الأتراك والمصريين، وتمثل نماذج لأكثر من نوع خط، وتتنوع ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات من الشعر وحكم وأمثال، إلى جانب القطع الخطية عالية القيمة. وبغض النظر عن العدد الفعلي لخبيئة الغوري سواء كانت ثمانين لوحة أو ثلاثًا وثمانين لوحة، فهي في مجملها – مع مجموعة محمد إبراهيم – تعطي أساسًا قويًّا لدراسة «كاليجرافية» محترمة، وتؤسس لجيل من الفنانين والخطاطين وهواة الفن الذين ترى أعينهم ولأول مرة «أصولاً» بعيدًا عن كتب الأبيض والأسود، أصولاً خطية حقيقية لكبار الخطاطين أمثال محمد شوقي، وزهدي، وشفيق، بالإضافة إلى لوحات لخطاطين كبار كانوا يسمعون عنهم كأنهم أساطير.

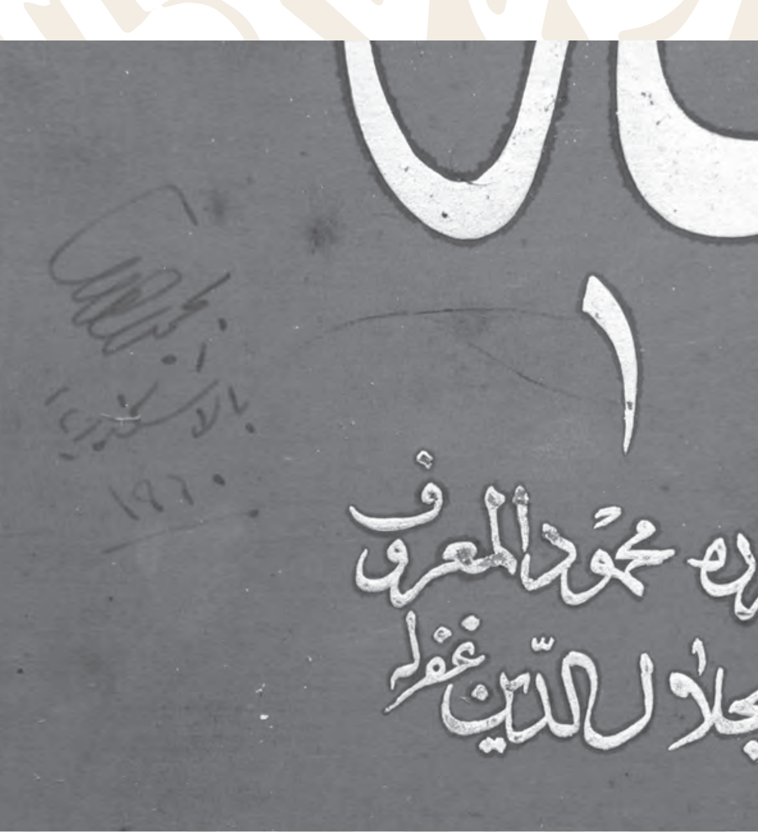


صورة عامة للمتحف من الداخل.

مجموعة الأصول بالمتحف

ضم المتحف مجموعة هامة من القطع الخطية واللوحات لكبار الخطاطين، أغلبها لخطوط الثلث والنسخ والقليل منها للنستعليق (الفارسي)، تمهد تلك المجموعة لدراسة جادة ومحترمة عن «علم الكاليجرافية العربية»، ويرجع ذلك إلى أن عدد القطع يفوق ثمانين قطعة، وهي مجموعة ممتازة وكاملة نسبيًّا خصوصًا إذا ما علمنا أن ما يضمه متحف الإسكندرية القومي ثلاث قطع خطية، وأربع قطع بمتحف الآثار بمكتبة الإسكندرية، وأن متحف الأمير محمد علي مغلق لأجل غير مسمى، ومتحف الفن الإسلامي مغلق بعد التفجير في يناير ٢٠١٤م. ويمكن التفريق بين القطع الخطية لمجموعة محمد إبراهيم وقطع خبيئة الغوري؛ حيث إن الأستاذ محمد إبراهيم كان يوثق ملكيته على القطع الخطية بثلاث طرق وهي: ختمه الخاص ونصه «مكتبة محمد إبراهيم للخط العربي بالإسكندرية ١٩٦٣»، والتوقيع بالقلم الحبر الأسود بصيغة «من مكتبة محمد إبراهيم بالإسكندرية»، والتوقيع «الفورمة» بالقلم الجاف الأخضر. أما باقي مجموعة خبيئة الغوري فهي بالكامل لا يوجد عليها أي مظاهر تملك لأشخاص أو هيئات، ولا يوجد بها غير تواقيع كتابها الخطاطين.



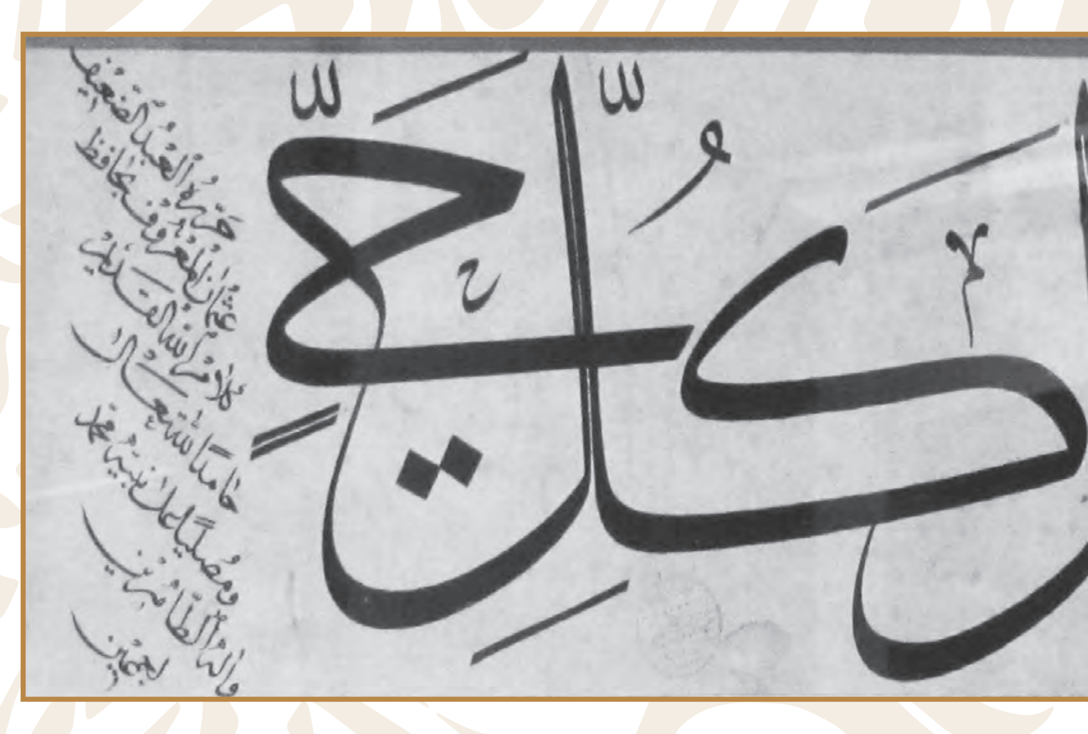


توقيع بالقلم الحبر «توقيع فورمة» باسم محمد إبراهيم لتوثيق الملكية.



لوحة للحاج مصطفى عزت.

وتعتبر قطع الحافظ عثمان، وقطعة وحيدة للشيخ حمد الله، هي الأقدم والأكثر نفاسة في مجموعتي محمد إبراهيم والخبيئة، وتعددت قطع السيد عبد الله الزهدي الخطية سواءً أكانت تعليمية أو فنية، لكن اللافت للنظر في قطع عبد الله الزهدي هو الكم الهائل في الزخارف وتنوعها الفني. وكان للخطاط درويش علي نصيب وافر من القطع الخطية؛ حيث بلغت مجموعته خمس قطع تنوعت من حيث النصوص، وأنواع الخطوط، وسنوات الإنجاز. لكن للأسف لم يتم وضع الأعمال بالشكل الذي يسمح بتتبع مجموعة لوحات الفنان الواحد، وقد يرجع ذلك لتنوع صيغ تواقيع الخطاطين بالمجموعة. لكن يبقى أن أجمل مقتنيات المتحف إجازة الخطاط المصري سليمان أفندي سري من الحاج مصطفى عزت، ومن عبد الله الزهدي، والغريب أن الفرق بين الإجازتين في نفس اللوحة سبع سنوات؛ فتوقيع عبد الله الزهدي مؤرخ بعام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، وتوقيع مصطفى عزت بختمه ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م.



لوحة من عمل الخطاط الحافظ عثمان.



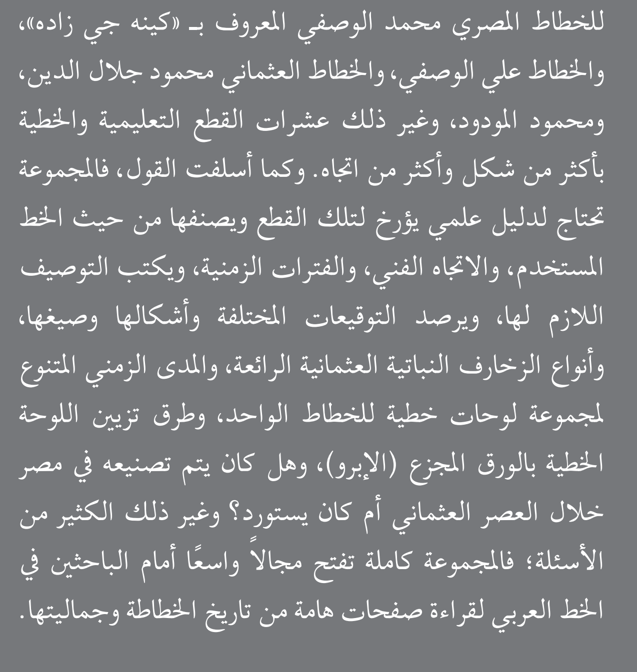
لوحة من عمل الخطاط عبد الله الزهدي.



لوحة من عمل الخطاط عبد الله الزهدي.



لوحة من عمل الخطاط الشيخ حمد الله، وتعد من أقدم المعروضات وأنفسها من مجموعة محمد إبراهيم.



هذا بالإضافة إلى مجموعة من مرقعات وقطع الخطاط المصري محمد مؤنس زاده؛ مؤسس المدرسة المصرية الحديثة، ومجموعة للخطاط المصري محمد الوصفي المعروف بـ «كينه جي زاده»، والخطاط علي الوصفي، والخطاط العثماني محمود جلال الدين، ومحمود المودود، وغير ذلك عشرات القطع التعليمية والخطية بأكثر من شكل وأكثر من اتجاه. وكما أسلفت القول، فالمجموعة تحتاج لدليل علمي يؤرخ لتلك القطع ويصنفها من حيث الخط المستخدم، والاتجاه الفني، والفترات الزمنية، ويكتب التوصيف اللازم لها، ويرصد التوقيعات المختلفة وأشكالها وصيغها، وأنواع الزخارف النباتية العثمانية الرائعة، والمدى الزمني المتنوع لمجموعة لوحات خطية للخطاط الواحد، وطرق تزيين اللوحة الخطية بالورق المجزع (الإبرو)، وهل كان يتم تصنيعه في مصر خلال العصر العثماني أم كان يستورد؟ وغير ذلك الكثير من الأسئلة؛ فالمجموعة كاملة تفتح مجالاً واسعًا أمام الباحثين في الخط العربي لقراءة صفحات هامة من تاريخ الخطاطة وجمالياتها.



لوحة من عمل الخطاط محمود جلال الدين.



لوحة من عمل الخطاط المصري محمد الوصفي المعروف بـ «كينه جي زادة».



لوحة من عمل الخطاط محمد مؤنس زادة.



لوحة من عمل الخطاط محمود جلال الدين.



مجموعة تاريخ الكتابة العربية

يضم المتحف ضمن مجموعة الفنان محمد إبراهيم، واحدًا من أهم مؤلفاته التي للأسف لم تُنشر، وهي مسودات كتابه القيم «تاريخ الكتابة العربية»، وعُرض في المتحف حوالي تسع لوحات من ذلك الكتاب: اللوحة الأولى:

لوحة «الكتابة العربية في صدر الإسلام، المؤرخة بعام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م»، وضمت اللوحة نص الآيتين الكريمتين (٢٩، ٣٠) من سورة لقمان: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾، وكتبت اللوحة بالخط الكوفي المصحفي مجردة من النقط والشكل على عشرة أسطر.

واللوحة الثانية: «نموذج من الخط الكوفي المملوكي، المؤرخة بعام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م»، كتبت فيها «البسملة» بضفائر ونهايات نباتية. ثم اللوحة الثالثة: «الخط القيرواني، المؤرخة بعام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م»، وبها نص الآية الكريمة (١٠٩) من سورة التوبة: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾، وكتبت الآية الكريمة على نمط الخط

اللوحة الأولى: لوحة الكتابة العربية في صدر الإسلام.

القيرواني الصنهاجي، الذي كان مستعملاً في بلاد المغرب في القرن الرابع الهجري، على خمسة أسطر، وتخرج من الكلمات زخارف نباتية وخالية من علامات التشكيل والنقط.

واللوحة الرابعة: «تعديلات أبو الأسود الدؤلي، المؤرخة بعام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م»، وضمت الآية الكريمة (٨٨) من سورة النمل: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾، ويشرح الأستاذ محمد إبراهيم بالخط الرقعة تحت اللوحة «في النصف الأخير من القرن الأول الهجري قام العلامة أبو الأسود الدؤلي بإدخال أول إصلاح على الكتابة العربية لشيوع الأخطاء اللغوية بين الناشئة، فوضع نقطة حمراء فوق الحرف علامة الفتحة، وتحت الحرف علامة الكسرة،



اللوحة الثانية: البسملة بالخط الكوفي.



اللوحة الثالثة: من لوحات «تاريخ الكتابة العربية».

وعلى يسار الحرف علامة الضمة، ونقطتين معًا بالطريقة نفسها علامة التنوين رفعًا ونصبًا وجرًّا».

واللوحة الخامسة: «تعديلات الخليل بن أحمد، المؤرخة بعام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م»، وضمت الآيات الكريمة من (٢٦) حتى (٢٨) من سورة الأنفال: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾، وكتبت بخط كوفي به علامات الشكل، ونقط الإعجام، وكتبت اللوحة على



اللوحة الرابعة: من لوحات «تاريخ الكتابة العربية».

اثني عشر سطرًا، ثم كتب أسفل النص الشريف معلقًا بالخط الرقعة: «ظهر في الدولة العباسية أوسع الناس علمًا بالعربية، هو الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٠هـ؛ حيث قام بآخر إصلاح أدخل على الكتابة العربية، بوضع ثماني علامات للشكل، وجعلها مع الكتابة بلون واحد كما هو معروف في عصرنا هذا».

واللوحة السادسة: «الخط النيسابوري، المؤرخة بعام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م»، وضمت الآيتين الكريمتين (١٩، ٢٠) من سورة النحل: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) ﴾، والخط النيسابوري بقوائم منحنية في حرف «الألف» الابتدائي والنهائي، ونهايات قوائمها مفلطحة ومميزة الشكل، وكتبت الآية الكريمة على أربعة أسطر. وتلك اللوحة كانت الأساس الذي رسمت من خلاله حروف الخط النيسابوري، وكانت أساسًا للخط المبرمج على الحاسب.

واللوحة السابعة: «الخط الكوفي البديع، المؤرخة بسنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م»، وضمت اللوحة الآية (١٢) من سورة الأنفال: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ﴾، والخط الكوفي البديع هو عبارة عن خط «مزوي» في الحروف الهابطة منه، والحروف



اللوحة السادسة: من لوحات «تاريخ الكتابة العربية».

الصواعد فيه سميكة، وأضاف الأستاذ محمد إبراهيم أنه كان مستعملاً منذ ألف عام.

واللوحة الثامنة: «رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس، المؤرخة بعام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م»، وفيها يحلل الأستاذ محمد إبراهيم الرسالة المنسوبة إلى النبي، ويسرد قصة العثور عليها، ثم يضع الأدلة النظرية والعملية على تزوير هذه الرسالة، وكتب هذا التحقيق بالخط الرقعة المجودة. ثم كانت اللوحة التاسعة والأخيرة بعنوان «كتاب النبي ﷺ، المؤرخة بعام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م»، وفيها بيان بأسماء الأربعين صحابيًّا رضي الله عنهم أجمعين، الذين تولوا

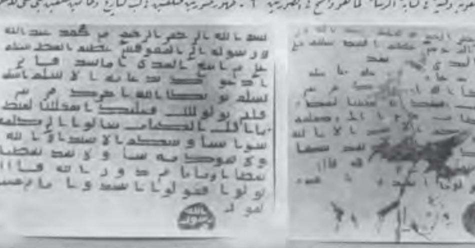
كتابة الوحي أو كانوا كتابًا للنبي ﷺ، وكتب عنوان اللوحة بالخط الثلث، ثم بالنسخ، وأسماء الصحابة بالخط الفارسي.

مجموعة كتاب «تاريخ الكتابة العربية» تتكون من حوالي أربعين لوحة فنية كتب معظمها الأستاذ محمد إبراهيم طوال سنوات طويلة، وهي مرجع تاريخي هام كتبه خطاط مثقف ومطلع، خصوصًا أن نشأة الكتابة قضية تعامل معها المؤرخون والأثريون واللغويون، لكن من الصعب أن تجد قراءة جمالية «كاليجرافية» قام بها خطاط محترف لنشأة الكتابة، وتتعامل مع الموضوع بتفتح ورصد أكاديمي سواءً أكانت الكتابة على العمارة أو التحف المختلفة، وهو أمر يحسب للأستاذ محمد إبراهيم، لكن للأسف لم يتم عرض تلك اللوحات كاملة؛ فجزء كبير منها ما زالت بالمخازن، وهو يضم الخطوط المغربية وبعض الخطوط الكوفية النادرة، ومجموعة أخرى لدى أسرة الفنان محمد إبراهيم نفسه، وأعتقد أن أبسط تكريم يوجه لهذا الرجل أن يتم جمع هذه اللوحات التي ضمها الكتاب لتكون ألبومًا تاريخيًّا وخطيًّا، يرصد مسيرة هذا الفن لغويًّا وفنيًّا.

اللوحات الأصلية ولوحات المحاكاة للفنان محمد إبراهيم

يضم المتحف مجموعة مميزة من لوحات «محاكاة» قام بها الفنان محمد إبراهيم لكبار الخطاطين، وهي تعكس درجة عالية في تفرده وقوة يده، نفذ أغلبها محمد إبراهيم بالألوان الجواش على أوراق ملونة، وحرص على أن يكتب توقيعه مؤرخًا، في جزء ظاهر من اللوحة وبسمك صغير للغاية. وقد ضمت مجموعة المحاكاة لوحات لأشهر خطاطي المدرسة العثمانية أمثال: مصطفى عزت، أحمد عارف الفلبوي، محمد شفيق، عبد الله زهدي، سامي. وبجانب مجموعة لوحات المحاكاة، تقف أعمال محمد إبراهيم متنوعة الحجم، وطرق التنفيذ، والرؤية الفنية؛ دليلاً فنيًّا قاطعًا على قوته. وعلى الرغم من أن محمد إبراهيم قد ترك كتابًا واحدًا هو «المجموعة الفاروقية»، فقد كانت له رؤية واضحة يسير عليها، يُستدل على ذلك من خلال الأعمال الفنية لمحمد إبراهيم التي تظهر وللوهلة الأولى أنها متباينة، ولكننا نتلمس ظاهرة فنية محددة

رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
إلى المقوقس عظيم القبط في مصر



اللوحة الثامنة: رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس.



من أعمال الخطاط مصطفى عزت.



لوحة «وما توفيقي الإ بالله» للخطاط مصطفى عزت.



هي مُجمل رؤية محمد إبراهيم الفنية، مؤداها، أولاً: الجانب الإحيائي عند محمد إبراهيم، ويظهر في تجربته التاريخية والفنية لكتاباته الكوفية، ثانيًا: البعدان التاريخي والقومي من خلال الأعمال الفنية والفكرية، ثالثًا: الرؤية الفنية وكسر الثابت فنيًّا.

المتحف وتأسيسه خطوة في مجملها جيدة وهامة للفنانين والباحثين وهواة الفنون الجميلة في مصر، لعله يكون البداية للاهتمام الرسمي المنظم بهذا الفن، على الرغم من أنه لم يكن اختيار المكان ليكون متحفًا، ناجحًا بنسبة كبيرة، مقارنة باختيار متحف الخط العربي بسوريا، والموجود بالمدرسة الجقمقية، أو متحف الخط العربي بالشارقة، والموجود بقلب المدينة التراثية، والذي يضم قاعات مختلفة احتوت على مفاتيح اللغة العربية القديمة واللغات السامية من آرامية ونبطية وكنعانية وغيرها. وقد اختير مكان مدرسة محمد إبراهيم القديمة ليكون في قلب الإسكندرية بميدان عرابي، ذلك الميدان الذي كان يعج بالأجانب، والذين كانوا يهيمنون على جميع مرافق الحياة الاقتصادية من مال وتجارة وصناعة، وكانت الإعلانات، والكتابات، واللافتات، والمراسلات، كلها باللغات الأجنبية، ولذلك فقد قرر محمد إبراهيم أن يقوم بدوره الوطني، وذلك بكتابة الخط العربي وإثرائه، حتى يأخذ الخط العربي مكانه الطبيعي، ويحل محل الكتابات الأجنبية الدخيلة. هذه المدرسة «المكان» سر هام لفهم شخصية الفنان محمد إبراهيم ومعرفة مدى إيمانه بهذا الفن.

ولو افترضنا أن المتحف تم تأسيسه ليكون متحفًا إقليميًّا للخط العربي بالإسكندرية، فأين أعمال ولوحات بقية الخطاطين السكندريين أمثال محمد كاظم أصفهاني؛ الخطاط الخبير بالمحاكم، والفنان محمد عبده؛ الأستاذ الأول لمحمد إبراهيم وهو أستاذه في صنعة الإعلان، وعبد السلام الفخفاخ؛ أستاذ الكتابة بالذهب؟ إلى جانب أن الإسكندرية اشتهرت بطرق تنفيذ مختلفة؛ أهمها الكتابة على الزجاج بالذهب، والتي انتشرت كأعمال فنية في الشوارع على هيئة لوحات إعلانية، والكتابة على المعدن بالمينا والتي كتبت بها جميع شوارع الإسكندرية، فأين هذا التراث من أول متحف للخط العربي في الإسكندرية؟

إلى جانب أن تنسيق اللوحات على جدران المتحف بها خلط بين الفنانين والعصور المختلفة، كما أن هناك بعض أعمال للحرفيين، وهي أعمال معاصرة لا يجب وضعها في متحف، فالمتحف من المفترض أن يضم اللوحات الكلاسيكية والتراث الأثري، وأن بعض الأعمال التي قامت اللجنة بتصنيفها على أنها درجة ثالثة، تم وضعها في أماكن مميزة وتصدرت المشهد، على الرغم من أن قيمتها التراثية والمادية منخفضة، وبعض الأعمال والتي صنفناها من الدرجة الأولى، مثل «فرمان عثماني بتولي الخديوي عباس حكم مصر»، غير معروضة أصلاً بالرغم من أهميتها الفنية والتاريخية.

يبقى أن المتحف يمثل خطوة متفائلة في وطن منهك بعد أزمات عدة مرت عليه في السنوات الأخيرة، راجيًا من الله ألا يكون هذا هو المتحف الأول في مصر، وألا يكون الخط العربي هو الفن الأخير في دوائر اهتمام الدولة.

لوحة تمثل الاتجاهات الحديثة في مدرسة الخط العربي.





متحف الخط العربي من الداخل.

الإسكندرية تستعيد تراثها الغارق

بقايا قصري مارك أنطونيو وكيلوباترا أبرز الآثار الغارقة

الدكتور خالد عزب

تصوير: كريستوف جريك،
محمد منير، محمد علي

تستعد الإسكندرية لتكون أكبر مركز دولي لسياحة الغوص لمشاهدة الآثار في العالم، جاء هذا في أعقاب الاكتشافات الأثرية المذهلة على طول شواطئ المدينة، بدءًا من أبي قير شرقًا إلى العجمي غربًا وذلك بطول خمسين كيلو مترًا على شاطئ البحر المتوسط. كانت الإسكندرية أعظم مدن العالم في الحقبة الإغريقية الرومانية، وأثار تدهورها بدءًا من القرن السادس الميلادي تساؤلات عديدة لم يتم الإجابة عنها إلا مؤخرًا من خلال الاكتشافات الأثرية في قاع بحرها. ولكن الاهتمام بالآثار الغارقة في المدينة بدأ بالبحث عن أسطول نابليون الغارق في خليج أبي قير، والذي غرق في أثناء المعركة الحربية التي نشبت بين الأسطول الفرنسي الذي رسا بقيادة نابليون بونابرت على شاطئ أبي قير سنة ١٧٩٨م، والأسطول الإنجليزي الذي رسا بقيادة نيلسون في المكان نفسه، وانتهت هذه المعركة بهزيمة أسطول نابليون وغرقه.



تمثال ملكة بطلمية، عثر عليه عام ٢٠٠٠م (من الجرانيت الأسود، ارتفاعه ١٥٠ سم وعرضه ٥٥ سم). متحف الآثار؛ مكتبة الإسكندرية.

وقد اشترك المجلس الأعلى المصري للآثار والمعهد الفرنسي للآثار البحرية في مشروع مسحي لأسطول نابليون في خليج أبي قير، استمر من عام ١٩٨٣م إلى عام ١٩٨٧م. وقامت بهذا المسح المدمرة الفرنسية «فان لونج»، ونتج عنه وضع خريطة كونترية للآثار الغارقة في الخليج. ثم اشترك فريق غطس مصري فرنسي في تحديد السفن الغارقة وعددها أربع سفن، وهي: أورينت وجارير وأرتيمس وسوريوز.

وقد تم تحديد عدد القطع الغارقة بدقة، وجرى انتشال بعضها، ومنها مدافع يتراوح وزنها بين طن وثلاثة أطنان، ومتعلقات جنود وبنادق ومسدسات ونياشين. وأقيم معمل ترميم خاص لهذه القطع في الإسكندرية؛ حيث من المقرر أن توضع عقب انتشالها في حوض ماء مكهرب لمدة تتراوح من ثلاثة إلى ستة أشهر على أن يتم ترميمها بعد ذلك، وبعضها معروض في معرض مؤقت في قلعة قايتباي. وخلال العمل، تم الكشف عن السفينة باتريوت، وهي سفينة تجسس أرسلتها فرنسا للبحث عن أنسب موقع لإنزال القوات الفرنسية، غير أنها اصطدمت ببعض الصخور وغرقت. وكان لهذا الحادث أثره السيئ؛ إذ أدى إلى تخبط أسطول نابليون عند وصوله إلى شواطئ مصر. وعلى ظهر السفينة باتريوت، كتب أحد الجنود رسالة إلى خطيبته في فرنسا، ووضعها في زجاجة ثم ألقاها في البحر، وقد حدد فيها موقع السفينة بالضبط، ووصلت هذه الرسالة أخيرًا إلى فرنسا. وعندما بدأ فريق الغطس المصري الفرنسي في البحث عن السفينة بناءً على ما جاء في خطاب الجندي الفرنسي، فقد عثروا عليها في أول يوم من البحث، وتم الكشف فيها عن ستة مدافع وبوصلة المقدمة وآلاف القطع. ويدرس حاليًّا معهد الآثار الغارقة بالاشتراك مع المجلس الأعلى المصري للآثار انتشال الأسطول الغارق.

وانتقلت أعمال الكشف عن الآثار الغارقة إلى شواطئ الإسكندرية في التسعينيات، وأدت أعمال الكشف إلى نتائج مذهلة، كشفت عن وجود الإسكندرية البطلمية والرومانية أسفل شاطئ المدينة. ويرى علماء الآثار أن هذه المدينة قد ابتلعها البحر في نهاية القرن الرابع الميلادي، غير أننا نستطيع أن نتوقف أمام حدث آخر ساعد على اختفاء المدينة، وهو وقوع زلزال عنيف في أوائل القرن السابع الميلادي أدى إلى غرق أجزاء كبيرة من المدينة في البحر المتوسط.

وكانت أول إشارة إلى وجود آثار للإسكندرية القديمة في خريطة «تابير» التي رسمها لميناء الإسكندرية سنة ١٨٤١م، وهي تشير إلى مكانين قرب قلعة قايتباي، وقد كتب عليها «آثار تحت الماء». وبعد قرن وربع من تاريخ هذه الخريطة أمكن انتشال تمثال إيزيس من أحد الموقعين. ومنذ عام ١٩٩٢م، يقوم المعهد الأوروبي للآثار الغارقة بالاشتراك مع إدارة الآثار الغارقة في المجلس الأعلى المصري للآثار، بأعمال مسح طبوغرافي وحفائر أثرية على طول شواطئ الإسكندرية للكشف عن المدينة الغارقة، واستطاع الفريقان رسم خريطة للجزء الشرقي من ميناء الإسكندرية، تتفق في أدق تفاصيلها مع شاهد عيان زار الإسكندرية سنة خمس وعشرين قبل الميلاد، وهو الجغرافي الإغريقي إسترابون.

وكان من ضمن ما رصده الغواصون، مئات القطع من التماثيل والمنحوتات الرائعة والنقوش المهمة التي تعود إلى فترات تمتد من العصور الفرعونية حتى العصر الروماني. وقد أجرى الفريقان أول مسح إلكتروني سنة ١٩٩٢م بمساعدة مجموعة «إلف»، ومكنت الحساسية الشديدة التي تميزت بها المسابير المغناطيسية الثلاثة، التي استخدمت إلى جانب القياس المستمر لدرجات انحدار الشاطئ؛ الفريقين من تحديد أماكن القطع الأثرية المطمورة، وذلك بفضل الفروق بين هذه القطع والرواسب.

وبات من الضروري بعد ذلك رؤية قاع البحر رؤية العين، لتحديد مواقع القطع الأثرية بدقة، وبدأت الأفكار تتوالى كما يذكر إبراهيم درويش؛ مدير عام الآثار الغارقة في المجلس الأعلى المصري للآثار، مما أدى إلى ابتكار نظام لتحديد المواقع تحت الماء،



آنية كانوبية من الرخام ترجع إلى العصر اليوناني الروماني.



وذلك لصعوبة الرؤية بسبب التلوث. واتسمت ذاكرة هذا النظام بقدرتها على استيعاب خمسمائة معلومة خاصة ببيانات المواقع في كل مهمة غطس. وكان لهذا الأسلوب دور فعال في تحديد طبوغرافيا الآثار الغارقة تحت سطح الماء. واتخذ قرار بعدم رفع الآثار من تحت الماء، مع إمكانية عمل قوالب للقطع الصغيرة. وكان القالب يصنع من السيليكون المرن، ويقوم اثنان من الغواصين بالنزول إلى قاع البحر لعمل القالب، وذلك بتنظيف القطعة الأثرية، وفرد قماش عليها، يليه وضع لوح من الرصاص فوق القماش، ليكون محددًا لمعالم القطعة، وبعد ذلك تصب المادة المرنة، التي تتحول إلى الحالة الصلبة حينئذ. وهذه العملية تحتاج إلى ست عشرة ساعة في الماء في درجة حرارة اثنتين وخمسين درجة مئوية، وبعد ذلك تصور القوالب على شرائح ضوئية.

وساعدت هذه العملية الأثريين كثيرًا في قراءة النقوش اليونانية والهيروغليفية. وبفضل هذه القوالب، تمكن الأثريون من الوصول إلى المنطقة المغمورة والأبنية القديمة المفقودة التي كانت تغطيها طبقة من الرمل الأبيض والتكلسات. بينما احتفظت المنطقة الداخلية من الموانئ القديمة بطميها الأصلي، مع وجود أعداد كبيرة متناثرة من الجرار (الأمفورا) التي كان منها السليم والمحطم. وربما يرجع ذلك إلى اختلاف المستويات بين الأرض المغمورة وقاع البحر في الموانئ القديمة والتيارات داخل الميناء. ولذلك اتبع فريق الغطس طريقة تقوم على ملاحظة القطع الغارقة والأسطح المغمورة بالنظر. ثم تتبع هذه القطع مجتمعة، وهو ما أدى إلى اكتشاف قطاعات كانت تغطيها الرمال والطمي لم تلاحظ في أعمال المسح الأولى.

وفي موسم ١٩٩٦م، عمل فريق يتكون من اثني عشر أثريًا أوروبيًا وثمانية أثريين مصريين، تعاونهم السفينة

رأس لحاكم بطلمي، عثر عليه في الميناء الشرقي (من الجرانيت، ارتفاعه ٨٠ سم وعرضه ٦٠سم). متحف الآثار؛ مكتبة الإسكندرية.



رأس فرعون مصري.



رأس فرعون مصري من الأسرة الثلاثين. متحف الآثار؛ مكتبة الإسكندرية.



رأس سيرابيس، عثر عليه في أبي قير في حفائر عام ١٩٩٩م (من الرخام، ارتفاعه ٤٩ سم وعرضه٣٤ سم)، ويرجع إلى العصر اليوناني الروماني.



أوشيانكس كقاعدة للغطس، إلى جانب سفينتين صغيرتين إضافيتين؛ على تنفيذ أعمال مسح وتسجيل المناطق والأساسات الخاصة بالميناء القديم. واستمر العمل في خلال موسم ١٩٩٧م، حيث تم تحديد مواقع العديد من الآثار، شملت أعمدة وكتلاً حجرية وأعتاب أبواب وتيجان أعمدة وأجزاء من تماثيل على جزيرة غارقة تم اكتشافها في سنة ١٩٩٦م، وأدى كل هذا إلى رسم الصورة العامة لشكل طبوغرافية الحي الملكي المغمور، وبانوراما الميناء البطلمي الكبير.

وجاء اكتشاف تمثالين لأبي الهول أحدهما من الجرانيت الرمادي والآخر من الديوريت، مفاجأة للغواصين. ورغم وجود أجزاء مكسورة في التمثالين، فإن حالة وجهيهما لا تدل على كسر متعمَّد فيهما، وهو ما يوحي بأنهما لم يحطَّما عمدًا. وحددت ثلاثة قصور ملكية بطلمية في منطقة السلسلة، وتم تحديد جزيرة البوسيدوم التي كانت تحوي معبد بوسيدون، حيث كان يوجد في تلك المنطقة رصيف بحري أنشأه مارك أنطونيو الذي شيَّد في نهاية لسان هذا الرصيف قصرَه الذي اعتزل فيه بعد هزيمته عام ثلاثين قبل الميلاد أمام أوكتافيوس. كما تم العثور على جزيرة إنترودس، وهي جزيرة لها ميناء صناعي وعليها قصر كيلوباترا الملكي. كما عثر على سفينة قديمة بطول خمسة وثلاثين مترًا وعرض ثمانية أمتار، تم تحديد تاريخها عن طريق التحليل بـ «الكربون ١٤» بالقرن الأول قبل الميلاد أو بالقرن الأول الميلادي. كما عثر على حلى ذهبية، وهي عبارة عن خاتمين من الذهب يرجعان إلى القرن الأول الميلادي.

وإزاء هذه النتائج الباهرة، قررت اليونيسكو تبني مشروع لإقامة أكبر متحف للآثار الغارقة في العالم في الإسكندرية، حيث يجري حاليًّا استكمال أعمال الكشف عن الإسكندرية الغارقة، وترميم الآثار المكتشفة في موقعها الأصلي، ليستطيع الزائرون رؤيتها إما بالغوص تحت الماء أو من خلال أنبوب زجاجي يمرون فيه ليشاهدوا المدينة ومعالمها، أو بغواصات تسمح لراكبيها رؤية تلك الآثار. وفي هذا الإطار، تم انتشال مائة وخمسين قطعة خرسانية من أمام شاطئ قلعة قايتباي، وهي القطع التي وضعت في أواخر الثمانينيات لحماية ساحل القلعة من ارتفاع موج البحر، ويهدف انتشالها إلى الكشف عن القطع الأثرية الغارقة أمام وحول القلعة. ويأمل الأثريون في الكشف عن أجزاء من فنار الإسكندرية الشهير الذي شُيدت القلعة في موقعه ويعد إحدى عجائب الدنيا السبع.

وقد امتدت أعمال الكشف أيضًا إلى شاطئ ضاحية أبي قير منذ عام ١٩٩٩م إلى الآن، وأدت جهود الغواصين إلى الكشف عن مدينة مينوتيس التي كان الأمير عمر طوسون أول من اكتشفها عام ١٩٣٤م، وقامت البعثة المصرية بالاشتراك مع بعثة المعهد الأوروبي للآثار الغارقة بعمل أول مسح أثري شامل لها، ويبعد موقع المدينة عن شاطئ أبي قير بحوالي كيلوي متر. وبعد عامين من العمل، تم إزالة طبقة من الرمال عن مساحة مقدارها ٥٠٠ م × ٧٠٠ م تمتد من الشرق إلى الغرب، وتضم مئات من الأعمدة والكتل الحجرية مختلفة الأشكال والأحجام وتماثيل لأبي الهول ورءوس ملكية وتماثيل لإيزيس وسيرابيس. ويذكر إبراهيم درويش أنه تم العثور في هذا الموقع على بعض الكتل الحجرية التي تحمل نقوشًا هيروغليفية، يرجع بعضها للأسرة السادسة والعشرين وبعضها للأسرة الثلاثين الفرعونيتين، وأهم ما في هذه الكتل أجزاء من هيكل يوضح الأبراج والفلك في مصر القديمة، فضلاً عن العثور على عملات بيزنطية وإسلامية تعود للعصر الأموي. وعلى بعد أربعة كيلو مترات من موقع هذه المدينة، عثر على مدينة هيراكليوم التي تضم العديد من المباني الضخمة، والتماثيل التي تقدم الملوك في شكلهم الفرعوني، ويصل حجمها إلى أربعة أمتار، فضلاً عن مجموعة نادرة من تماثيل أبي الهول. وكانت هذه المدينة تشتهر بمعبد هرقل.







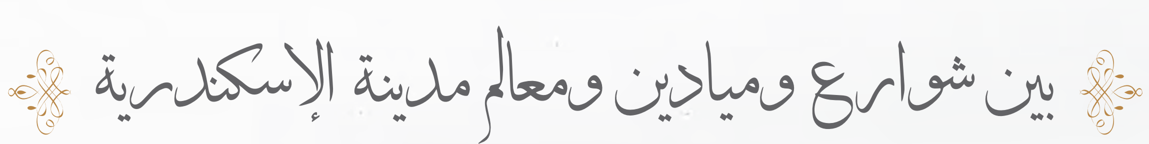


مجموعة من العملات التي تم العثور عليها.



جولة مصورة





بين شوارع وميادين ومعالم مدينة الإسكندرية

إعداد:

سوزان عابد

الدكتور إسلام عاصم

عبد الوهاب شاكر


MAISON
ZENITH
SALAMANDER

ميدان القناصل

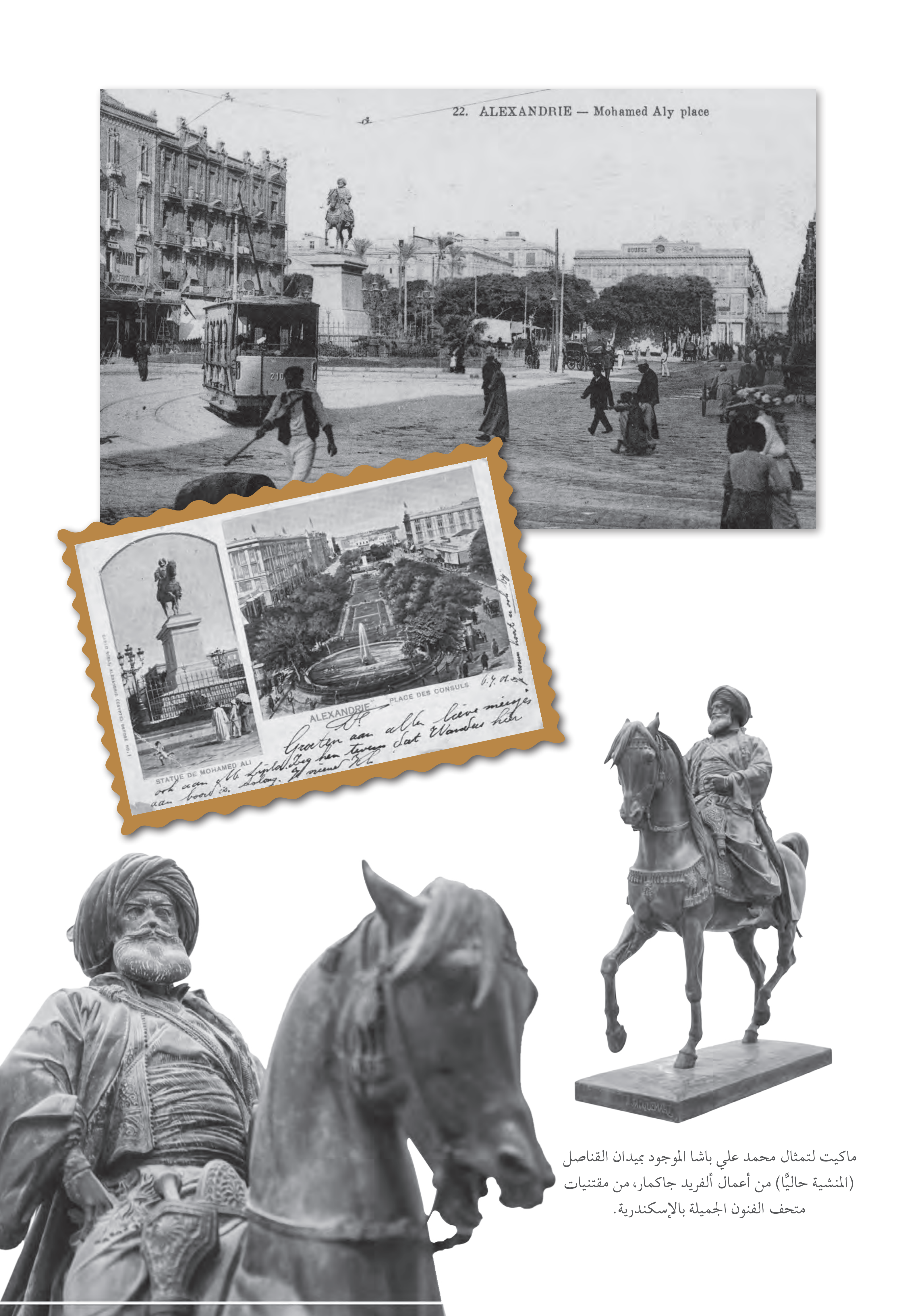
ميدان القناصل هو ميدان المنشية حاليًّا، وكان يُعرف بميدان القناصل لتمركز القنصليات المختلفة به. ومنذ عام ١٨٦٥م والخديوي إسماعيل يفكر في إقامة تمثال لجده محمد علي باشا. وقد كان من المقرر في البداية إقامته في مدينة الإسماعيلية، ثم قرر أخيرًا إقامته بميدان القناصل بالإسكندرية. وفي ٧ إبريل ١٨٦٩م، كتب الكونت نيودركيك إلى وزير الشئون الخارجية المصري يبلغه أن تكلفة التمثال ستبلغ حوالي مائتي ألف فرنك ستدفع إلى صانع التمثال المسيو جاكمار. وفي ٥ صفر ١٢٨٦هـ/ ١٧ مايو ١٨٦٩م، تم إحالة مبلغ ثمانية آلاف جنيه إلى أحد المصارف بباريس باسم الكونت نيودركيك؛ ناظر مدرسة الفنون والصنائع بباريس؛ للصرف على صنع هذا التمثال، وتم تكليف المثّال جاكمار بهذا العمل.

وقد انتهى جاكمار من عمل التمثال في يوليو ١٨٧٢م، وتم عرضه لمدة شهر في شارع الشانزليزيه بالقرب من قصر الصناعة، وأرسل جاكمار صديقه المعماري إمبرواز بودري إلى مصر ليؤكد للحكومة المصرية أن التمثال قد أُنجز بالفعل، وقام بودري بتصميم قاعدة التمثال من الرخام، وعلى جانبيها كتفان صغيران من الرخام، بينهما وحدة زخرفية من المعدن على هيئة هلال ونجمة، ووصل التمثال بالفعل إلى الإسكندرية. وفي أغسطس من نفس العام كان التمثال قد وُضع على القاعدة المخصصة له. وفي ١٩ ديسمبر ١٨٧٢م، كان الاحتفال الرسمي بإقامة التمثال وسط الميدان.

هنري ألفريد جاكمار (١٨٢٤–١٨٩٦م)

تخرج في مدرسة الفنون الجميلة في باريس عام ١٨٤٥م. وأقام العديد من المعارض فيما يسمى بـ «صالون باريس» طوال الأعوام من ١٨٤٧م إلى ١٨٧٩م. وقد نالت أعماله الاستحسان، خاصة المنحوتات التي تصور الحيوانات؛ حيث كان هذا مجال تميزه الذي كان السبب في شهرته بين الطبقة البورجوازية الفرنسية، وتوالت الطلبات على أعماله. وقد أُوكل إليه مهمة عمل تمثال لمحمد علي باشا، ليكون بذلك صاحب أول تمثال يُعرض في ميدان عام في بلد مسلم، والذي نُفذ عام ١٨٧٢م. كما أنه صاحب تماثيل الأسود القابعة بكوبري قصر النيل، والتي كان من المفترض أن تصاحب تمثال محمد علي باشا، إلا أن الخطة تغيرت، وتقرر وضعها في مكانها الحالي بكوبري قصر النيل بالقاهرة. كما أن جاكمار صاحب تمثال سليمان باشا وتمثال لاظوغلي بالقاهرة.





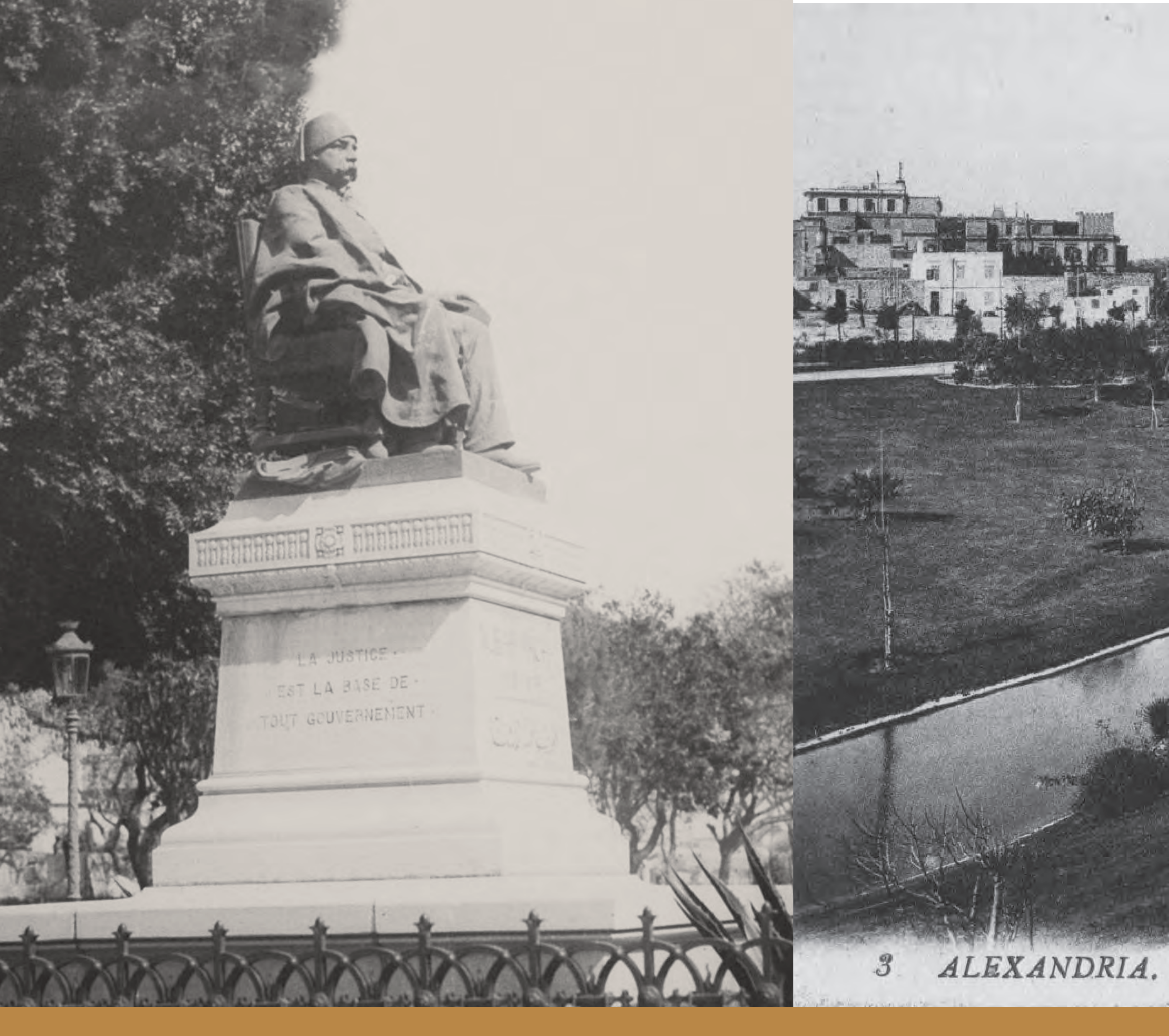
ماكيت لتمثال محمد علي باشا الموجود بميدان القناصل (المنشية حاليًّا) من أعمال ألفريد جاكمار، من مقتنيات متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية.

حدائق الشلالات.

— General view of the Gardens. — LL.



تمثال نوبار باشا؛ رئيس وزراء مصر سابقًا.



حديقة الشلالات

أعدت البلدية مشروعًا لعمل حدائق حول المدينة يتكلف أربعين ألف جنيه، ووافقت نظارة الداخلية على مشروع تحويل الاستحكامات العسكرية إلى حديقة عمومية. وفي ٢٢ أغسطس ١٩٠٠م، استلمت البلدية من نظارة الداخلية جزءًا من أراضي الاستحكامات جهة مدافن اليهود لعمل حدائق عمومية، وقام المسيو بوتيه بعدها بشهر بهدم الاستحكامات حتى يُنشئ الحديقة.

وفي ١٩٠٥م، استعان المجلس البلدي بالمهندس أندريه المختص في المناظر الطبيعية والمدرس بمدرسة فرساي لتنسيق الحديقة، وقدرت النفقات وقتها باثني عشر ألف جنيه لعمل هذا التنسيق، بحيث يتم الإبقاء على بعض الأبراج وإنشاء طرق للعربات وآخر للمشاة وكشك للموسيقى ومسطحات للألعاب ومسرح، على أن يتم ذلك كله خلال عامين. كما خصص بعد ذلك في عام ١٩٠٦م مبلغ ستة آلاف جنيه لإنشاء المنتزه الجديد ناحية المستشفى الأميري، وكذلك تنازلت البحرية عن طابية النحاسين في فبراير ١٩٠٦م.

وفي الجزء القريب من ميدان الخرطوم من هذه الحدائق، تم وضع تمثال لنوبار باشا تخليدًا لذكراه بعد وفاته، وقد قام النحات الفرنسي لوشيه بنحت التمثال في فرنسا ليوضع في هذه الحديقة التي أُطلق عليها اسمه فيما بعد. وكانت الحديقة مخصصة للعامة ولكنها كانت تخصص في وقت محدد من اليوم للسيدات والأطفال للحفاظ على خصوصيتهم، ثم تم نقل التمثال إلى مخازن وزارة الثقافة إلى أن تم نقله مرة أخرى ووضعه أمام دار الأوبرا الجديدة بالإسكندرية (مسرح سيد درويش) ويحل محله حاليًّا على نفس القاعدة القديمة نسخة من تمثال كاتمة الأسرار للفنان محمود مختار.

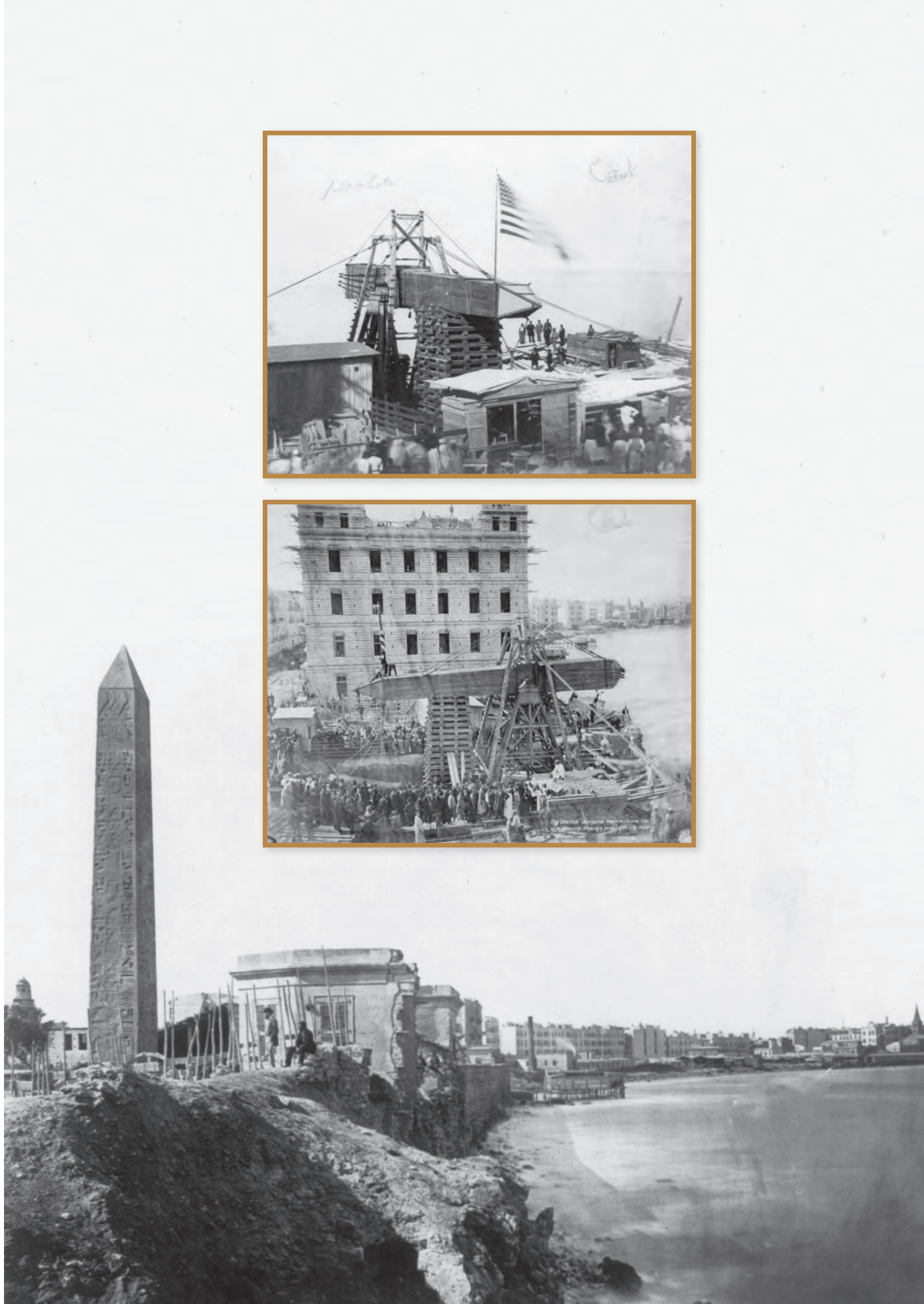
مسلة كليوباترا

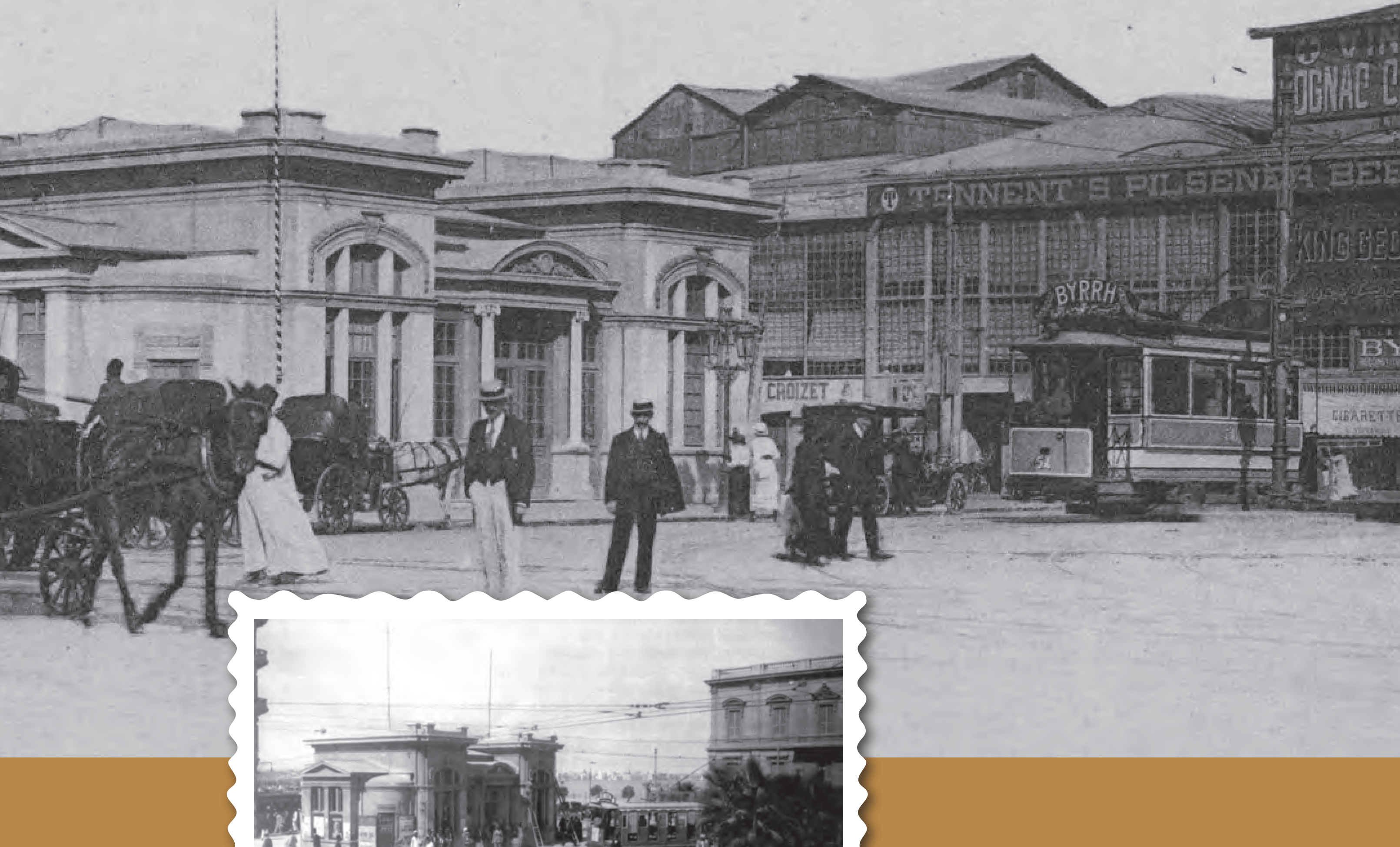
كانت مسلة كليوباترا بمدينة الإسكندرية واحدة من المسلتين اللتين تعرضتا للسقوط، وظلتا ملقاتين على الأرض في هليوبوليس بالقاهرة، إلى أن أمر الإمبراطور الروماني أغسطس بنقلهما وإقامتهما أمام معبد القيصرون في مدينة الإسكندرية، فقام المهندس بونتيوس Pontius في العام الثالث عشر قبل الميلاد بنقلهما إلى الإسكندرية في هذا المكان. ولقد درج المؤرخون والرحالة على إطلاق اسم الملكة كليوباترا على هاتين المسلتين رغم أن نقل المسلتين إلى الإسكندرية قد تم بعد وفاة كليوباترا بعدة سنوات، فقد ماتت كليوباترا ولم ترَ المسلة التي تحمل اسمها ولم تسمع عنها، وربما حدث ذلك لأن المسلتين قد تمت إقامتهما أمام معبد القيصرون، وهو المعبد الذي أمرت كليوباترا بتشييده تخليدًا لذكرى يوليوس قيصر أو لابنها قيصرون، فشاع أن كليوباترا هي التي أمرت بنقل المسلتين من موقعهما في هليوبوليس. ولكن ما حدث أنه مع انتهاء العصر البطلمي وخضوع مصر للحكم الروماني، أمر الإمبراطور الروماني أغسطس بإكمال معبد القيصرون ونقل المسلتين، وأمر بتخصيص معبد القيصرون لعبادة الإله أبولّو الذي كان يُرمز له بسرطان البحر، وقد نقشت على قاعدة المسلتين وقائع نصبهما في الإسكندرية.

استمرت المسلتان باقيتين في مكانيهما بالإسكندرية حتى سقطت إحداهما في عام ١٣٠١م بفعل زلزال ضخم، بينما استمرت المسلة الأخرى منتصبةً في موقعها الذي وصفه علماء الحملة الفرنسية (١٧٩٨–١٨٠١م) بأنه يقع على شاطئ الميناء الشرقي بجوار أحد أبراج السور يُسمى «برج الرومان»، وهو ما يمكن تحديده الآن بموقع ميدان محطة الرمل حيث يقع شارع «المسلة». وقد أُمر بنقل إحدى المسلتين إلى لندن على أن تستقر على ضفاف نهر التايمز، وذلك عندما استطاع كافان الحصول على موافقة من محمد علي باشا بنقل مسلة الإسكندرية إلى لندن كهدية تذكارية في سبيل توطيد العلاقات المصرية الإنجليزية. إلا أنها نُقلت فعليًّا إلى لندن في عهد الخديوي إسماعيل في عام ١٨٧٧م، وذلك عندما قام الجنرال البريطاني جيمس ألكسندر بإثارة الأمر مرة أخرى، مبينًا جدوى إحضار المسلة إلى لندن كضرورة ثقافية وحضارية؛ حيث قام ألكسندر بزيارة مصر ورتَّب له القنصل العام البريطاني في مصر آنذاك إدوارد ستانتون لقاءً خاصًّا مع الخديوي إسماعيل في ٢٥ مارس ١٨٧٥م؛ حيث فاتحه ألكسندر وحدثه في أمر المسلة الساقطة في الإسكندرية واستأذنه في نقلها إلى لندن، وقد وافق الخديوي إسماعيل على ذلك. وعندما اشترى ثريّ يوناني بالإسكندرية قطعة الأرض الموجودة بها المسلة، وهدد بإسقاطها وتقطيعها وبيع أحجارها ما لم تنقلها الحكومة البريطانية؛ دفع ذلك البريطانيين للتحرك، فقام مقاول ورجل أعمال بريطاني يدعى جون ديكسون بنقلها إلى لندن وتولى عملية نقل مسلة الإسكندرية إليها. وفي ١٣ سبتمبر عام ١٨٧٨م، تجمع آلاف الناس لمشاهدة المسلة وهي ترتفع على ضفاف نهر التايمز.

أما المسلة الثانية المعروفة خطأً باسم مسلة كليوباترا، فقد ظلت قائمةً تجاه الميناء الشرقي، شاهدةً على تطورات مدينة الإسكندرية من العام الثالث عشر قبل الميلاد وهو تاريخ إقامتها، إلى سنة ١٨٨١م وهو تاريخ نقلها إلى الولايات المتحدة. فقد نُقلت هي الأخرى من مدينة الإسكندرية إلى الولايات المتحدة الأمريكية في رحلة استغرقت خمسة عشر شهرًا، إذ وصلت في ٥ يناير ١٨٨١م، وفيما بعد نُصبت المسلة في حضور أكثر من عشرة آلاف مواطن من سكان مدينة نيويورك وتم تدشينها في ٢٢ فبراير ١٨٨١م.







ترام الإسكندرية

مدينة الإسكندرية هي أول مدينة في إفريقيا وفي مصر تشهد شوارعها خطوط الترمواي. ففي ١٦ أغسطس ١٨٦٠م، استطاع السير إدوارد سان جون فيرمان؛ تاجر إنجليزي، أن يستصدر من الحكومة المصرية امتيازًا لإنشاء خط سكك حديدية يصل ما بين وسط الإسكندرية وضاحية الرمل، مع الاحتفاظ بحق سحب الامتياز منه في أي وقت، وذلك وفقًا لما نصت عليه بنود الاتفاق، ورغم ذلك فإنه لم يبدأ في مد الخطوط الحديدية. وبعد مرور عامين، تأسست شركة Strada Ferrata Tra Allessandria Ramlea، وهي شركة مساهمة برأس مال قدره اثنا عشر ألف جنيه مقسمة على ألف ومائتي سهم، وتنازل السير إدوارد فيرمان للشركة الجديدة عن حق الامتياز الذي منحته الحكومة المصرية إياه عام ١٨٦٠م، وذلك مقابل الحصول على ٣٠٪ من أرباح الشركة خلال السنوات الثلاث الأولى.

وفي سبتمبر ١٨٦٢م، وُضعت أول قضبان حديدية بجهة مسلة كليوباترا (ميدان محطة الرمل حاليًا). وفي ٨ يناير ١٨٦٣م، افتُتح الخط لنقل الجماهير بأربع عربات تجرها أربعة خيول (عربة واحدة درجة أولى، وعربتان درجة ثانية، وواحدة درجة ثالثة) من الإسكندرية (مسلة كليوباترا) إلى موضع محطة بولكلي الآن. وفي ٢٢ أغسطس ١٨٦٣م، استخدمت القوة البخارية لجر عربات الترمواي بدلاً من الخيول.

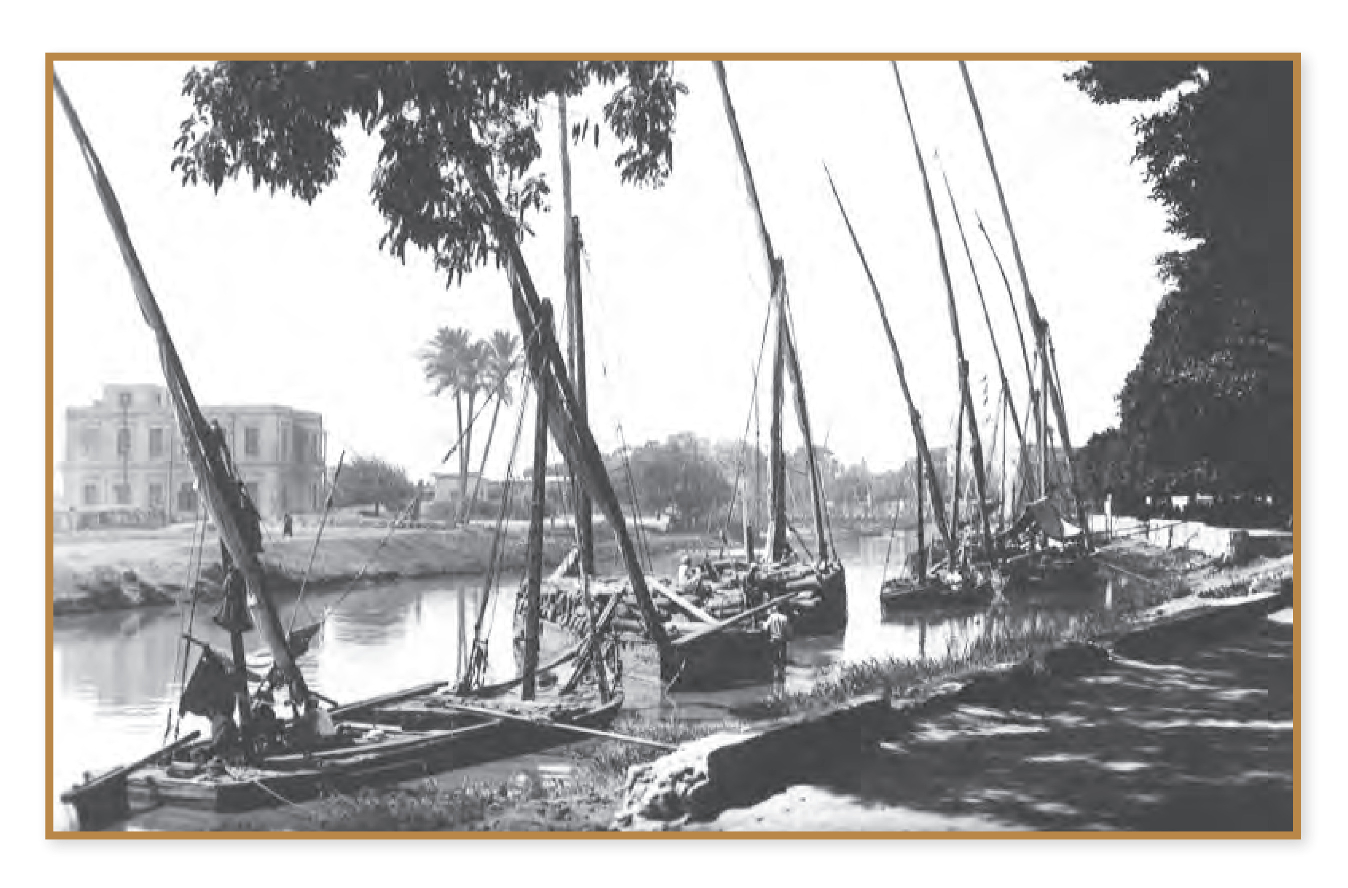
وفي ٢٨ يونية ١٨٨٢م، تأسست شركة جديدة هي «شركة سكك حديد الإسكندرية والرمل» المسجلة في لندن باسم The Alexandria & Ramleh Railway Co. Ltd. برأس مال قدره مائة وعشرة آلاف جنيه إنجليزي، وعملت على ازدواج الخط بين الإسكندرية وبولكلي. وفي عام ١٨٩٧م، تأسست شركة بلجيكية جديدة لتشغيل الترمواي عُرفت باسم «شركة ترمواي الإسكندرية»، قامت بشراء العدد الأكبر من أسهم شركة حديد الإسكندرية والرمل السابقة، والتي حصلت مقابل ذلك على ٦٥٪ من جملة الإيرادات التي تحصلها الشركة البلجيكية الجديدة – وقد استمرت الشركتان في العمل معًا – وذلك في سبيل تسيير خطوط جديدة للترمواي. ولكن هذه المرة كانت خدمة الترمواي من نصيب أهالي المدينة القديمة، التي رُبطت بالمناطق السكنية الجديدة الوليدة بضاحية الرمل. ففي الوقت الذي تمتع فيه



سكان الرمل بالترمواي بالرغم من قلة عددهم نسبيًّا مقارنة بعدد أهالي المدينة القديمة؛ كان غالبية أهالي الإسكندرية ما زالوا يستخدمون عربات الحنطور وعربات الأمنيبوس للتنقل. لذا حرصت الشركة البلجيكية على أن تقدم هذه الوسيلة لخدمة الغالبية العظمى من أهالي المدينة، لا سيما أن شركة سكك حديد الإسكندرية والرمل استطاعت أن تحصل على امتياز استخدام الكهرباء لجر عربات الترمواي بدلاً من البخار، لذا تسابقت الشركة البلجيكية مع منافستها في مد خطوط الترمواي داخل الإسكندرية، فعملت الشركة البلجيكية على مد الأسلاك الكهربائية في الفترة من سبتمبر ١٨٩٦م حتى أغسطس ١٨٩٧م لتسيير عربات الترمواي الكهربائية الجديدة. وبالفعل نجحت في ذلك، وأقامت حفلاً كبيرًا للاحتفال بتسيير العربات الكهربائية الأولى في ١١ سبتمبر ١٨٩٧م بحضور خديوي مصر آنذاك عباس حلمي الثاني. وكانت المحطة الرئيسية في «ميناء البصل» أمام مبنى بورصة القطن حيث تجمع المساهمون والمضاربون والتجار، ويتفرع من ذلك الخط الجديد ثلاثة خطوط؛ الأول يصل إلى ميدان المنشية، والثاني إلى منطقة المكس، والثالث يبدأ من ميدان المنشية ليصل إلى الجمرك عند رأس التين.

أما خط الترمواي القديم (خط الرمل الواصل بين مسلة كليوباترا وبولكلي)، فقد استخدمت العربات الكهربائية فيه لأول مرة في ٢٥ يناير ١٩٠٤م - أي بعد ست سنوات - لتصبح جميع العربات في الإسكندرية تسير بالكهرباء. وفي ١١ يونية ١٩١٢م، تنازلت شركة ترمواي الإسكندرية البلجيكية عن إدارة خطوطها (الخطوط الخاصة بالمدينة القديمة) لشركة سكك حديد الإسكندرية والرمل، لتصبح هي الشركة الوحيدة المسئولة عن النقل بالترمواي داخل الإسكندرية؛ واستمرت هكذا حتى أُممت الشركة عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

شهدت الإسكندرية إذن ميلاد عربات الترمواي في مصر قبل عاصمتها القاهرة، كما شهدت مراحل التطور الثلاث لعربات الترمواي في العالم (الخيول - البخار - الكهرباء). لتصبح ترمواي الإسكندرية بذلك مثالاً حيًّا يسير بشوارعها، ويحمل بين طياته ذكريات الماضي الأثير.



ترعة المحمودية

قرر محمد علي باشا أن يُنشئ ترعة للملاحة، تتمكن من خلالها المراكب المشحونة بمختلف محصولات أقاليم مصر العليا والوسطى والسفلى من الوصول مباشرة للإسكندرية؛ لاجتناب المرور من بوغاز رشيد الواقع في مصب نهر النيل، وذلك لصعوبة وخطر المرور منه وكثرة ما يحدث فيه من الغرق. فتم تكليف شاكر أفندي؛ المهندس التركي، برسم وتتميم الأشغال اللازمة للترعة، وعوضًا عن أن يرسم امتدادها مستقيمًا رسمها خطًا معوجًا غير مستوف للشروط بدون أن يعد قبل كل شيء عملية قياس تسوية السطوح. وشرع في العمل في سنة ١٨١٨م؛ فنجم من هذه العملية ارتفاع قاع الترعة في مواضع وانخفاضه في مواضع أخرى، ولما وصل الحفر إلى محطة السد الذي بين بحيرتي أبي قير ومريوط وقف العمل وقفًا تامًا، فوقعوا في حيرة ولم يعودوا يعرفون كيف يصنعون ليجتازوا هذا الممر، بعدما أُكره الفلاحون على أن يحفروا الأرض بأيديهم، وأن يظلوا في الماء الذي يرشح من كل النواحي، وراح منهم زهاء ١٢٠٠٠ فلاح ضحية في عشرة أشهر من مجمل ٣٦٠٠٠٠ فلاح عملوا بالسخرة. وقد كلفوا بعد ذلك الفرنسي باسكال كوست بالعمل في مارس ١٨١٩م، ولكن دون تغيير الرسم بعد أن أصبح أمرًا واقعًا، ليتمم العمل في شهر ديسمبر سنة ١٨٢٠م، ويحتفل بدخول مياه النيل للإسكندرية في شهر فبراير سنة ١٨٢١م. وقد سُميت المحمودية بهذا الاسم تيمنًا باسم السلطان محمود الذي كان على عرش الدولة العثمانية في ذلك الوقت.



31 ALEXANDRIA. — Mahmoudieh Canal. — LL SELECTA



مسجد العطارين

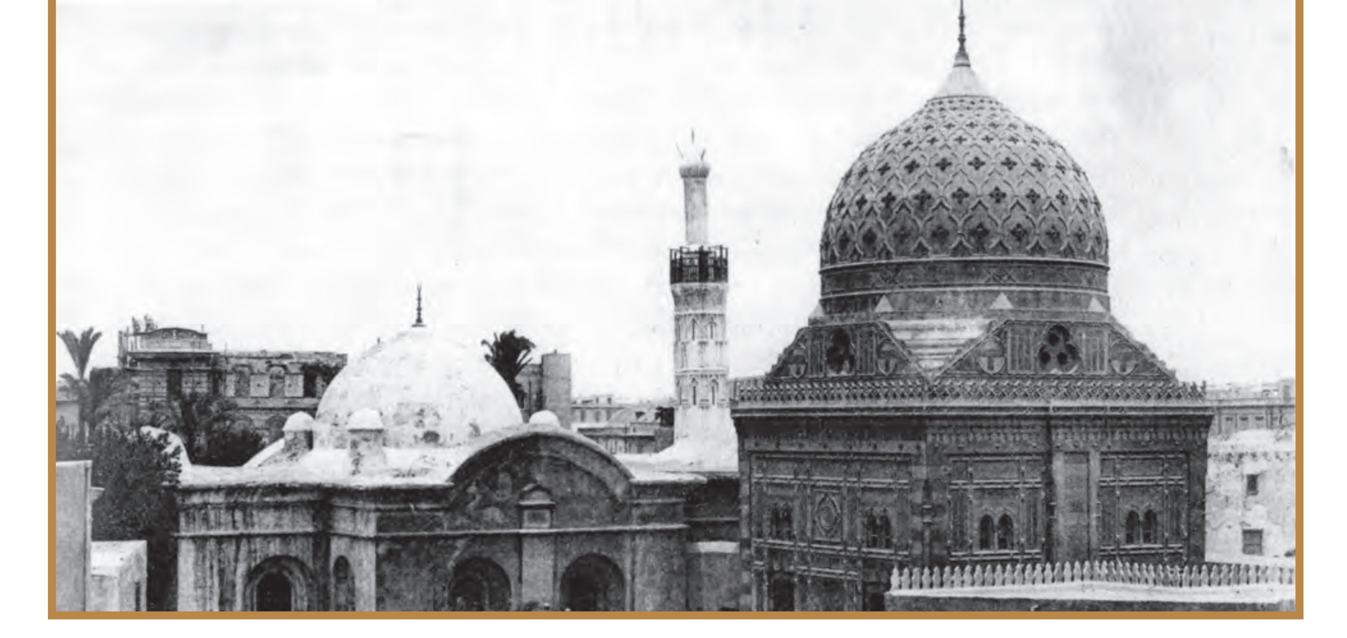
يعد المسجد من أقدم مساجد مدينة الإسكندرية تاريخيًّا؛ إذ تشير اللوحة التجديدية المثبتة في قاعدة المئذنة إلى أن تاريخ المسجد يعود إلى ما قبل عام ٤٤٧هـ/ ١٠٨٤م؛ حيث تشير اللوحة إلى أن أمير الجيوش بدر الدين الجمالي (٤٦٦-٤٨٧هـ/ ١٠٧٤م-١٠٩٥م)؛ وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وجد عندما زار الإسكندرية هذا المسجد خربًا، فقام بتجديده وبنائه بأموال أخذها من أهل المدينة، ويذكر البعض أن المسجد القديم أُنشئ على أنقاض كنيسة قديمة هي كنيسة القديس إثناسيوس، وبعد ذلك اشتُهر المسجد باسم مسجد الجيوشي نسبة إلى اللقب الذي يحمله بدر الجمالي، إلا أن المسجد في عصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧٤-١١٩٣م) قد نقلت منه الخطبة إلى جامع بناه صلاح الدين بالإسكندرية، وكان هذا في إطار مكافحة الفاطميين في أنحاء مصر، ثم اشتُهر المسجد باسم مسجد العطارين لوقوعه في سوق العطارين، وهو الاسم المستخدم حاليًّا. وكان الخديوي عباس حلمي الثاني قد أمر بتجديد المسجد، وافتتحه عام ١٩٠٢م، وتم تجديده عدة مرات بحيث ضاعت ملامحه الداخلية الأصلية، ولكنه احتفظ بواجهاته التي تعود لعصر الخديوي عباس حلمي الثاني.



مسجد العطارين.

مسجد النبي دانيال

أُنشئ مسجد النبي دانيال على بقايا جبانة إسلامية نُبشت وطُمرت شواهدها، ومن الثابت أن محمد علي باشا قام بتجديد وتوسيع مسجد النبي دانيال عام ١٨٢٢م، ثم تم تجديد المسجد مرة أخرى والانتهاء من إنشاء مدفن أسرة محمد علي باشا في عام ١٨٥٠م -وذلك في عهد عباس الأول- وقد دُفن في هذا المدفن أفراد عائلة طوسون باشا ابن محمد علي باشا، وسعيد باشا ابن محمد علي باشا، والبرنس إسماعيل ابن الملك فؤاد الأول، وقد ظلت قبورهم قائمة حتى تم نقلها إلى حوش الباشا في القاهرة عام ١٩٥٤م، وتمت إزالة مدفن أسرة محمد علي باشا من جانب المسجد عام ١٩٨٤م. ويعتقد البعض بأن نبي الله دانيال مدفون بالمسجد، وهو اعتقاد خاطئ أثبتته الاكتشافات الأثرية أسفل المسجد التي أكدت أنه يوجد تحت المسجد صهريج مياه، بالإضافة إلى العثور على ستة من شواهد القبور التي يعود أقدمها إلى القرن العاشر الميلادي، وثلاثة شواهد تعود للقرن الثاني عشر الميلادي، وشاهد يعود للقرن الثالث عشر الميلادي، والأخير يعود للقرن الرابع عشر الميلادي، وجميعها شواهد قبور إسلامية، مما يدلل على أن المنطقة كانت مقبرة إسلامية كبيرة خلال تلك القرون، وهذا ما تثبته الصور الأولى للمسجد، حيث كان محاطًا بمجموعة من القبور. وقد اعتقد بعض المؤرخين أن المقصود بدانيال هنا أحد الأئمة، والمعروف بمحمد بن دانيال الموصلي، ولكن ذلك غير مؤكد أيضًا، ويُعتقد أن المكان هو مشهد رؤية؛ حيث إن الموجود أسفل المسجد لا يقتصر على ما يُعتقد أنه قبر النبي دانيال فحسب، وإنما يوجد أيضًا نقش مؤداه «مقام الحكيم لقمان»، هذا فضلاً عن اعتقاد لم يثبت بعد بأن قبر الإسكندر الأكبر يقع كذلك أسفل المسجد.



مسجد النبي دانيال.

مسجد سيدي جابر

كان في نفس موضع مسجد سيدي جابر الحالي، زاوية سيدي جابر الأنصاري التي بُني عليها مسجد في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، والذي يظهر في الصور والبطاقات البريدية بمئذنة عثمانية مدببة وحوله الحقول من كل جانب، إلا أن هذا المسجد أُزيل عام ١٩٥٥م، وشُيد المسجد الحالي مكانه. وقد اختلف الأثريون حول صاحب المقام الذي بُني عليه المسجد، فقيل هو أحد الصحابيَّيْن؛ جابر بن ياسر بن عويض أو جابر بن أسامة الجهني، في حين أكد البعض أنه الرحالة ابن جبير بعدما حرَّف العامة اسمه من جبير إلى جابر، في حين رجح البعض أنه الأندلسي المنشأ جابر بن إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الأنصاري، ويكنى بأبي إسحاق، ويتصل نسبه إلى سعد بن عبادة؛ سيد الخزرج، والذي انتقل إلى الإسكندرية وتوفي بها عام ٦٩٧هـ في زاويته بضاحية الرمل، وكان قد عُرف عنه الاهتمام بالنحو والصرف، وترك تراثًا علميًّا من أهمه كتاب «إيجاد البرهان في إعجاز القرآن» و«كيفية السياحة في مجرى البلاغة والفصاحة» و«الإغراب في ضبط عوامل الإعراب».

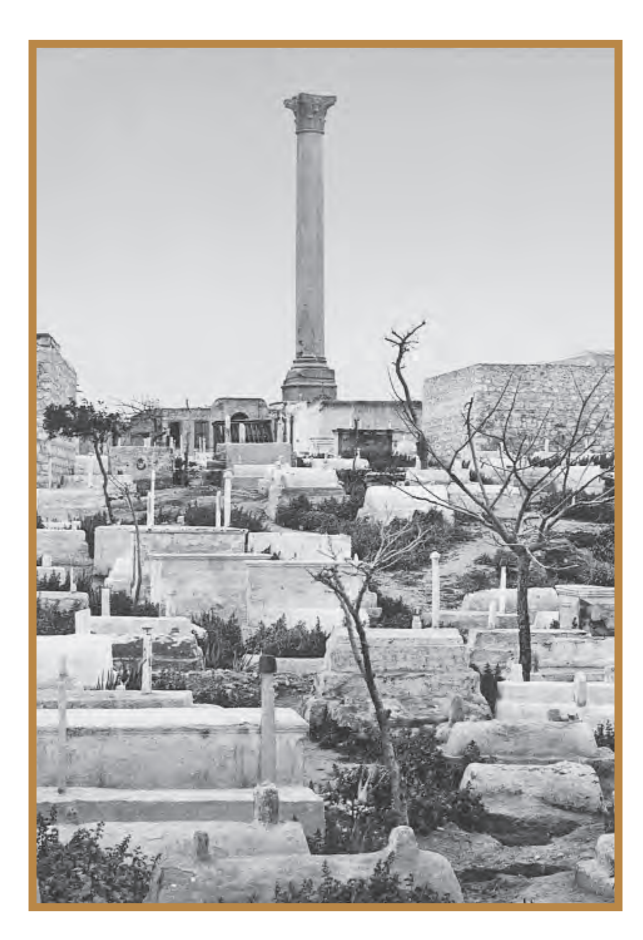


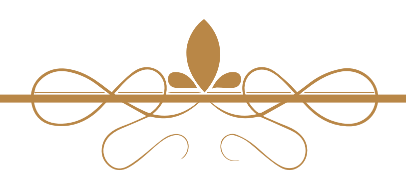
مسجد سيدي جابر.



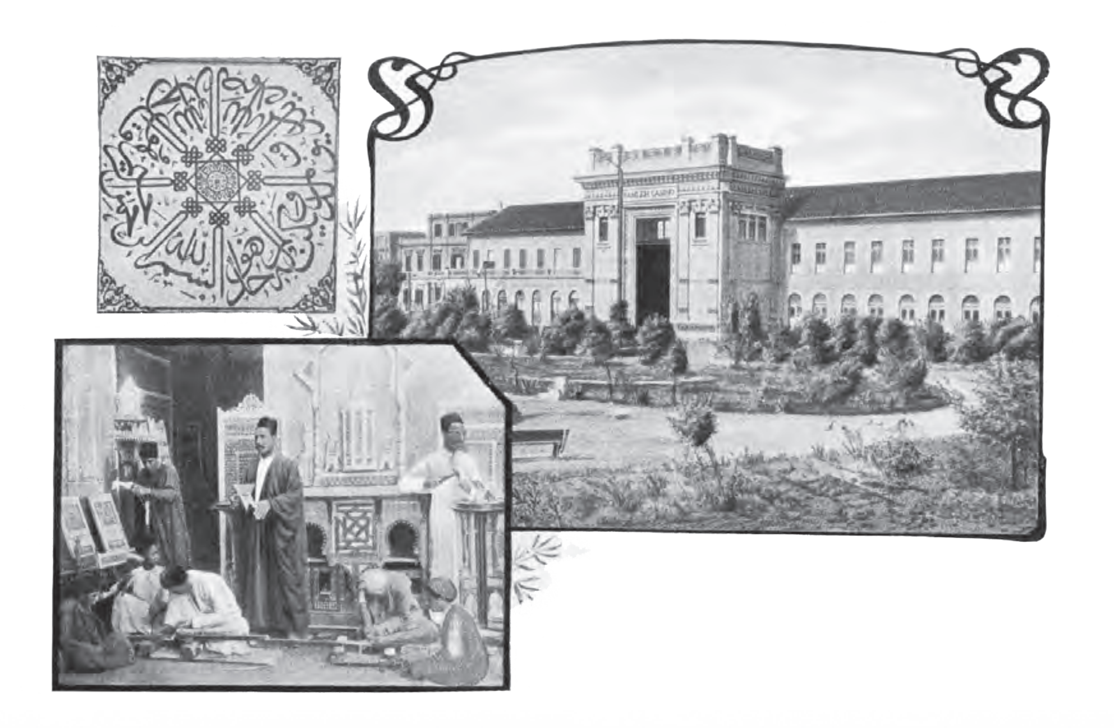
عمود السواري (عمود بومباي)

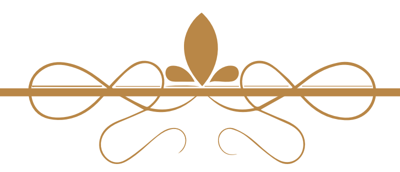
هو عمود تذكاري جرانيتي طوله ٢٦,٥ مترًا، أقامه حاكم المدينة الروماني في معبد السيرابيوم شكرًا وتقديرًا للإمبراطور الروماني دقلديانوس بعد قضائه على الثورة وإنقاذه البلاد من مجاعة في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الميلاديين، إلا أن الأمر قد اختلط على البعض حين خلطوا بين هذا العمود والعمود الذي أقامه يوليوس قيصر تكريمًا لبومباي بعد قتله، فأُطلق عليه خطأ اسم عمود بومباي. وعندما فتح المسلمون مدينة الإسكندرية وزاروا المكان كان به أكثر من أربعمائة عمود تحمل سطح المعبد، وكان هو أعلاها، ولذلك فقد أطلق عليه عمود السواري أو الصواري نسبة إلى صواري المراكب لتشابههما في الميناء من حيث الشكل والكثرة. ثم زالت الأعمدة بعد أن ألقاها والي الإسكندرية بالبحر لصد الهجمات الصليبية، وبقي هذا العمود ما بين الاسم الخاطئ لدى الأجانب (بومباي) والاسم الذي أطلقه عليه المسلمون عند مجيئهم (السواري)، وكلاهما بعيد عن الاسم الحقيقي وهو عمود دقلديانوس.



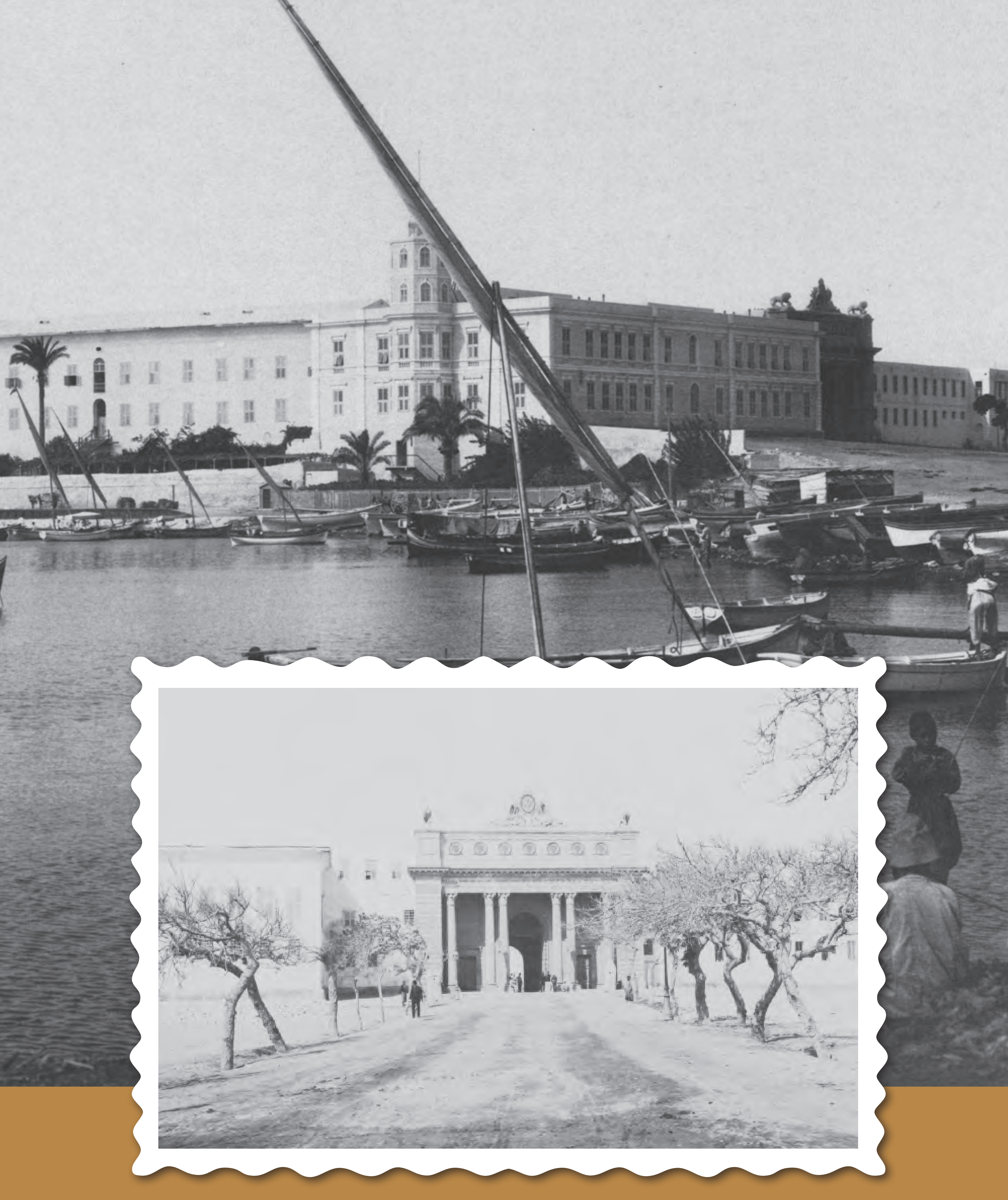


فندق سان ستيفانو







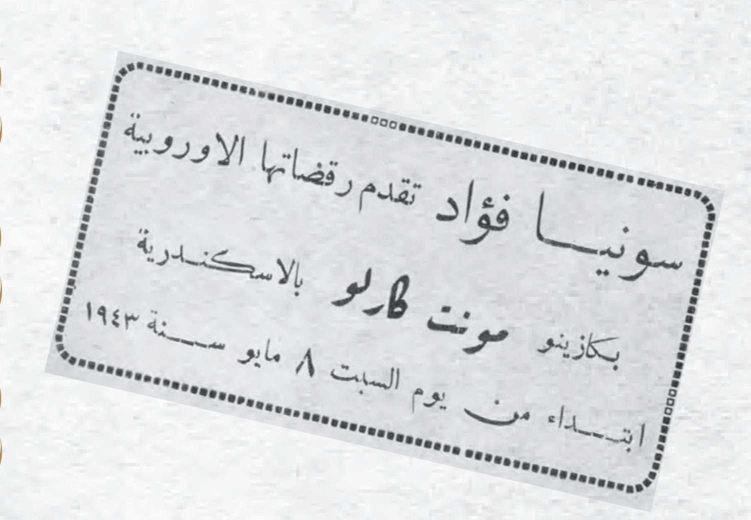


قصر رأس التين


ALEXANDRIE. PORTE DU PALAIS DE RAS EL TIN
UN MILLIEME
POSTES EGYPTIENNES

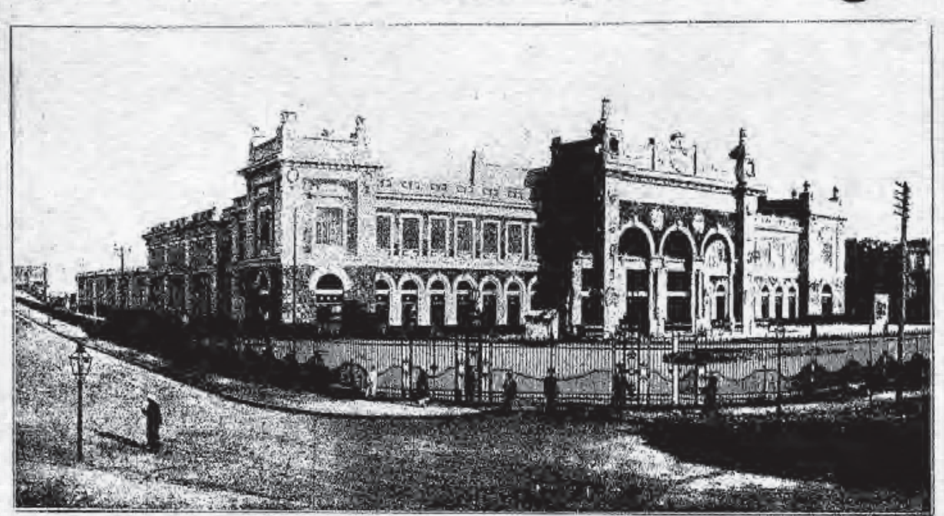






اللطائف المصورة في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧

افتتاح محطة الاسكندرية الجديدة ـ كلفت ٣٥٠ الف جنيه



منظر عام لمحطة الاسكندرية التي تم بناؤها وافتتحت في أول نوفمبر وقد بدأ العمل فيها في سنة ١٩١٠ وسار بنشاط حتى سنة ١٩١٤ ثم استؤنف في سنة ١٩٢٠ حتى كل تشييدها فجاءت آية من آيات الهندسة البديعة يزيدها شأناً انها تمت على ايدي مهندسين ومقاولين وعمال وطنيين. ومبانيها من الطوب اما الجزء الأسفل منها فمن حجر الجرانيت وقد انشئ تحت الارصفة ممر سفلي

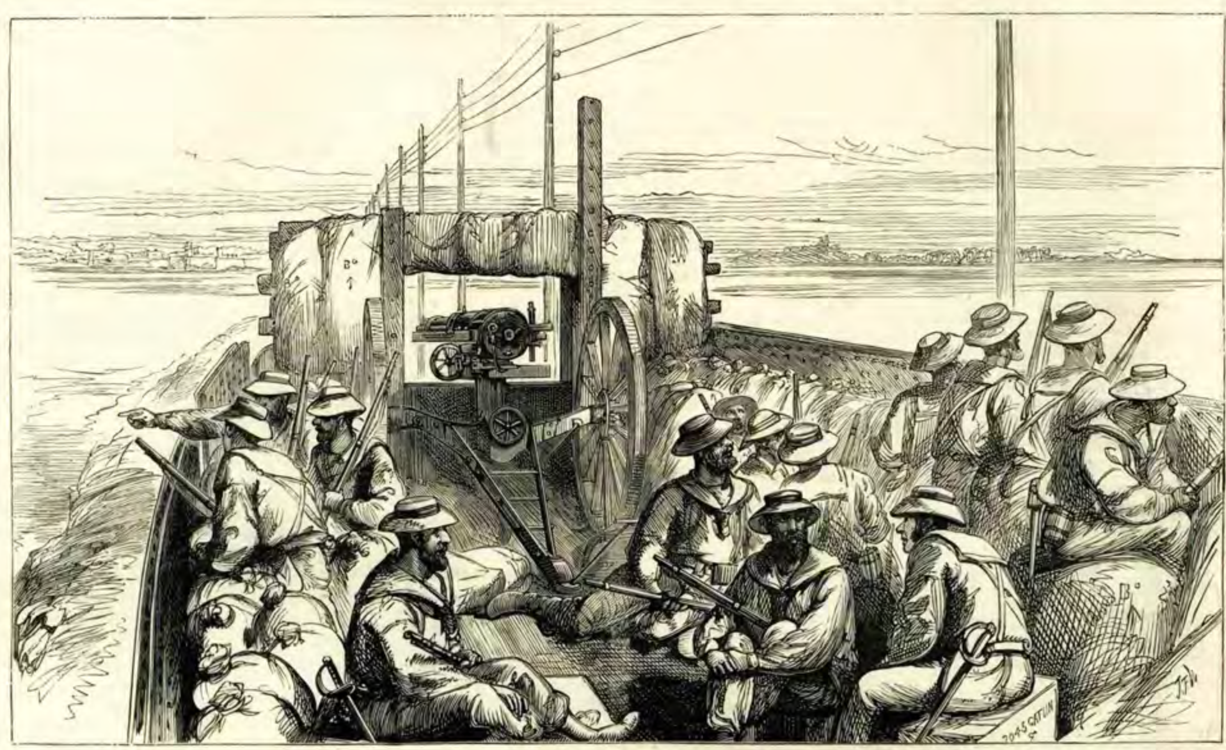



افلام العهد الجديد
تقدم
رصيف نمرة ٥
هدى سلطان
فريد شوقي
اخراج
نيازى مصطفى
تصوير
القيزى
توزيع دولار فيلم ٣ ممر بهلر القاهره

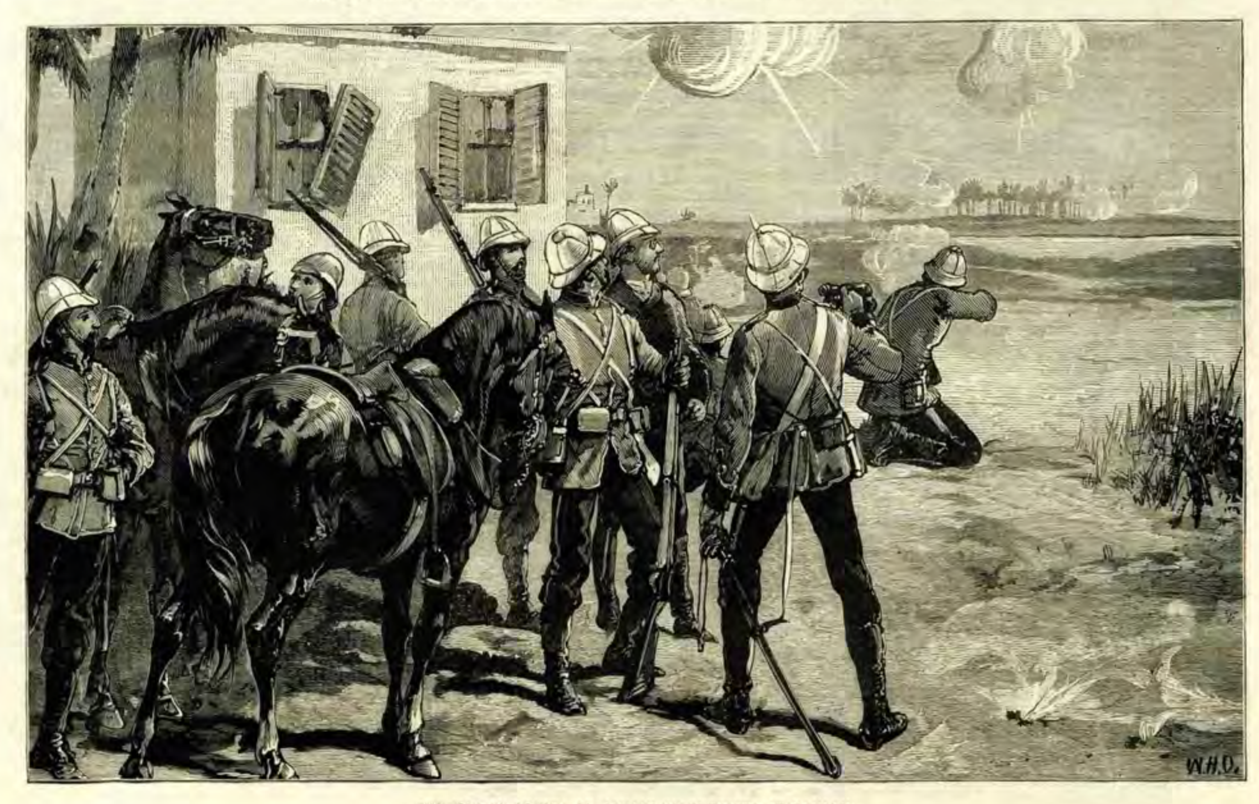
THE ILLUSTRATED LONDON NEWS.

REGISTERED AT THE GENERAL POST-OFFICE FOR TRANSMISSION ABROAD.

No. 2258.—VOL. LXXXI. SATURDAY, AUGUST 12, 1882. WITH TWO SUPPLEMENTS SIXPENCE. By Post, 6½d.



THE WAR IN EGYPT: THE ARMOURED TRAIN—REAR OF THE TRAIN, WITH GATLING GUN.



THE WAR IN EGYPT: AN AFFAIR OF OUTPOSTS AT RAMLEH.
FROM SKETCHES BY OUR SPECIAL ARTIST.